**الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية**

**وَزارة التعليم العالي والبحث العلمي**

**جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي**

**كلية الآداب واللغات**

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص:البلاغة العربية وشعرية الخطاب

عنوان الأطروحة :

# بلاغة الخطاب في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع

# مقاربة تداولية

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في الطور الثالث (ل م د) في البلاغة العربية وشعرية الخطاب

**إعداد الطالبة:**

أسماء حمبلي

**إشراف الأستاذة :**

د/ رزيقة طاوطاو

**أعضاء لجنة المناقشة**

| الأستاذ | الرتبة العلمية | الجامعة الأصلية | الصفة |
|---|---|---|---|
| المكي العلمي | أستاذ التعليم العالي | العربي بن مهيدي أم البواقي | رئيسا |
| رزيقة طاوطاو | أستاذ محاضر أ | العربي بن مهيدي أم البواقي | مشرفا ومقرّرا |
| صالح خدّيش | أستاذ التعليم العالي | عبّاس لغرور خنشلة | عضوا مناقشا |
| الزهراء عاشور | أستاذ محاضر أ | العربي بن مهيدي أم البواقي | عضوا مناقشا |
| شاكر لقمان | أستاذ محاضر أ | العربي بن مهيدي أم البواقي | عضوا مناقشا |
| عمّار رجّال | أستاذ محاضر أ | باجي مختار عنابة | عضوا مناقشا |

**السنة الجامعية :2016م/2017م**

«إنّي رأيتُ أنّه ما كَتَبَ أَحَدُهُم في يَومِهِ كِتاباً إلا قالَ في غَدِهِ، لوغُيّرَ هذا لَكانَ أَحسن ولَو زُيِّدَ ذاكَ لَكانَ يُستَحسن، ولَو قُدِّمَ هذا لكانَ أفضل، ولو تُرِكَ ذاكَ لَكانَ أجمل، وهذا مِن أعظَمِ العِبر، وهو دَليلٌ على استيلاءِ النَّقْصِ على جُملَةِ البَشر».[1](القاضي الفاضل عبد الرّحيم البيساني)،

حسبي أنّني أخلصت النية،وبذلت الجَهد،وأدعو الله أن يُلهمنا التوفيق والسّداد والقَبول،وما توفيقي إلّا بالله، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين.

[1] الزبيدي،شرح الإحياء،مؤسسة التاريخ العربي ،بيروت،1994،ج1،ص17

# الإهداء

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع إلى :

هذه الأرض التي نبتت فيها،و من خيراتها نشأت وببركتها أدركت مجالس العلم ،أرض آبائي و أجدادي منذ آلاف السنين ،أنذر على نفسي أن أصونها و أذود عنها و أسعى فيها خيرا.

إلى من حملتني وهنا على وهن.....أمي

إلى الذي علّمني كيف أتعلّم من الحياة.....أبي

إلى الذي شحذ عزيمتي بالإرادة و التحدي.....وهاب.

إلى من تجمعني بهم رابطة الدم والأخوة...أخوتي و أخواتي

إلى فلذة كبدي وزينة حياتي..... يوغرطـــه

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جَهدي وتحدّيَّ.

.

.

# شكر وعرفان

لا يفوتني -وقد أكرمني الله تعالى- بإنهاء هذا العمل الأكاديمي أن أتقدّم بجزيل الشّكر والعرفان لمن كانت من فضل الله عليّ أن هيّأها لي كمشرفة كريمة وأستاذة فاضلة، الدكتورة رزيقة طاوطاو ،لقد كانت نعم الموجِّهة والمتابعة والمقوِّمة رغم كَثرة مشاغلها العلمية ،سدّدها الله ووفّقها لما تحبّه وترضاه.

كما وأرفع أسمى عبارات الشّكر والعرفان للفيلسوف الأستاذ سي عيسى بوعليلي على حبّه الذي يغمرني ويشحذ عزيمتي بالإرادة والتحدّي ويحثّني على الاجتهاد و العمل الدؤوب.

والحمد لله على ما أعطى ويسّر و أعان

# مقدّمة

**مقدمـــــــــــة**

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد الأمين وعلى آله وصحبه و المؤمنين إلى يوم الدين أمّا بعد:

لأنّ التراث العربي قد شكل متنفَّسا للباحثين المعاصرين ،وذلك من منطلق شغف التنقيب عن قراءة جديدة تتماشى مع الدراسات اللغوية المعاصرة، من خلال ما تسلحوا به من آليات للولوج إلى أسراره وكنوزه.فهذا الفضاء البحثي يريد –محاولا– القيام بقراءة مدونة تراثية ضمن دراسة حديثة أقل ما يمكن وصفها به أنّها شبيهة بمغامرة استكشافية لتراث ثري و مشفّر ،هذه المدونة تتمثل في كتاب **كليلة ودمنة لابن المقفع** . ولأجل ذات الغرض ، جاءت الدراسة موسومة بـــ:"**بلاغة الخطاب في كليلة ودمنة لابن المقفع مقاربة تداولية**"في محاولة لدراسة ملامح و أبعاد التشكيل التداولي وبلاغته في المنجز الكلامي لكليلة ودمنة صوغا ،تعبيرا و أداءً.

الكتاب عبارة عن مجموعة من الحكايات تدور على ألسنة الحيوانات و هي ذات مغزى إرشادي ، يحكيها الفيلسوف "بيدبا" للملك "دبشليم"، ويبث من خلالها "ابن المقفع" آراءه السياسية في المنهج القويم للحُكْم، . وميزة هذا الكتاب عن غيره أنه لا يتقيد بعصر أو بيئة، فهو ينسحب على كل الأزمنة والبيئات،و لأجل كل ذلك ينبغي الاحتكام إلى منهج مناسب تكون آلياته التي يعتمد عليها في أثناء التحليل أكثر مرونة ونجاعة للوصول إلى فهم الخطابات التي يحتويها الكتاب فهما جيدا فاختير **المنهج التداولي**.

تهدف التداولية إلى تطوير نظريةٍ لأفعال الكلام،أي للأنماط المجردة أو للأصناف التي تمثل الأفعال المحسوسة والشخصية التي تُنجَز في أثناء الكلام، واضعة بذلك موضع السؤال التقابل "السوسيري" بين اللغة والكلام،ورافضة اعتبار هذا الأخير موضوعا غير قابل للدراسة المنهجية؛إذ لم تعد اللسانيات ذلك العلم الذي ينعزل في مختبراته بعيدا عن تدفق الحياة اللغوية، لم تعد علما مخبريا يعتمد المناويل اللغوية بمعزل عن وظائفَ أخرى، لأنه ليس بإمكاننا حقيقة فهم طبيعة اللغة ذاتها إلا إذا فهمنا التداولية كيف تستعمل اللغة في الاتصال.

ويقع المفهوم اللغوي المعروف بـ"**الأفعال الكلامية**" في موقعٍ متميّز من هذا التيار ويشكّل جزءا أساسا من بنيته النظرية، إذ هو الركن الأول من أركان هذا المنهج والدعامة الكبرى له، باعتراف وتصريح العلماء الغربيين المؤسّسين لهذا التيار أنفسهم. ويُعتقَد أن تطبيق هذا المفهوم التداولي على اللغة العربية وعلى الإنتاج العلمي لعلماء العرب القدماء، سيسهم أيضا في وصف هذه اللغة ورصد خصائصها وتفسير ظواهرها الخطابية التواصلية، وسيسهم في اكتشاف وتثمين جوانب من الجهود الجبارة التي بذلها أولئك العلماء الأجلاّء، ويُزعَم أن إجراءً من هذا القبيل

كان مندرجا ضمن النشاط العلمي الذي قام به كثير منهم، وهذا ما يحاول البحث لفت الأنظار إليه كلّما استدعى مقام الاستشهاد ذلك.

فاللغة العربية، شأنُها شأن غيرها من اللغات الطبيعية، تشتمل عل طائفة من الصيغ والأدوات التي يستعملها المتكلم للدلالة على القوة الإنجازية التي يريد تضمينَها كلامَه كالاستفهام والتمني والإخبار والتقرير والنفي والإثبات والطلب والترجي... وكلها تنبثق من سياقات الاستعمال اللغوي الدائرة في مستوى التخاطب الفعلي.ولم يكن الاهتمام بالتداولية مدار اللغويين من النحاة والبلاغيين فحسب،بل اعتنى بها عناية شديدة كل من علماء المنطق والفلاسفة والأصوليين والفقهاء.

وبالانتقال إلى الميدان الأدبي ،فإنّ هدف التداولية يفترض أنّه يتوجّب على البلاغة أن لا تنحصر بوصف مجموعة محتملة من الأشكال اللغوية،بل عليها أن تشتمل على نظرية للأفعال الأدبية أيضا.

وليس من محض الصّدف اختيار كليلة ودمنة –أنموذجا للبحث– بل لما تتميز به من عناصر صالحة لأن تكون حقلا خصبا تطبّق فيه التداولية آلياتِها الإجرائية، و من ذلك أسلوب الحوارالذي يُظهر اللغة بمستوييها التفاعلي والتواصلي ، من خلال ما يدور بين "دبشليم "الملك و "بيدبا" الفيلسوف،إضافة إلى أن قصص الكتاب تعتمد أسلوب التلميح الذي تجسده شخوص الحيوانات وهذا ما يمكن دراسته ضمن قوانين الخطاب فيما يعرف بالأقوال المضمرة . كما أن "ابن المقفع" يتمتع بعقل جبار، وبداهة حاذقة لأنه يملك ذخيرة لغوية عظيمة، ومادة فكرية واسعة؛ وقد ساهم في تطوير أساليب العربية ذاتها؛ فوصل بها إلى درجة قرّبته من الإتقان المنشود القائم على الوضوح والجمال الفني، ولعلّ زمن البدايات الذي عاش فيه ابن المقفع يبرز قيمة ما قدمه للعربية والبحث الأدبي والفكري ، وكل هذه الدوافع كانت وراء اختيار هذا الموضوع.

إذا كان تحديد التداولية، عموما، كحقل لساني يطرح إشكالاتٍ معقدةً من حيث حدودُه وفرضياتُه ومجالاتُه، وأدواتُه، فإن دراسة هذا الحقل في علاقته بالتراث العربي، يطرح إشكالاتٍ لا تقل عن سابقاتها، تبلورت من خلال الاطّلاع على الكتاب.

ولعلّ من أبرز الأسئلة التي باستطاعة المنهج التداولي الإجابة عنها من خلال المدونة المختارة هي تلك الذي تبحث في طبيعة العلاقة التي تحكم المرسِل بالمرسَل إليه والنص، وبالإسقاط ستدرس العلاقة التي تحكم "بيدبا" الفيلسوف بـ"دبشليم" الملك وعلاقة الحكمة بالسلطة، وسيتم التركيز بذلك على الخطابات السياسية الملمّح بها **لأنّ الحكاية المثلية جعلت الأحداث تدور على ألسنة البهائم والطيور من حيث هي أقنعةٌ لشخصيات آدمية محمّلة بآراء وسلوكات تعكس واقع عصر ابن المقفع**،كما أنّ طبيعة الحكايات المثلية حجاجية حكمية ترمي إلى إحداث تغيير أو ترك عبرة في نفس المتلقي حرصا على تغيير المجتمع وتوجيهه إلى ما

يتوجب فعله أو تجنبه،وهذا ما سيسلط عليه المنهج التداولي الاهتمام، لأن الحجاج يعتبر أحد أهمّ الآليات التي تعتمدها الخطابات السياسية لأجل بلوغ هدفها الأسمى ألا و هو الإقناع.

وكما أن الحكاية المثلية حجاجية تهدف إلى الإقناع، هي كذلك ذات طابع فني جمالي وهذا ما ستكشف عنه الدراسة أيضا.

الدّراسة اقتصرت على مقدّمة وعلى مستويَيْن ؛نظري و تطبيقي، فالأول جاء بعنوان: "**في بلاغة الخطاب واللسانيات التداولية** "، وقد تُطرّق في جزئه الأوّل إلى بلاغة الخطاب و أبعاد التداولية في الدرس البلاغي العربي القديم ؛فتمّت الإشارة إلى المقولات البلاغية من وجهة نظر مقامية تداولية و الإشارة الدّقيقة إلى علوم البلاغة الثلاثة وعلاقتها وتقيّدها بالمقام كسبب كافٍ لإنشاء نظرية مقامية تكشف أنّ اللغة لم تعد مجرّد أداة توصيل بل صارت أداة تأثير.

أمّا الجزء الثاني من النظري فتُطُرّق فيه إلى الجهاز المصطلحاتي و المفاهيمي والنشأوي للتداولية و أقسامها الثلاثة التي اعتُمد فيها تقسيم "كاترين كاربرت أوركيوني"(**C.K.Orecchioni**) – وعلى منهجها حُلّلت أبواب كليلة ودمنة – وهي : **التداولية التخاطبية** (نظرية الأفعال الكلامية).

**التداولية التلفظية** .

**التداولية التحاورية** (التحليل التداولي للخطاب التواصلي).

إضافة إلى **مبادىء و آليات الإجراء التداولي للخطاب عند "مانغينو دومينيك"** (**المبادىء**:مبدأ التعاون، قانون الصيغة،التفاعل و**الأدوات الإجرائية**:(كمتضمنات القول والقوة الإنجازية للفعل،والوظائف التداولية (داخلية وخارجية)، **والحجاج** كميزة من ميزات التخاطب التداولي و كآلية تأثيرية إقناعية.

أمّا الفصل التطبيقي فقد قُسّم ثلاثة فصول تبعا لأنواع التداولية الثلاث السالفة الذكر، وينتهي البحث بخاتمة تتضمن أهم النتائج التي تمّ التوصل إليها بعد الرحلة البحثية،ثمّ قائمة للمصادر والمراجع وملحق .

إنّ طبيعة الموضوع فرضت المزاوجة بين أكثر من منهج كالا**ستقصائي** و**التفسيري، الوصفي، التاريخي** و**التداولي**؛ فبالاستقصاء جُمعت المادة العلمية التي منها أُخذت الشواهد على ما طُرح من أفكار وما نوقش من قضايا، وبالوصف والتفسير حُـللت معطيات هذه المادة ،وبالمنهج التاريخي عُرض لنشأة الدرس التداولي وتطوره، إلى جانب المنهج الأساس للموضوع، وهو المنهج التداولي الذي يبحث في خصائص تداول الملفوظ بين المتكلم والسامع، دون إغفال **المنهج البلاغي** الجمالي الذي يتبيّنُ مواطنَ الجودة والجمال في كليلة و دمنة.

وقد وقفت الدراسة على ضربين من المصادر البحثية والتأليفية :

1 – ما يخص متن الرسالة نذكر منها:تنوّع الأداء البلاغي في أدب ابن المقفع لنوير بنت ناصر.

حكيمة حبي، السياق التداولي في كليلة ودمنة و سارة قظاف، الخطاب السردي في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع، مقاربة تداولية وحسين جمعة،جمالية الخبر و الإنشاء، جمالية الكلمة(دراسة بلاغية جمالية نقدية)،وغيرهم .

2– ما يخص منهج الرسالة: جاك موشلر– آن روبول، القاموس الموسوعي للتداولية و جان سيرفوني، الملفوظية وصابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص وعبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية.

لم تخلُ هذه المهمة من مشكلات ،كما ولا بدّ و أن يشوبها النَّقص شأنها شأن أي صنيع بشري على الرّغم من الجَهد والعناية والمعاناة التي أملاها الشغف بهذا الشأن العلمي الجليل .

وأخيرا فالشكر–بعد شكر الله تعالى وحمده كثيرا– لمن كان من فضل الله علي أن هيأها لي كمشرفة كريمة وأستاذة فاضلة وهي الأستاذة الدكتورة رزيقة طاوطاو –أدام الله علمها وخُلقها النبيل – لقد كانت نعم المشرفة لما قامت به من توجيه ومتابعة وتقويم رغم كَثرة مشاغلها العلمية، سددها الله ووفقها لما تحبه وترضاه.

فإن أصبتُ فلي الأجر، وإن أخطأت فحسبي المحاولة، ومن الله وحده الفضل والتوفيق.

# الفصل النظري

# I–في بلاغة الخطاب

1–تعريف البلاغة وعلاقتها بالتداولية

2–بلاغة الخطاب(المقولات البلاغية من وجهة نظر مقامية تداولية)

3–علوم البلاغة

# II–في اللسانيات التّداولية

1–حول مفهوم وموضوع التداولية

2–نشأة التداولية

3– أقسام التداولية حسب كاترين كاربرت أوركيوني(C.K.Orecchioni)

3–1– التداولية التخاطبية ( نظرية أفعال الكلام)( Illocutoire pragmatique)

3–2التداولية التلفظية (Énonciative pragmatique)

3–3– التداولية التحاوريةConversationnelle Pragmatique )

## I- في بلاغة الخطاب:

بين النظرية **التداولية** والدرس اللغوي التراثي نقاط تقاطع وتماسٍ كثيرة وذلك في عدة مباحثَ ؛منها ما كان مبثوثا في النحو، ومنها ما انضوى تحت مباحث **البلاغة** وعلوم التفسير، فعلى الرغم من أن المنهج **التداولي** تنظير حديث لم يُعرف كعلم مستقل إلا في النصف الثاني من القرن العشرين إلا أنه في الواقع منهج قديم.

وعن أسبقية العرب لمعرفة أصول هذا الاتجاه يقول "سويرتي"(Sweerty) **«إن النحاة والفلاسفة المسلمين،والبلاغيين والمفكرين مارسوا المنهج التداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة وعلما ورؤية واتجاها أمريكيا وأوروبيا،فقد وُظّف المنهج التداولي بوعي في تحليل الظواهر و العلاقات المتنوعة»**[1]

ويمكن أن نسوق تأييدا لذلك ما وضّحه الدكتور"إدريس مقبول" في كتابه "الأسس الابستيمولوجية و**التداولية** للنظر النحوي عند "سيبويهِ"،وما جاء في كتاب "**التداولية** عند العلماء العرب –دراسة **تداولية** لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي- لمسعود صحراوي .

لقد ارتأى البحث أن يطبق بعض مبادئ **التداولية** على كتاب "كليلة ودمنة " ،بما تمنحه هذه النظرية من ثراء على مستوى الإجراء و النتيجة، ولاسيما على مستوى النصوص التراثية لما فيها من مستويات **سياقية مقامية** وتشخيصية وتوفرها على مساحة شاسعة من الطبقات الكلامية "مستويات **الأفعال الكلامية**"على اعتبار أن هذه الأخيرة مبحث مهم من المباحث **التداولية**.

### 1. تعريف البلاغة وعلاقتها بالتداولية:

لا بدّ للبحث أن يقدم بسطة وجيزة عن **البلاغة** في مفهومها العام كي يسهل علينا بعد ذلك الحديث عن بلاغة "ابن المقفع" وأبعاده التداولية. إن من المتفق عليه عند اللغويين –قدماء كانوا أو محدثين-أن **البلاغة** لا تخرج عن أداء الكلام عن حسن وفصاحة لقصد معين كما أشار إلى ذلك "أبو هلال العسكري" (ت390هـ) في حديثه عن أصلها اللغوي ،فهو يرى أن البلاغة سميت كذلك لأننا ننهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه[2] وقد سُئل" ابن المقفع" (ت142هـ) يوما، ما البلاغة؟وهو المتقن للسان العربي،المؤلِّف به والمثقِّف به نفسه ثقافة عميقة أصيلة بليغة فقال:**البلاغة اسم جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة،فمنها ما يكون**

---

(1) محمد سويرتي، اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي (مقال)،مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،مج28، ع3يناير/مارس2000،ص30

(2) ينظر ،عبدالرحمان حسن حنبكة الميدان ،البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها، الدار الشامية؛ ، ط1 ، بيروت، 1996م ص128.

**في الاحتجاج ومنها ما يكون جوابا،ومنها ما يكون ابتداءً،ومنها ما يكون شعرا ومنها ما يكون سجعا وخُطبا ومنها ما يكون رسائلَ**[1] .

لاشك أن هذا التعريف **للبلاغة** لا يصدر إلا عن ذهن منفتح يقتل السؤال بحثا قبل أن يجيب على السائل إن الإجابة نفسَها هي المقولة المأثورة «**البلاغة مطابقة القول لمقتضى الحال**» وبهذا تعد **البلاغة** أحسن ما يتناول إبراز العلاقات **التداولية** في اللغة لأنها تهتم بدراسة مستويات التعبير المختلفة من لفظية وتركيبية ودلالية وما يقوم بينها من علاقات.

ويرى"ليتش" (Leich)أن **البلاغة تداولية** في صميمها إذ إنها ممارسة الاتصال بين **المتكلم** و**السامع** بحيث يحلان إشكالية علاقتهما باستخدام وسائل محددة للتأثير به[2] وليس ببعيد من ذلك ما بيّنه كل من"برلمان" (Perlman) و"تيتيكاه"( Tyteca)في مؤلفهما – مصنف في **الحجاج**:البلاغة الجديدة- من أنّ البلاغة دراسة فن الإقناع ودراسة الوسائل الناجعة للتعبير فالصور والوجوه البيانية تعلَّل تداوليا[3] .

**2. بلاغة الخطاب:(المقولات البلاغية من وجهة نظر مقامية تداولية)**

إنّ **الخطاب** محور مهم في أية عملية اتصالية-كما سيتمّ الإشارة إليه في المباحث اللاحقة- ،الهدف منها إحداث رد فعل مطلوب من **متلقي الخطاب** حول القضية المطروحة ،وإذا سارت في الناس مقولة الأسلوب هو الرجل فقد تمثَّل الأوائل أن الإنسان هو الحديث ،حديثه الناطق ،كما قال الجاحظ(ت255هـ) **«إنما الناس أحاديث فإذا استطعت أن تكون أحسنهم حديثا فافعل»**[4] وكان الناس لا يزالون يؤمنون بسحر الكلام وعظيم تأثيره وما يحدثه في نفس متلقيه،وربما غيرت كلمة أو عبارة أو بيت شعر مجرى الأحداث من النقيض إلى النقيض فقد رُوي عن معاويةَ بن أبي سفيانَ قوله:كدت أفر من المعركة يوم صفين لولا تذكّري" عمرو بن الإطنابة"[5]

أَبَتْ لِي همّتِي وَأبَى بلائِـــــي وكَسْبي الحمدُ بالثمنِ الربيحِ

وإجْشامي على المكروه نفْسي وضربي هامةَ البطل المشيح

وقولي كلما جشأتُ وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

---

(1) ينظر، مصطفى الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب،قسم الأدب دار العلم للملايين، ط18، بيروت، 2008،ص 61.

(2) ينظر ،نعمان بوقرة،الخطاب الأدبي ورهانات التأويل،قراءات نصية تداولية حجاجية،عالم الكتب الحديثة، ط1،الأردن،2012، ص73.

(3) ينظر،صابرالحباشة ،التداولية والحجاج،مداخل ونصوص، صفحات للدراسات و النشر،ط1،دمشق ،2008،ص11.

(4) أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين ،ت،عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر،1960،ج2،ص75.

(5) حافظ إسماعيلي علوي، التداوليات، علم استعمال اللغة ، عالم الكتب الحديث، ط1،الأردن، 2011، ص554.

لأدفعُ عن مكارم صالحات وأحمي بعد عن عرض صحيح

والأمر هكذا منذ تذوق العرب حلاوة الكلام وأساليبه المختلفة ،وقد كانت ذات أثر عظيم فوجدت طريقها إلى نفوسهم،فإذا بهم يأخذون بها وإذا بها تظهر في كلامهم فيقفون أمام ظواهرها وهم في عملهم هذا يفتشون عن سر بلاغتها.

وهنا تلتقي علوم **البلاغة** الثلاثة( المعاني،البيان والبديع)لنرى أن ما يميز خطاباتنا البلاغية هو بالضبط ربط المقال بالمقام ،ومنه تأتي أهمية الدراسة **المقامية** لعلم **البلاغة** كأهم ميزة تقتضيها بلاغة أي خطاب،لإبراز جماليته فيحدث بها التأثير الذي تقتضيه العملية التواصلية في أيّ **خطاب** بليغ وتأييدا لذلك نستحضر ماقاله "تمام حسان"عن **البلاغة** بأنها«**عمل المتكلم على إيصال الشفرة إلى السامع بواسطة رسالة منطوقة خلال قناة اتصال مسموعة في مقام معين**»[1]

فـ**الشفرة** هـي المعنى المقصود و**الرسالة** هي المقال(كل مايقال أو النص أو العبارة)و**القناة** هي المشابهة أو الكتابة و**المقام** هو **السياق**.

## 3- علوم البلاغـــة:

### 3-1- علم المعاني:

إن من المعروف عند البلاغيين أنّ هذا العلم يركّز على الجانب الإيصالي من البلاغة مثلما يرى" الرماني" (ت384هـ) بأنها إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ[2] وقد جاء في "مفتاح العلوم" للسكاكي"(ت626هـ)« **اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة ،وما يتصل بهـا من الاستحسان وغيـره،ليحترز بالوقوف عليها عن الخطإ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحـال ذكـره**»[3] فللوصول إلى درجة الجودة و الإتقان ،على علم المعاني أن يراعي دراسة المقام باختلاف أشكاله،وذلك تطبيقا لمبدإ"لكل مقام مقال"فلمقام التوكيد مقال؛أي نوع خاص من الأسلوب،و لمقام مجرّد الإخبار مقال وهكذا(*)«**فلكل كلمة مع صاحبتها مقام**»[4] « **ولكل ذلك مقدار من الشغل**»[5] فلقد توصل "الغزالي"إلى أثر

---

(1) تمام حسّان، المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة، مجلة فصول، م7، ع3-4، إبريل-سبتمبر،1987،ص27.

(2) الرماني، النكت في إعجاز القرآن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، دار المعارف، القاهرة،ص69.

(3) السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت ، 2000، ص247.

(*) هناك مقام الحذف، مقام التقديم ومقام التأخير، مقام التعريف، مقام التنكير، مقام التشكر، مقام الشكاية، مقام التهنئة، مقام المدح، مقام الذم، مقام الترغيب ومقام الترهيب، مقام الكلام مع الذكي ومقام الكلام مع الغبي...

(4) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تعليق محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،1999، ج1، ص86

(5) الجاحظ، ج1،ص93

المقام في تحديد المعنى فإذا قال **المتكلم** (السلام عليكم)فإن المعنى المفهوم من هذا الكلام يكون حسب **المقام** الذي يستخدم فيه،فقد يكون المقصود التحية وقد يكون الاستهزاء أو اللهو[1]

## 3-2- علم البيان:

لقد جاء عند "السكاكي"(ت626هـ) و أما علم البيان فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطإ في مطابقة الكلام لتمام المراد منها فعلى **المتكلم** أن يختار من أساليب البيان ما يناسب الوفاء بمقصده،وضوحا أو خفاءً، حسب ما يقتضيه المقام بسبب قصور الحقيقة عن إفهام المراد إفهاما يناسب المقام فتمس الحاجة إلى استعمال الألفاظ في غير معانيها الوضعية لكون المطابقة لمقتضى الحال لا تتحقق إلا بهذه الأساليب[2]

وهناك أيضا عبارة **المعنى ومعنى المعنى** ، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل،وذلك بالانتقال من معنى إلى معنى بسبب علاقة بينهما أوَلاَ ترى أنك إذا قلت:هو كثير رماد القدر أو قلت طويل النجاد أو قلت في المرأة نؤوم الضحى؛ فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره ،ثم يعقل السامع من ذلك المعنى ،على سبيل الاستدلال ، معنى ثانيا هو غرضك كمعرفتك من كثير رماد القدر أنه مضياف ،ومن طويل النجاد أنه طويل القامة ومن نؤوم الضحى في المرأة أنها مترفة مخدومة ،لها من يكفلها أمرها[3] وعلى **المتلقي** أن يُلمّ و يحيط بعدة أمور حتى يستطيعَ أن يدرك معنى الكرم في العبارة الأولى، ومعنى الرفعة والعلو في العبارة الثانية،والعز والشرف في العبارة الثالثة وهذان هما المقامان الحضاري والاجتماعي اللّذان لا يمكن أن تفضي العبارة إلى معناها الصحيح إلا في إطارهما فقط.

وقد لا تعود بـ**المتلقي** حاجة إلى معرفة المقاميْن الحضاري والاجتماعي لمعرفة معناها؛ فمثلا العبارة الأولى قد تدل على أن الشخص يعيش حياة معدمة إذا قلت في **مقام** آخر –مقام السخرية- بل إن كثرة الرماد في حد ذاتها ربما كانت دليلا على القذارة وعدم النظافة في مقام الذم.

القصد: تختلف المقامات والأزمنة و البلاد فيحسن في وقت ما لا يحسن في آخر ويستحسن عند أهل غيره ويجد الشعراء تقابل كل زمان بما استجدّ فيه وكَثر استعماله عند أهله[4] فعبارة كثير رماد القِدر في زمننا لن يكون **المتلقي** قادرا – في الغالب- على استنباط معناها الثاني – الكرم- في مقام المدح من خلال معاني ألفاظها

---

[1] ينظر،الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تحقيق محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، 1997،ص39

[2] ينظر،حافظ إسماعيلي علوي،التداوليات،علم استعمال اللغة ، ص571.

[3] ينظر،المرجع نفسه،ص573

[4] الماوردي(أبو الحسن)،أدب الدنيا و الدين،تع،محمد كريم راجح،دار اقرأ،بيروت،ط4،1985ص305

لأن الكرم في زمننا لم يعد يجسد فقط عن طريق تقديم الطعام للضيوف بل إن لفظة "قدر" و لفظة "رماد" لا تستخدمان في كلامنا اليوم لأن طرائق وأدوات الطبخ عندنا متقدمة تقنيا[1] ولهذا فإن عملية التقييد تعني إلغاء دوائر التفكير، وما يُقال في الكناية يقال في غيرها من تشبيه واستعارة وتمثيل إلى غير ذلك من الأساليب البيانية وهكذا نواجه مشاكل أساسة في طرائق معالجة الأساليب البيانية من ناحية دلالية، ولعل هذا مسوغ كافٍ لإدراج هذه الأساليب ودراستها في ضوء المقام.

### 3-3- علم البديع :

إن هذا العلم يركّز على تحسين الكلام وزخرفته وإيقاعه لتجذب الأسماع والقلوب فيعرفه الخطيب"القزويني" «**هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة**» [2]وهذا يبين أن وظيفة البديع تأتي في مرحلة لاحقة بعد تحقيق البلاغة بالمعاني ( مراعاة مقتضى الحال) و البيان (مرحلة الوضوح) وكأنّ البديع إذ يدخل على الكلام فلأجل إضفاء الحُسن عليه ، وهكذا نرى أن الجمال لا يُغفل في الكلام البليغ ولكن دون مبالغة وذلك حتى يتطلبه المعنى «**فالأدب ليس تاريخا أو فلسفة أو بحثا في علم الاجتماع فالناحية الجمالية من شروط الأدبية إذ إنها تجعله – مع غيرها – أدبا ففنًّا من الفنون ،لكن هذا الجمال أو الحسن يجب أن لا يكون مجتلبا بل نابعا من صميم العمل الأدبي ،فأي نوع من فنون البديع لا تكون له قيمة إلا إذا كان المعنى يتطلبه أو يستدعيه** »[3]و هذا ما يعبر عنه "الجرجاني" (ت 471هـ) في أحد أقواله الكثيرة عن هذا الموضوع «**إنك لا تستحسن تجانس لفظيْن إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا**»[4]وفي هذا المنحى قوله «**فمن نصَر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته،و أحاله عن طبيعته** »[5]فالجناس مثلا ليس مقصودا لذاته أو لتحسين اللفظ فقط،و إنما المعنى هو الذي يطلبه «**و ذلك لأن الألفاظ خادمة المعاني و المصرّفة في حكمها**»[6] .

في نهاية هذا المبحث يمكن القول: إنّ **علم المعاني** يُعنى حقا بأساليب بناء العبارة و الجملة وخواص تراكيب الكلام في ضوء الاعتبارات المتعلقة بالمتلقي الذي يفترض أن يكون في حالة تقتضي أسلوبا معينا دون غيره، ولما كان الهدف الإبلاغ و الإفهام كان لا بد أن يراعي إلى جانب ذلك مقاماته الفكرية والعقلية

---

[1] ينظر ،حافظ إسماعيلي علوي ،التداوليات،علم استعمال اللغة،ص571

[2] القزويني،الإيضاح في علم البلاغة،ج1،ص495

[3] ينظر،حافظ إسماعيلي علوي، التداوليات،علم استعمال اللغة،ص585

[4] عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة ،تحقيق هـ.ريتر،اسطنبول ،وزارة المعارف ،ط2 ،1954،ص10

[5] المرجع نفسه،ص8

[6] المرجع نفسه،ص8

والاجتماعية،أما العلم الذي مهمته جلب القلوب بلطائف التعبير فهو **علم البيان** حيث يصوغ المعنى بالأساليب البيانية المتنوعة التي توفرها اللغة للمتكلم فينتقي ما يناسب والحالةَ التي يعيشها و المقصد الذي يرومه وفي نفس الوقت يستخدم تلك الأساليب ليؤثر في المتلقي ليمتعه ومن ثم ليقنعه لما في هذه الأساليب من الأبلغية في إثبات المعنى،ويهتم **علم البديع** –إضافة إلى كونه صنعة شكلية خالصة–بمقام تحسين الكلام و تزيينه وهذا ما يوافق نزعة الإنسان إلى التأثر بمظاهر الجمال مهما اختلفت وتباينت،لتسترق الأسماع و تهفو إليها النفوس فتترك في الإنسان الأثر المنشود.

وإن التقيد البلاغي بالمقام سبب كافٍ لإنشاء نظرية مقامية تكشف لنا أن اللغة لم تعد مجرد أداة توصيل بل أصبحت أداة تأثير ، ولهذا نتمثل أن يكون لهذه النظرية ثمار في تحسين خطابنا المعاصر، وإذن يصبح سوء فهمنا لأي خطاب مرجعه أننا لم نقرأه في ضوء مقامه وفي الوقت ذاته لم نؤسس خطابنا في ضوئه.

## II- في اللسانيات التداولية:

إن اهتمام الإنسان باللغة البشرية قديم، فاللغة أداة تواصل بين الناس، وتوجد حيثما كانوا في المجتمع ولا وجود للغة دون أن تكون وسيلة تواصل[1] ولأنها كذلك ،فقد حظيت بدراسات كثيرة، وخاصة منها العلمية فمنذ عهد "دي سوسير"(De Saussure) اتُّخذت اللغة كظاهرة اجتماعية، وكنظام صوري موضوعا للبحث والدراسة[2]، لكن سرعان ما دخلت هذه اللسانيات البنيوية في أزمة، لأنها لم تقوَ على مواجهة الكثير من المسائل والمشاكل اللغوية بسبب تشبثها ببعض المفاهيم والمبادئ، وقد يبدو ذلك واضحا مع ظهور "تشومسكي"(chomesky) وتوجيهه اللاذع لما أسماه اللسانيات البنيوية التصنيفية، وحتى تشومسكي" قد فشل في اقتراح حل جذري للخروج من هذا المأزق[3] .

ويمكن تقسيم النظريات اللسانية تياريْن:

❖ **نظريات لسانية شكلية صوريَة:**

تتناول البنية اللغوية بغض النظر عن الوظيفة التي وُجدت من أجلها اللغة، وتشمل النظرية البنيوية الأوروبية والنظرية البنيوية الأمريكية.

* **البنيوية الأوروبية:** بعد "سوسير" ظهرت عدة مدارس تتبنى هذا الاتجاه البنيوي كمدرسة "جنيف" وحلقة "براغ" والمدرسة الغلوسيماتيكية والمدرسة الإنجليزية[4].

* **البنيوية الأمريكية:** جاءت مستقلة عن التيار البنيوي الأوروبي، وجاءت لتحل مشاكل متعلقة بعلم الأجناس مع كل من: "فرانس بواس"(Franz Boas)، " إدوارد سابير"(Eduard Sapir)، "بلوم فيلد" Bloomfeild))و"هاريس" (Harris)، ويعد " سابير" أهم روادها إذ نجده يصرح بأن الوظيفة الأساسية للغات هي التواصل إذ أن اللغة وسيلة غريزية خاصة بالإنسان يستعملها لإيصال الأفكار والمشاعر والرغبات عبر رموز يؤديها بصورة اختيارية وقصدية[5]، أما النظرية التوليدية التحويلية فهي من النظريات التي ترى أنه يمكن دراسة اللغة باعتبارها بنية وبمعزل عن وظيفتها، فقد جعلت النحو عملية ميكانيكية لها قواعدها التي تحقق العناصر اللغوية بشكل آلي، كما أنها لم تهتم بوظائف البنيات اللغوية عند حدوث عملية التحويل في مراحل توليد الجمل.

---

[1] ينظر،جون بيرو،اللسانيات، ت، الحواس مسعودي ومفتاح بن عروس، دار الآفاق، الأبيار الجزائر، ص05.

[2] للتوسع في الموضوع ينظر: فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ت، يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986، وينظر، الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية دراسة تحليلية ابستيمولوجية، دار القصبة، الجزائر،2001، ص94.

[3] ينظر،خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة ط2، الجزائر ، 2006 ، ص157.

[4] للتوسع ينظر، الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية، ص94 ، وينظر، ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، دار الأمل، الجزائر، ص97.

[5] ينظر،عبد القادر المهيري،اللسانيات الوظيفية ضمن أهم المدارس اللسانية، المعهد القومي لعلوم التربية، ط 2، تونس،1990، ص39، وينظر، ميشال زكرياء، بحوث ألسنية عربية، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ، ط1، بيروت،1992، ص67.

ولم تراع الواقع النفسي للمتكلم ولا سياق الحديث، واعتبرت اللغة مجرد نشاط عقلي، وهي تعيب على البنيوية وقوفها عند وصف الشكل وعدم تجاوزها إلى التفسير كتوضيح أشكال التحويل من البنية العميقة إلى البنية السطحية.

وهذه النظرية ترتكز على الخطاب أكثر مما ترتكز على المخاطِب والمخاطَب وواقعهيْما النفسي والاجتماعي وظروف الخطاب، وهذا كله ما انشغل به التيار الوظيفي التداولي الذي تجاوز التجريد والبعد عن الواقع اللغوي ورفض فكرة التحويل وجعل لكل عبارة أو كلام وظيفته ومقامه مهما تشابهت هذه العبارات[1].

❖ **نظريات لسانية وظيفية**[*]:

تتجاوز سابقاتها إلى الاهتمام بظروف اللغة في إطار وظيفتها الأساسة "التواصل"، وتأسست هذه النظريات من نتائج الاتجاهات اللغوية التي اهتمت بالجانب الأنثروبولوجي والسوسيولوجي والتداولي للغة[2].

---

[1] ينظر، ميشال زكرياء، التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية(الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط 2، بيروت، 1986، ص07 وما يليها، وينظر،عبد القادر المهيري، اللسانيات الوظيفية، ص39.

[*] وتدخل ضمنها النظريات التي تأخذ بعين الاعتبار البعد التداولي في وصف اللغة ومنها: الدلالة التوليدية، النظرية الوظيفية لمدرسة هارفارد الأمريكية والمدارس الوظيفية الأوروبية التي منها النسقية، والنحو الوظيفي لسيمون ديك، ينظر، أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، ط1 ، الدار البيضاء،1985 ، ص8، وينظر، محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، بيروت،2004، ص28 ، وينظر ، أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، منشورات عكاظ، ، الرباط ،1989، ص13.

[2] ينظر، علي آيت أوشان اللسانيات والبيداغوجيا الأسس المعرفية والديداكتيكية، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط2 الدار البيضاء، 2006، ص38.

## 1- حول مفهوم وموضوع التداولية:

### 2-1- تعريف التداولية وإشكالية المصطلح التداولي:

#### أ- لغـة:

وردت مادة" دول" في لسان العرب" وهي آتية من دَوَل يتداول تداولا، ويقال تداولنا الأمر، أخذناه بالدول، وقالوا دواليك: أي مداولة على الأمر... وتداولنا العمل بيننا بمعنى تعاوناه فعمل هذا مرة وهذا مرة[1].

ومما وضح من هذه اللفظة أنها تعني التداول والأخذ مرة بمرة، وتكاد هذه الإحالات اللغوية، وغيرها من المعاجم الأخرى[2] جميعها تأسس لوجود طرفيْ التداول **الباث** (**Emetteur**) **و المتلقي** (**Récepteur**) كتداول المال مثلا.

#### ب- إشكالية المصطلح التداولي:

إن الخَطوة الأولى لأي نظام معرفي،هي صيانة معارفه في قوالب مصطلحية[3] فنجد (**Pragmaticus**) (**باليونانية**) بمعنى الغرض العملي[4]، والمقامية، الوظيفية، السياقية، الذرائعية، النفعية وعلم التخاطب(بالعربية)، مع وجود فروق؛ حيث البراغماتية تُعنى بخصائص استعمال اللغة عند المتكلمين وشروط صحته، والذرائعية تهتم بالفائدة العملية للفكرة كمعيار لصدقها[5]، أما النفعية (البراغماتزم)؛ فهي مذهب يتخذ القيمة العملية التطبيقية قياسا للحقيقة[6].

#### ج- المفهوم الاصطلاحي للتداولية:

أول من وضع لها تعريف هو "شارلز موريس"(Charles Mouris) يقول فيه:« **إنها دراسة علاقة العلامات بمستعمليها، وهي حسبه تمثل إحدى نواحٍ ثلاثة يمكن معالجة اللغة من خلالها:**

1- التركيب(**La syntaxe**) ويُعنى بالعلاقات بين العلامات فيما بينها.

2- الدلالة (**La sémantique**): وهي تهتم بدراسة العلامات في علاقتها بالواقع.

---

(1) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، ت، عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 2005 ، ج1، مادة "دول"، ص252، 253.

(2) ينظر، الفيروزابادي، القاموس المحيط، دار الفكر، ط1، بيروت ،2003، ص900. وينظر، معجم اللغة العربية(المعجم الوسيط)، دار الدعوة ، ط2، اسطنبول، 1989،ج1، ص304.

(3) ينظر، عبد السلام المسدي،قاموس اللسانيات،الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، ص196.

(4) ينظر، حامد خليل، المنطق البراغماتي عند بيرس مؤسس الحركة البراغماتية، دار الينابيع، مصر، 1996، ص 196.

(5) ينظر، محمد محمد يونس علي، التداولية بين النشأة والتطور، منتديات تخاطب Takatob.com ، 14 أوت2010 ، الساعة 14:00 .

(6) ينظر، آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل ، ت، سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت، 1998، ص28،29.

3- **التداولية: وهي تدرس علاقة العلامات بمستعمليها وبآثار هذا الاستعمال على البنى اللغوية**»[1] ، فهذا تعريف واسع يتعدى مجال اللساني إلى السيمائي[2].

ويعرفها "أوستين"(Austin) – مؤسسها- على أنها جزء من دراسة أعم، «**هي دراسة التعامل اللغوي من حيث هو جزء من التعامل الاجتماعي**»[3]، وفي هذا انتقال إلى دائرة التأثير والتأثر لتحقيق التواصل.

من خلال كل ما سبق: نلاحظ تكرار: استعمال، لغة ، مستعملين... وبتجميع كل هذا يمكن القول: هي مبحث لساني يدرس الكيفية التي يصدر ويعي بها الناس فعلا تواصليا أو فعلا كلاميا غالبا ما يأتي في شكل محادثة.

## 1-2- موضوع اللسانيات التداولية:

يقترح " فندرليش" (Wunderlich)مجموعة من الأسئلة تمثل الإجابة عنها موضوعات للتداولية ولعل أهمها ما يلي: كيف نربط علاقة مع الأشخاص الآخرين بالقول؟ كيف نسهر على بقاء علاقات موجودة سلفا؟، كيف يمكننا التأثير على نشاط وآراء الآخرين؟، وما هي الشروط التي تجعل عملا ما يحفز أو ينجح؟[4]....

أما عن اهتمامها فينصب أساسا على المتكلم انطلاقا من سياق الملفوظات[5]

وتميز " "كاترين كاربرت أورشيوني"(C.K.orecchioni) بين ثلاث تداوليات متجاورة هي: [6]

- **التداولية التلفظية** (**Énonciative Pragmatique**):ظهرت مع" شارل موريس"( charles morris) والتي تهتم بوصف العلاقات الموجودة بين بعض المعطيات الداخلية للملفوظ، وبعض خصائص الجهد التلفظي(مرسل، متلقي، وضعية التلفظ...) التي يندرج ضمنها الملفوظ.
- **التداولية التخاطبية**( **Illocutoire Pragmatique**):(أو نظرية أفعال الكلام)، مع"أوستين وسيرل"، وهي تدرس القيم التخاطبية داخل الملفوظ، وتسمح له بالاشتغال كفعل لغوي خاص.
- **التداولية التحاورية**( **Conversationnelle Pragmatique**):هي حديثة جدا، استوردت أفكارها من الأنثولوجيين، وأثنوميتودولوجي[*] التواصل...، وتهتم بدراسة الحوارات، وبقية التفاعلات التواصلية الأخرى.

---

[1] Charaudeau (Patrick )/ Manigueneau (Dominique), Dctionnaire d'analyse du discours, Paris, Edition de Seuil , 2002 ,p 454.

[2] ينظر،نعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة،منشورات باجي مختار،عنابة، 2006،ص176.

[3] فرانسواز أرمينكو ،المقاربة التداولية، ت سعيد علوش، مركز الانماء القومي، الرباط، 1986، ص95.

[4] ينظر،الجيلالي دلاش،مدخل إلى اللسانيات التداولية،ت،محمد يحياتن،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر ص43.

[5] ينظر، فان دايك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات،ت، سعيد حسن بحيري، ط1، القاهرة،2001 ص 144.

[6] ينظر،إدريس مقبول، الأسس الابستيمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث،ط1 عمان، 2006، ص263.

[*] الأنثولوجيا: هي علم السلالات البشرية ، الأثنوميتودولوجيا: هي دراسة مناهج الناس والطرق التي يفهمون بها عالمهم. ينظر: موسوعة( Wikipedia.com)

وعلى هذا التقسيم، سأعتمد الدراسة التحليلية لكتاب كليلة ودمنة؛لما لخطابات هذا الأخير من أبعاد تداولية يمكن تصنيفها حسب التقسيم السّابق الذّكر.

**2- نشأة التداولية:**

تتناسب نشأتها مع نشأة العلوم المعرفية (علم النفس اللسانيات، فلسفة العقل...) ردا على التيار السلوكي[1] إلا أن بداياتها الأولى كانت مع الرواقيين ثم سقراط" ثم "أرسطو" وآخرون[2].

وحديثا تعود إلى الخمسينيات من القرن العشرين (1956) مع مقالات" تشومسكي" "ميلز"،"نيوال"....أو إلى (1955) مع " جون أو ستين" (Jhon.Austin) وطورها سيرل (Searl) و"جرايس"(Grice)[3].

وكانت متداخلة مع العلوم المعرفية -السابقة الذكر- ولم تستقل إلا مع العلماء الثلاثة السابق ذكرهم[4]

**2-1- إرهاصات التداولية(الأسس الفلسفية للتداولية):**

لقد سارت التداولية في اتجاهين اثنين؛ لساني بوصفها جزءا من السيميائية وفلسفيا في إطار الفلسفة التحليلية.

**أ- عند شارل ساندريس بيرس(S.pierce):**

ربط التداولية بالمنطق والسيميوطيقا وبميدان المعرفة والمنهج العلمي، فالحياة عنده تدرك بفضل نظام من الأدلة؛ فيظهر البعد التداولي في موضوع المعرفة، والبعد التركيبي في الدليل، والبعد الدلالي في الواقع المدلول عليه. لذلك ربط التداولية بالسيميائيات؛ وهي عنده نقل للواقع ووسيلة معرفة واتصال، فتتحدد العلامة اللغوية بحكم استعمالها في تنسيق علامات أخرى من طرف أطراف جماعة معينة [5].

**ب- عند تشارلز موريس(C.Mouris):**

اعتبر-هو كذلك-التداولية جزءا من السيمائيات بتمييزه لفروعها الثلاثة(تركيب، دلالة وتداول) وهو لا يبتعد بذلك عن "بيرس" إلا في البعد السلوكي (نظر إلى الأدلة نظرة سلوكية،كون الجسم يفعل في المحيط وينفعل به)، وهو بهذا حفّز للدراسات النفسية والاجتماعية داخل أنظمة العلامات، وداخل اللغة خاصة،ودراسة الفاعلين والإشاريات[6] .

---

[1] ينظر، آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص27،28.

[2] ينظر، فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان،ت، صابر الحباشة، دار الحوار،ط1، 2007،ص20.

[3] ينظر، محمد أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية ، مصر، 2002، ص 09.

[4]ينظر، قويدر شنان، التداولية في الفكر الأنجلوسكسوني، المنشأ الفلسفي والمآل اللساني، مجلة اللغة والآداب، (ملتقى علم النص)، العدد 17،17 /01، 2006، جامعة الجزائر، ص12،13.

[5]ينظر: الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص08.

محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص09.

نعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص198.

[6] ينظر، الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ص10،12.

**ج- كارل بوهلر(Culer Buhler):**

اقترح صيغة تداولية لتحليل الجملة إذ وانطلاقا من أن الفعل الكلامي يقوم بوظيفة مركزية تحدد البنية للجملة، استخلص أن المتكلمين بهذا، أفراد فاعلون ذووا نشاط لغوي حقيقي،إشارة إلى أفعال الكلام وقد اقترح ثلاث وظائف للدليل اللغوي: تمثيلية (خاصة بالأحداث)،تعبيرية(خاصة بالمرسل)، وندائية( خاصة بالمرسل إليه)[1].

**د-الفلسفة اللغوية:**

تشمل أعمال رواد الفلسفة العادية للغة، والفلسفة التحليلية مثل"غوتلوب فريجه"(Gottlob Frege) (1848-1925)،"برتراند راسل"(Bertrand Russel)(1872-1970)، اللذين ساهما في ظهور الفلسفة اللغوية الأوستينية[2] ،والتي عالجت الظواهر اللغوية من قبيل:الإحالة، أفعال الكلام والاستلزام الحواري...[3] .

**د-1- الفلسفة التحليلية عند فريجه(Frege):**

لقد ميز بين" اسم العلم" ذو الوظيفة الإشارية إلى شيء ما، والمؤدي لمعنى تام مستقل دون حاجة لما يتممه مثل(زيد) وبين "اسم المحمول" ذو وظيفة الدلالة التصورية(**Concept**)،والمؤدي لمعنى عام يشمل أجزاء، ولا يستخدم بمفرده (متعلما) وهو يميز بين"المعنى"و"المرجع"أيضا، وقد ربط بين"الإحالة"و"الاقتضاء" أمَا"رسل"(Russel) مع"فنجنشتين"(Wittgenstein) حاولا إقامة لغة مثالية أفضل من اللغة العادية[*] وانقسمت هذه الفلسفة التحليلية ثلاثة اتجاهات كبرى كمايلي:[4]

- **الوضعانية المنطقية(Positivime logique)** مع"رودولف كارناب" وهي خارجة عن التداولية.

-**الظاهراتية اللغوية(Phénoménologie du langue)** مع" إدموند هرسل" وهي خارجة عن التداولية.

**- فلسفة اللغة العادية(Philosophie du language ordinaire)** مع "فنجنشتين" وتمثل صميم التداولية.

---

[1] ينظر، المرجع السابق، ص13،14.

[2] ينظر، فيليب بلانشية،التداولية من أوستين إلى غوفمان،ص29.

[3] ينظر، أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص15.

[*] فيما يعرف بالنظرية الذرية المنطقية، وهي تحلل الوقائع المركبة إلى أبسط ما يمكن(تفسر العلاقة بين اللغة والواقع)، ينظر محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية ، بيروت ص13،14،43.

[4] ينظر، مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي،دار الطليعة، ط1، بيروت، 2005 ، ص18، وما يليها.

**د-2- فلسفة اللغة العادية عند فنجنشتين:**

اللغة عنده لعبة( Game) كسائر أنواع اللعب التي يلعبها الناس، إذ الكلمة الواحدة تتعدى معانيها بتعداد استخدامنا لها في الحياة اليومية، وحسب سياق ذكرها، وهي (الكلمة) مطاطية تتسع استخداماتها أو تضيق حسب الظروف والحاجات، واللغة ليست كرجل صارم، يعرف دائما ما يريد ويفعل دائما طبقا لقاعدة محددة، وإنما هي كرجل فضفاض متفاعل، له مناشط متعددة يتلاعب بما لديه دون صرامة أو خطة محكمة[1] .

وبهذا ساهم "فنجنشتين" في إيجاد التداولية، إذ جعل الاستعمال هو ما يبث الحياة والحركة في اللغة، وجعل التواصل هدفا، ولكن بحثه لم يرقَ إلى العلمية والموضوعية، إلاَ بعد مجيء" أوستين" وتلميذه"سيرل" المتأثريْن به[2] .

**2-2- مرحلة الاكتمال والنضج:**

**أ- عند" أوستين"**:أنكر أن تكون وظيفة اللغة هي الإخبار[3] فقط، بل تتجاوز-عنده- وظيفة الاتصال إلى التأثير وتغيير السلوك[4].

ويمكن تلخيص أفكاره فيمايلي[5]:

- رفضه ثنائية الصدق والكذب، وتمييزه بين عبارات تكون أفعالا منجزة نحكم عليها بالصدق أو الكذب، وبين عبارات تنجز بها أفعال فلا تحتمل صدقا ولا كذبا.

- إقراره بأن كل قول (Énoncé) عبارة عن عمل، فلما نتحدث بجملة تتضمن "أمرا" فهذا لا يعني مجرد تلفظه فحسب بل نصدر أمرا وهنا نقوم بفعل.(وهذا ما يشير إلى الخبر والإنشاء في البلاغة العربية).

**ب-عند" سيرل"**: أعاد "جون سيرل" نظرية"أوستين" وطورها، وألح على انقسام الفعل اللغوي، وأتى بمفهوم آخرَ هو الأفعال غير المباشرة(Indirects)، وحدد مفهوم الفعل الإنجازي[6]. وهذا ما سنراه بالتفصيل في المبحث الموالي.

---

[1] ينظر، محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، ص52،53،57.

[2] ينظر، مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص23،24.

[3] ينظر، الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص22.

[4] voir , Austin(J). Quand dire c'est faire, Traduction et commonetaire par Gille Lane. Édition du Seuil, 1970-pp 13,14.

[5] ينظر، الجلالي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص22.

[6] ينظر، المرجع نفسه، ص25.

**3-أقسام التداولية حسب كاترين كاربرت أوركيوني(C.K.Orecchioni):**

**3-1- التداولية التخاطبية ( نظرية أفعال الكلام)( Illocutoire pragmatique):**

تأتي أهمية هذه النظرية من أن دراسة الأفعال الكلامية (ما يفعله المتكلمون باللغة من تبليغ وتأثير وإنجاز أفعال...)، يعد من أهم مجالات التداولية، لأنها المجسد الحقيقي للاستعمالات اللغوية في الواقع، وتمثل البنى الصغرى في التحليل، قبل الانتقال إلى البنى الكبرى ( أنواع التبادل الكلامي في المجتمع)[1].

**أ- مع "أوستين"**

**1- ماهية الفعل الكلامي:**

هو التصرف(أو العمل) الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، كالأمر والنهي وغيرها والتي تعتبر"أغراضا تواصلية" ترمي إلى صناعة أفعال ومواقف اجتماعية أو فردية بالكلمات والتأثير في المخاطب بحمله على فعل أو تركه، وبالتالي فاللغة ليست أداة للتواصل(عند الوظيفية) ولا رموزا للتعبير عن الفكر (عند التوليدية)، بل هي أداة لتغيير العالم وصنع أحداثه والتأثير فيه[2]، وقد ميز"أوستين" بين نوعين من الأفعال اللغوية:[3]

أ- **أفعال إخبارية(Des actes constatifs)**: توصف بالصدق أو الكذب (وهذا بعد رفضه ثنائية الصدق والكذب بالنسبة لجمل الإثبات عند المناطقة) فقولنا مثلا (الشمس تشرق من الشرق)، هو فعل إخباري يتأكد صدقه بمطابقته للواقع، وقولنا (الأرض ثابتة لا تدور) فعل إخباري كاذب لأنه مخالف للواقع.

ب- **أفعال أدائية أو إنشائية( إنجازية)(Des actes performatifs)**:إذا نطق بها المتكلم أنجز فعلا(هي عكس النوع الأول إذ ننفي عنها الصدق والكذب)، أما عن شروط نجاح الفعل فيها فهي:[4]

**ب-1- شروط تكوينية:** هي ضرورية ويمكن تلخيصها فيمايلي:

1-وجود إجراء عرفي مقبول كالزواج مثلا، وأن يتضمن نطق كلمات محددة من طرف أناس معينين.

2- أن يكون الناس مؤهلين للتنفيذ والذي يجب أن يكون صحيحا وكاملا.

**ب-2- شروط قياسية:** وهي ليست ضرورية، ولكن حضورها يساعدنا في الحكم على نجاح الفعل أو فشله مثل: الصدق في آداء الفعل، وحسن أدائه.

---

[1]Voir, Moeshler (Jaques), Auchlin(Antoine), introduction à linguistique com-temporaine, Paris, Armand colin, 2000,p 135.

[2]ينظر، مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص10،11.

[3] ينظر، الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التدوالية ، ص22.

[4] ينظر، محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص44،45.

وقد أقر" أوستين" إمكانية الخلط بين الأفعال الإخبارية والأفعال الإنشائية ومثال ذلك قولنا(أنا عطشان): فعل إخباري، يؤدي وظيفة فعل إنشائي بمعنى الطلب (أحضر لي كوب ماء)[1] ، كما أنه «**أقر أن كل جملة تامة مستعملة تقابل إنجاز عمل لغوي واحد على الأقل**»[2].

فقسم الفعل الكلامي التام ثلاثة أفعال فرعية حدوثها يقع في وقت واحد(كيان واحد)، ولهذا يستعمل"محمد يحياتن" مصطلح (تحليل لغوي) عندما يصف تقسيم" أوستين" للفعل اللغوي، فالتحليل يكون فقط للشيء المركب.

وجاء التقسيم الثلاثي للفعل اللغوي كالآتي:[3]

1- **فعل القول (الفعل اللغوي)(Acte illocutoire)**: يتكون من فعل صوتي (التلفظ بسلسلة الاصوات) وفعل تركيبي(إسناد صحيح)، وفعل دلالي (الإحالات التي تجعلنا نوظف هذا الفعل).

**2- فعل متضمن في القول(اللاقولي)(Acte illocutoire)**:هو الفعل المقصود من النظرية[*] وهو الفعل الإنجازي، مثل:السؤال وإجابة السؤال، وعد، شهادة في محكمة...

فالفرق بين النوعين إذن هو أن الأول قول فقط، أما الثاني هو قيام بفعل ضمن قول.

**3- الفعل الناتج عن القول(عمل تأثير بالقول)(Acte perlocutoire)**: هو فعل ثالث يتسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر مثل: الإقناع، الإرشاد...

**2- أقسام الفعل الإنجازي:**

قسمها " أوستين" خمسة أصناف هي:[4]

**أ- أفعال دالة على الحكم (أفعال الكلام)**:تعبر عن حكم يصدر من حكم، قد تكون تقديرية أو ظنية، مثل: قدر، حكم على.

**ب- أفعال دالة على الممارسة(أفعال القرارات)**: تعبر عن اتخاذ قرار لصالح أو ضد شخص مثل: حذر، عين نصح.

ج- **أفعال دالة على الوعد(أفعال التعهد)**: يتعهد فيها المرسل بفعل شيء فيلزم نفسه، أعد، أتقاعد على ،أقسم.

د- **أفعال دالة على السيرة (أفعال السلوك)**:تعمل على رد فعل سلوك الآخرين، كالاعتذار، الشكر، التهنئة الرجاء.

---

[1] ينظر، المرجع السابق، ص45.

[2] آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 31.

[3] ينظر، مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص41.

[*] لأنه يرتبط بمقصد المتكلم، وعلى المتلقي بذل جهده للوصول إلى مفهومه، أما الفعل التأثيري فلا يلزم كل الأفعال، والفعل اللفظي ضروري لانعقاد الكلام، ينظر، المرجع نفسه، ص نفسها.

[4] ينظر، الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص25.

هـ- **أفعال دالة على العرض(أفعال الإيضاح)**: توضح وجهة نظر، أو تبين رأي، فتأتي بالحجج والبراهين مثل: الإثبات، الإنكار، المطابقة والاعتراف.

وفي الأخير، لقد لاحظ "أوستين" أن العمل والتأثير في المخاطب لا يتمان بالكلام فقط، بل غالبا ما يكون هذا الأخير مصحوبا بظواهر أخرى لها صلة وثيقة به وهي نبرة الصوت وملامح الوجه وحركات الجسم[1].

ب-**مع " سيرل"**:

لعل أبرز ما جاء به"سيرل" هو"أفعال الكلام غير المباشرة"، ويمكن تلخيص جهوده فيما يلي [2]:

**أولا**: الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي، وله قوة إنجازية.

**ثانيا**: الفعل الكلامي مرتبط بالعرفين اللغوي والاجتماعي، وهو أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم.

**ثالثا**: وضع معايير صريحة وخارجة عن العلامات اللغوية (لأن أوستين، كان يحلل الدلالة مع المعنى بشكل قائم على الدور، دون توفر معيار خارج العلامات ذاتها، وهذا كله لا يقبل التعميم)، للأعمال اللغوية، لعل أهمها ما يلي:

1- المطابقة بين العلامات اللغوية والعالم الواقعي، فالإخبار مثلا ينحو نحو جعل القول مطابقا للواقع الخارجي بينما تنحو بعض الأعمال اللغوية الأخرى مثل الوعد، نحو جعل الكون مطابقا للقول.

2- الحال النفسية (اليقين، الرغبة، الحسرة)، تعمل حتى عند انعدام الصدق.

3- كثافة الاستثمار في تقديم اللاقول" ، فـ: " اقترح" " أقل قوة من آمُر"

4- التراتبية الاجتماعية تؤثر في القوة القولية، كالأمر والالتماس.

5- إمكانية أو عدم إمكانية إنجاز العمل بطريقة أخرى سوى اللغة (كالتحية دون الكلام، لكن لا نستطيع الوعد دون كلام).

وقد صنف " سيرل" الأعمال اللاقولية خمسة أقسام:

**1- الإخباريات**:هدفها تطويع المتكلم، فتتطابق الكلمات مع العالم، والحالة النفسية تكون اليقين بالمحتوى مهما كانت درجة القوة مثل (سآتي غدا).

**2- الطلبيات**(الأوامر): هدفها جعل المخاطب يقوم بأمر ما، فيجب مطابقة العالم للكلمات، والحالة النفسية تكون رغبة / إرادة مثل " اخرج".

---

[1] Voir, Moeshler (J) Auchlin(A), introduction à linguistique comtemporaine, p136.

[2] ينظر، فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص63-66.

الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص25،26.

محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص49،50.

**3-الوعديات**: هدفها جعل المتكلم ملتزما بإنجاز عمل، فوجب مطابقة العالم للكلمات والحالة النفسية هي: صدق النية، وقد أخذ "سيرل" هذا القسم عن" أوستين" مثل (سوف آتي).

**4-الإفصاحات (التعبيريات)**:هدفها التعبير عن الحالة النفسية بشرط أن يكون ثمة نية صادقة حيث لا توجد مطابقة الكون للكلمات، وحيث يسند المحتوى خاصية إما للمتكلم أو للمُخاطَب، مثل السلوكيات عند " أوستين".

**5-التصريحيات**: هدفها إحداث واقعة، وحيث التوافق بين الكلمات والعالم مباشر دون تطابق مع تحفظ المشروعية الاجتماعية مثل (أعلن الحرب عليكم ).

**رابعا**: قسم "سيرل" الأفعال الكلامية إلى مباشرة وغير مباشرة:

**1-الأفعال المباشرة**: الفعل عنده سلوك اجتماعي تضبطه قواعد ويتكون من:

1-1- فعل القول(Acte d'énociation):التلفظ بكلمات وجمل ذات بنى تركيبية وصرفية ونحوية.

1-2- فعل الإسناد(Acte propositionnel): يربط الصلة بين المرسل والمرسل إليه.

1-3- فعل الإنشاء(Acte performatif):تحقيق القصد المعبر عنه في القول مثل: التحذير، التهديد...

1-4- فعل التأثير(Acte perlocutif): محاولة المتكلم التأثير في السامع، دون أن ننسى دور السامع الذي يريد الوصول إلى مقاصد المتكلم باعتماده على جميع العناصر المفضية للتواصل.

**2-الأفعال غير المباشرة**:

هي أعمال يرمي من خلالها المتكلمون إلى التعبير بشكل ضمني عن شيء آخر غير المعنى الحرفي، مثلما هو الشأن في التلميحات والسخرية، والاستعارات وحالات تعدد المعنى، معناه ينتقل المعنى الحقيقي إلى معنى مجازي مثل: هل تستطيع أن تناولني الملح؟ هو ملفوظ لا يطرح به المتكلم استفهاما، لكن يدعوه إلى تمكينه منه، وهو عمل لا قولي، منجز بطريقة غير مباشرة، وذلك من خلال إنجاز عمل لا قولي آخر.

**خامسا**: قدم تصنيفا آخر يقوم على أسس منهجية وهي: الغرض الإنجازي، اتجاه المطابقة، وشرط الإخلاص.

**ج- نظرية الأفعال اللغوية بعد" أوستين" و" سيرل"**:

تطرق لهذه النظرية، بعد كل من" أوستين"و" سيرل" لغويون كثر، وتناولوا قضاياها وخاصة مفهوم الفعل الإنجازي وشروط قيامه، ومفهوم القوة الإنجازية ووسائل ظهورها في البنية أو إخفاقها، ومن بينهم:

ج-1 " أوزوالد ديكرو": ذكر شروط الإنجازية بقوله: «تكون جملة ما إنجازية إذا أمكن صوغ الفعل المحوري لجملة إنجازية»[1] وفي كتابه" القول واللاقول" (Dire et ne pas dire) حدد نوعا من الأفعال سماه أفعال الرأي وهي:

[1] خليفة بوجادي ، خصائص التركيب اللغوي في " بوابات النور"-دراسة في الوظيفة التداولية-أطروحة دكتوراه، مخطوطة، جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، قسنطينة،2005-2006، ص51.

« **ما يتعلق بالمتكلم، ويعلم به السامع بيقينيات مثل: فكّر، علم، تيقن، تخيل، شك...**»[1] وهي مجموع أفعال الشك والرجحان واليقين في العربية، لكنه يجعل استعمالها مشروطا بإسنادها إلى ضمير المتكلم في المضارع وبارتباطها بمسائل خاصة تتعلق بافتراض حقيقتها أو عدمه.

ثم يميز أفعال الرأي هذه، عن قسم آخر من الأفعال يسمى أفعال الحجاج« **التي تختلف عنها في أنها لا تمثل رأيا لشخص، ولكن تعني الافتراضات المسبقة للرأي نحو: برهن، بين، فند**»[2]

ج-2 " ديترو"(Dutrot)و"ريكاناتي"[3] (Recanati) : هما من الذين انتقدوا" أوستين" في بعض أقسام الأفعال إلى جانب" بنفيست" و" سيرل"، وغيرهما. واقترحا أربعة أقسام فقط هي: أفعال إنجازية، أفعال إدراكية، أفعال قوة الإنجاز، أفعال قوة الإدراك.

ج-3 " ايزنبرج" (Isenberg)1976: انتقد "سيرل"، ويعد مفهوم الفعل الكلام عنده ضيقا جدا، لأنه –حسبه- لا يدرك دمج أفعال الكلام في أنظمة الأنشطة أكثر تعقيدا ولأنه أيضا يتجاهل علاقة أفعال الكلام بأبنيتها السطحية الخاصة بها[4]

ولكن هذا النقد يغفل في الحقيقة الجوانب الأخرى في نظرية " سيرل" ومنها الأبعاد التي يختلف بها كل فعل إنجازي عن الآخر، وأخص بالذكر –هنا- المعايير الاثني عشرة التي وضعها " سيرل" لتصنيف الأعمال اللغوية، والتي تناولناها باختصار في معرض حديثنا عن نظرية الأعمال اللغوية مع " سيرل".

### 3-2التداولية التلفظية (Énonciative pragmatique)

اهتم سوسير باجتماعية اللغة لما ميز بين الجانب الاجتماعي فيها ، والجانب الفردي في الكلام « **ولعل هذا ما جعل اللغة لا الكلام محور وموضوع علم اللغة ، لأن الكلام يتحقق في صور مختلفة لا حصرلها... ولكن هذا لا يعني استحالة دراسة الكلام. فسوسير افترض وجود علمين للغة أحدهما يدرس اللغة والثاني يدرس الكلام**»[5]، يقول سوسير:« **إن نشاط المتكلم ينبغي أن يقوم بدراسة عدد من العلوم وإن لم يكن لها مكان في علم اللغة إلا بقدر علاقته به**»[6]

وبتطور الدراسات اللغوية انتقلت هذه الأخيرة من دراسة اللسان إلى دراسة الكلام«**فلم يعد الكلام عنصرا ثانويا في العملية التواصلية( لم يعد وسيلة ولكن أصبح غاية) ولكن يشكل أساس تحليل الخطاب**»[7]

---

[1] المرجع السابق، الصفحة 51.

[2] Oswald Ducrot : Dire et ne dire, Paris, Herman,1972,p266.

[3] ينظر، فرانسوا أرمينكو، المقارنة التداولية، ص69،70.

[4] ينظر، زتيسيسلاف واورزنياك، ت، سعيد حسن بحيري، مدخل إلى عالم النص مشكلات بناء النص، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،ط1 ، القاهرة، 2003 ، ص29.

[5] ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص79.

[6] فرديناند دو سوسير، دروس في الألسنية العامة، ت، صالح القرمادي، الدار العربية للكتاب، تونس،1985، ص29.

[7] ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص83.

فدراسة الكلام جزء من اهتمام التداولية التلفظية. فما هو التلفظ؟ وما هي الملفوظية؟ وما هي الشروط التي تتحقق ضمنها العملية التلفظية؟.

**أ- تعريف التلفظ** (L'énonciation) **و الملفوظية**(Énoncé):

عرف"إميل بنفست"التلفظ على أنه إجراء اللغة بمقتضى فعل فردي في الاستعمال[1]، أما الملفوظية فقد عرفها بأنها« **عملية تشغيل اللسان عن طريق فعل استخدام فردي**»[2]

إذن التلفظ هو الفعل ذاته الذي ينتج عنه الكلام، والملفوظ كنتيجة لذلك الفعل.

**ب- معنى الملفوظات**(**Le sens des énoncés**)

إن العناصر التي تدخل في معنى الملفوظ بالإضافة إلى السياق هي:[3]

**ب-1- الترابط النصي**: لكي نتمكن من استخدام الجملة كملفوظ لا بد أن تكون متلائمة مع ما قيل قبلها في سياق معين.

**ب-2- الانسجام**:عند ما لا يكون هناك سياق كلامي فلا بد للجملة من أن تكون منسجمة مع الحالة.

**ج- الضمائر**: تلعب الضمائر باعتبارها ظاهرة لغوية دورا في ضمان الإطار التداولي للحديث تقول "أوركيوني":«**الضمائر هي تلك الوحدات اللغوية التي يستلزم عملها المرجعي- الدلالي الاهتمام ببعض العناصر المكونة لحال الحديث بالإضافة إلى الدور الذي يؤديه فاعلو الخطاب والحالة الزمانية والمكانية للمتكلم والمتلقي**»[4]

وسنقف في هذا المبحث عند ضمير الغائب بأنواع وروده في الخطاب وعلاقته بغيره من الضمائر[5]:

- **هو**: ضمير الغائب في مواجهة **أنا** ضمير المتكلم و **أنت** ضمير المخاطب.
- الشخص الثالث(ضمائر الغائب)هو الشخص الأساس، يشكل الدعامة الأساسة للإسناد مثل: إنها صفراء للدلالة على الورقة في السياق التالي: ما لون الورقة؟.

د- **الزمان**(**Le temps**): هو الزمن الذي يتحدد فيه الحدث الذي هو إنتاج الملفوظ.

وأكثر الأشكال تعبيرا عنه مباشرة هو زمن الحاضر اللغوي[6] أما الماضي والمستقبل فمتعلقان به.

**المبهمات الزمانية**: يتجلى الزمن في اللغة بواسطتها ،ولحظة الحديث هي المحور التي تترتب بواسطته وهي كالآتي[7] :

---

[1] ينظر، المرجع السابق، ص85.

[2] جان سيرفوني، الملفوظية، ت، قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998،ص7.

[3] ينظر، المصدر نفسه، ص18،19.

[4] ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص96،97.

[5] ينظر،جان سيرفوني، الملفوظية، ص29،31.

[6] ينظر، المصدر نفسه، ص37.

[7] ينظر، ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص107،108.

**1-المبهمات التزامنية**: استعمالها ودلالتها يقترنان بالحاضر،مثل: الآن(ظرف مبهم) في ذلك الوقت، وإذن(ظروف غير مبهمة).

**2-المبهمات القبلية**: زمنها انقضى وفات مثل:(الأمس، الأسبوع الماضي، قبل ساعات، منذ قليل،اليوم(**ظروف مبهمة**)وفي ذلك اليوم، بعد مرور أسبوع، ساعات قبل ذلك (**ظروف غير مبهمة**)

**3-المبهمات البعدية**:غدا،الأيام المقبلة،فيمابعد،بعد يومين، السنة القادمة(**مبهمة**)، اليوم الموالي، السنة الموالية، بعد مرور يومين (**غير مبهمة**).

**4-المبهمات الحيادية** (**Neutre**):مثل اليوم، هذه الصائفة(**مبهمة**) وفي اليوم الآخر(**غير مبهمة**) وهذه الأخيرة تجعل المتكلم يوظف الأزمنة الثلاثة مثل: اليوم كرهت حياتي (**حاضر-ماضي**)، اليوم أنا كاره حياتي (**حاضر- حاضر**) اليوم سأكره حياتي (**حاضر-مستقبل**)، وعليه فقد صحت فكرة " **بنفست**"في قوله إنّ الحاضر منبع الأزمنة، الزمن الذي تواكبه الأزمنة الأخرى دون الرجوع إليها حقيقة.

**هـ- مكان الحديث** (**Le lieu**):

كثيرا ما تربط مقولة الزمان والمكان ببعضها، ويتأسس المكان في تلك النقطة من الفضاء التي يتواجد فيها في أثناء الحديث (لحظة الحديث)، يقول "مانغونو"(Dominique Mangueneau) «**تتحدد المبهمات الميكانيكية بوضعية المتكلم: الجسدية**(**Position physique**) **إضافة إلى إشاراته**(**Gestes**)»[1]

وتتوزع مبهمات المكان من منظور علم التراكيب إلى قسمين:

أسماء الإشارة: مثل هذه، هؤلاء، وهي مصاحبة لإشارات المتحدث و**الظروف**: مثل هنا /هناك، يسار/ يمين، خلف/ أمام، قرب/ بعد، ... وتتوضح بالسياق.

إن المتكلم يتخذ موقفا إزاء وضعيته في الزمان والمكان، وفي كل لحظة يتخذ موقفا إزاء ما يقول، مفهوم متبلور تحت مصطلح جديد وهو " الأحكام".

**و- الأحكام**: (**Les modalités**)

إن الأقوال تستدعي أحكاما يمكن تصنيفها كما يلي:[2]

**1- أحكام خاصة بالجمل الإثباتية، الاستفهامية، التعجبية،والطلبية**: فالإثبات مثلا هو أن نضع القول محل الصدق أو الكذب وهو مرتبط بالأقوال ذات الصيغ الدالة على الحاضر، والمتكلم يجلب اهتمام المخاطَب بما يقول، كما يفترض مسبقا بأنه مستعد لتمثيل ما هو مصرح به؛ أي أنه طامع في ثقة الآخر.

**2- أحكام تقديرية**: تتضح من خلال مفردات من مثل: لحسن الحظ، لسوء الحظ، نعما، واحسرتاه، ومن خلال التنغيم...

---

[1] ينظر، المرجع السابق، ص 113.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص117،115.

**3- أحكام تعبيرية:** تضم كل الظواهر التي تعين نظام المفردات وانسجامها.

**4- أحكام تحمل فكرة صريحة:** هي منطقية؛ إذ ن كل ملفوظ يحتوي علامات دالة على موقف المتكلم إزاء ما يقول مثل: الموقف الذي يميز الاحتمال والتأكيد،كقولنا" أكيد أن محمدا ذاهب إلى المستشفى".

ويمكن أن نستنتج أن القول الذي يستدعي أحكاما ما يعبر بواسطتها عن خوالج النفس ومكنوناتها، رغبة في التواصل والتخفيف عن آلام النفس وضيقها.

**3-3- التداولية التحاورية(التحليل التداولي للخطاب التواصلي)Conversationnelle Pragmatique )**

**أ- التحليل التداولي للخطاب:**

لقد شكل " تحليل الخطاب"- كمجموعة من الإجراءات – محور نقاش واسع رغبة من الباحثين في إيجاد علم ينظر في الأبعاد الحقيقية لما ينتجه الإنسان من خطابات مهما تنوعت وقبل أن نعرض باختصار، بعض التوجهات النظرية والتطبيقية لتحليل الخطاب ارتأينا أن نحدد بعض المفاهيم الأساسة:

**1-تعريف الخطاب:**

يعرفه"بنفنيست"(Benveniste):« **كل نطق، أو كتابة، تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب، بنية التأثير على السامع أو القارئ، مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها**»[1] إذن الخطاب محور مهم في أي عملية اتصالية، الهدف منها إحداث رد فعل مطلوب من متلقي الخطاب حول القضية المطروحة.

**2- أنواع الخطاب:**

للخطاب أنواع عديدة منها ما يتعلق بغرض الخطاب، كالخطاب السردي أو الوصفي أو الحجاجي...ومنها ما يرتبط بنوع المشاركة كأن يكون حوارا أو مونولوجا، وأخرى تتعلق بطريقة المشاركة مباشرة أو غير مباشرة، وحسب قناة تمريره يكون إما شفويا أو مكتوبا ...[2].

**3- تعريف تحليل الخطاب:**

يعرفه "جورج مونان"George Mounin) بأنه «**كل تقنية تسعى إلى التأسيس العام والشكلي للروابط الموجودة بين الوحدات اللغوية للخطاب المنطوق أوالمكتوب، في مستوى أعلى مستوى الجملة**»[3].

---

[1] مجدي الداغر، الصحافة العربية وقضايا الأقليات والجاليات الإسلامية العربية، مدخل في تحليل الخطاب الإعلامي العربي، المكتبة المصرية، ط1، المنصورة، 2009،ج3، ص15.

[2] ينظر، أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط، ص20،21.

[3] Mounin(George) et autres ,Dictionnaire de linguistique, Presse Universitaire de France, Paris 1984,p26.

فهذا الإقرار بوجود مستوى إجرائي أعلى من مستوى الجملة هو ما جعلنا نأخذ في تحليلنا للخطاب حتى العناصر الخارجية غير اللغوية، وصار ينظر إلى اللغة كونها أفعالا ذات وظائف اجتماعية ومؤسساتية، وقد تمت معرفة القوانين الخطابية التي تتحكم في كل ما يتلفظ به الإنسان من ملفوظات كما سنرى لاحقا.

## 4-مقاربات تحليل الخطاب التواصلي:

### 4-1- المقاربة التبليغية: (الوظيفة التواصلية للغة):

لقد حصر"جاكبسون رومان"(Jakobson Romon) مكونات العملية التبليغية في ستة عناصر: المرسل-المرسل إليه، الإرسالية، السياق الشفرة، الصلة (القناة)، وقد أسند لكل عنصر من هذه العناصر وظيفة؛ الوظيفة التعبيرية للمرسل، الوظيفة التبليغية للمرسل إليه، الوظيفة الشعرية للإرسالية، الوظيفة المرجعية للسياق، الوظيفة الميتالغوية للشفرة، والوظيفة التنبيهية الاتصالية للقناة، ولقد اعتبر الوظيفة التبليغية أهم وظيفة، وباقي الوظائف تتمحور حولها، لأن التبليغ هو الماهية الأولى للغة ويعترف "جاكبسون" نفسه أنه من الصعب إيجاد خطابات تنحصر تماما في وظيفة من هذه الوظائف الست، ومنه فإن الصيغة الكلامية لأي خطاب تخضع للوظيفة المهيمنة.

وتدخل أيضا في إطار هذه المقارنة أعمال" هايمز "(Hymes)، وأهمها مفهوم الملكة التبليغية؛ إذ يرى أن الملكة اللغوية للمتكلم (بمفهوم تشومسكي) لا تكفي وحدها لتأويل وفهم ملفوظات الآخرين، بل هناك مجموعة من القدرات، يكتسبها الإنسان في محيطه الاجتماعي، تسمح له بالتواصل بفعالية في مقامات خاصة، وهذه الملكة التبليغية هي مجموع الوسائل الكلامية وغير الكلامية، تضمن نجاح التواصل إضافة إلى قواعد الاحتياز السياقي Appropriation contextuelle[*]) للملفوظات المنتجة[1].

### 4-2- مقاربة تحليل المحادثة:

تدخل هذه المقاربة ضمن الأعمال التي تعتبر اللغة نشاطا اجتماعيا تفاعليا، ونذكر هنا **التفاعلية الرمزية** مع"غوفمان"(Goffman)، وهو يتناول بالدراسة المحادثات اليومية التي تخضع للاحترام المتبادل بين المتحادثين مع الحفاظ على السير الحسن للمحادثة، إذ ينطلق"غوفمان"من مبدأين تأسست عليهما مختلف المقامات والوضعيات التي تتم بهما المحادثات، أولهما: يحق لأي فرد مطالبة الآخرين بمعاملته أخلاقيا، بما يتناسب ومقامه وذلك عملا بمبدإ المشاركة التي تحدث عنه "غرايس"(Grice).

ومن هذا المبدأ، يطالب المجتمع الفرد بالتحلي بالمكانة التي طالب بها الآخرين الاعتراف بها[2]

---

[*] ينظر، خصائص السياق عند هايمز في مبحث السياق.

[1] ينظر، علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،2000 ص93-96.

[2] Voir, Erving Goffman, La mise en scène de la vie quotidienne, la présentation de soi , Paris, Les éditions de Minuit, p21.

### 4-3- إثنوغرافيا[*] التواصل:

تعتبر هذه المقاربة موضوع اللغة ظاهرة ثقافية اجتماعية تتحكم فيه مجموعة من الوظائف، وقد أسهمت أعمال"هايمز"و"جون.ج.غمبرز" في تطوير هذه المقاربة، ويتعلق الأمر بتحليل[1]

-الطريقة التي يستعمل فيها المتخاطبون تعريفات مختلفة من لسان واحد أو من ألسنة متعددة أثناء التخاطب(مبادئ تبادل السنن والتنويع المشترك الذي يقيمه علم اجتماع اللسان .

- كما تسهم هذه الاختيارات في استراتيجيات التفاعل؛ أي معايير التفاعل التي تسمح بسيره وهي معايير غير لغوية.
- كيف تنشئ هذه الاختيارات أطرا ثقافية لتأويل الملفوظات والتلفظات أي قواعد التأويل التي تضفي دلالات على السلوكات التواصلية في السياقات التي يتحقق فيها الخطاب.
- كيف تشتغل توجيهات التفاعل في الحالة المتواترة للاتصالات بين متصلين ينتمون إلى مجموعات لسانية إثنولوجية ولسانية واجتماعية مختلفة.

### 4-4- إثنوميثودولوجيا[*]المحادثات اليومية:

أساسها هو الذات الاجتماعية التي تنشئ الفعل التواصلي للحقيقة الاجتماعية اليومية، من خلال استراتيجياته الخطابية لبلوغ غايات محددة، وتشمل هذه المقاربة سلسلة التفاعلات عن طريق الملكات والقدرات في سبيل تحقيق نشاطات المحادثات التي تجرى يوميا بين أفراد المجتمع، ومن بين رواد هذه المقاربة:"شغلوف"(Cheglov) "ساكس"(Saxe) وقد حددا أربع مسلمات لتحليل الخطاب[2]

- أن يكون التفاعل منظما بأسلوب مُبنْين.
- تُوجه مساهمات المتداخلين وفقا للسياق.
- تخضع حيثيات التفاعل للنقطتين السابقتين.
- يخضع تحليل التفاعلات انطلاقا من المعطيات الطبيعية.

وتنتظم المحادثة حسب " شغلوف" و" ساكس" وفق النمط التالي:

- **الإجراء الافتتاحي**: يشمل ملفوظات السلام، أو النداء والاستجابة مثلما يحدث في المكالمة الهاتفية.

---

[*] تعني الكلمة فرع من علم الأعراق البشرية، يقدم أوصافا علمية لثقافات المعاصرة ينظر، wikipedia.Org بتاريخ 20 أفريل 2011 الساعة:09:21.

[1] ينظر، صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، ط1، دمشق، 2008،ص130. وينظر، فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص104،105.

[*] تعني الكلمة، دراسة التفاعلات الاجتماعية بين الناس ينظر:.Google. Com.

[2] ينظر، محمد شومان، إشكاليات تحليل الخطاب في الدراسات الإعلامية العربية، الدراسات المصرية نموذجا (بحث منفرد)، المجلة العلمية لكلية الآداب، جامعة ألمانيا ، ص81.

- **الإجراء الاختتامي**: يستخدم فيها المتكلم أشكال الختام ليعلم المستمع بإنهاء التبادل.

**4-5- المقاربة السوسيولغوية**:استطاع "غمبرز" أن يحدد التنوع اللغوي الذي يتجلى في مجموعة لغوية ما باختلاف فئاتها من حيث السن، الجنس، مستوى التكوين، المستوى الاقتصادي، الأصل، العرق،... ويكون هذا قد أسس لعلم اجتماعي لغوي للمستمع المؤول الذي يولي اهتمامه لكل خلل يحدث في أية محادثة باعتبار أن التأويل هو أهم عنصر من نظرية "غمبرز" وحدد الأسباب التي تعيق عملية الفهم المتبادل مثل العناصر التنظيمية التي تظهر وجود تنوع في الاستعمال اللغوي[1]...

**4-6- المقاربة التباينية:**

لقد بلور علماء اللسانيات الاجتماعية نظرة جديدة للألسنة عبر ملاحظة التطبيقات الفعلية لها وذلك خاصة مع "لابوف"(Labov) وحسبه تعود التغييرات التي تصيب اللغة إلى تغييرات في المجتمع، فالألسنة أو التنويعات ليست فقيرة ولا ثرية ولا جيدة ولا رديئة، بل العكس من ذلك فهي تنتظم في هرميات اجتماعية تتقاسم الشفرات بحسب المعايير الاجتماعية فمثلا في الوضعية "المهيبة" نستخدم لسانا نسميه" جزلا "(لسان الطبقات الاجتماعية المهيمنة).

أما في الوضعية " الدارجة" فيستخدم لسان "متساهل" (لسان الطبقات الاجتماعية (المغلوبة)إنها ظاهرة ازدواجية اللغة(Diglossie)[2]

فلعل من مزايا اللسانيات الاجتماعية أنها تجعلنا لا نغفل عن كون اللغة كائنا اجتماعيا.

**4-7- المقاربة التفاعلية بفرنسا وسويسرا** [3]

تأسست هذه المقاربة بسويسرا وفرنسا على أيدي "رولي"(Roulet) و" أوركيوني" (Orecchioni)،إضافة إلى "جاك موشلر" (J.Moeschler)"و"سبيربر" ((Sperber) و" ويلسون" (Wilson).

ويرى " رولي" أن تحليل المحادثة ينطلق من نمطين من الدراسة:

- **الدراسة التراتبية**: وهي تشمل مستويات أساسية:

- **الفعل الكلامي**: وهو أصغر وحدة ينتجها المتكلم، ويربط بدورة الكلام.
- **التبادل**: أصغر وحدة يتشكل منها التفاعل، ويتشكل على الأقل من فعلين كلامين ويسمى كل مكون للتفاعل تدخلا، قد يكون التدخل بسيطا (يتكون من فعل كلامي واحد)، أو معقدا وذلك بحضور العديد من المتحاورين.

---

(1) ينظر، صابر الحباشة التداولية والحجاج، ص130.

(2) ينظر، المرجع نفسه، ص131.

(3) ينظر، محمد شومان ، إشكاليات تحليل الخطاب في الدراسات الإعلامية العربية ، ص84.

- **الدراسة الوظيفية**:التي تسعى إلى إثبات الوظيفة الإنجازية لكل عنصر في التبادل زد على ذلك تجسيد الوظائف التي تربط بين مختلف مكونات التدخل، أما المقاربة التي تعتمد على مفهوم التجانس في تناول المحادثات، طوره "موشلر"و"سبيربر" "ولسون"، فالتجانس في هذا الإطار لا نعني به البناء السوي لمختلف العناصر اللغوية للمحادثة، فهو الناتج عن مجموعة من الغايات التفاعلية، أما ما أضافته " أوركيوني"، في مجال تحليل المحادثة، فهوتحليل المظاهر الأكوستيكية والحركية والإيمائية، التي أهملتها المقاربات الأخرى.

**ب- أبرز عناصر الخطاب التواصلي:**

**ب-1- المرسـل:**

**«هو الذات المحورية في إنتاج الخطاب، لأنه هو الذي يتلفظ به»**[1]

ويختلف المخاطبون وفقا لاختلاف طبيعة الخطاب وغرضه الذي اتجهت إليه الدراسات التحليلية للخطاب للتعرف على إيديولوجيته، تفكيره،تركيبته النفسية، عقيدته، سياسته...، سواء من خلال التركيز على الوحدات أو المقولات النحوية أو الدلالية، أو من خلال الأساليب التي تتوع بتنوع المتخاطبين، ويجب أن تتوفر فيه ضرورات أربعة للحديث وهي: 1- المعرفة( الموضوع) 2- الإخلاص، 3- الحماس؛ 4- الممارسة[2]

بالإضافة إلى أنه يجب أن تكون له وسائل لغوية يستخدمها استخداما مناسبا ويفهمها فهما ملائما[3]وقد قسمها "محمد العبد" عدّة أقسام:وسائل التشكيل الصوتي، الوسائل التركيبية، الوسائل المعجمية والوسائل الخطابية، وهي كالآتي:[4]

**1- وسائل التشكيل الصوتي(Prosodic devices)**: تنوع النغمة والنبر، وجهارة الصوت، وهي وسائل تقوي المنطوق، وتظهر في النص المكتوب كمحددات صوتية سياقية مهمة في تفسير المعنى.

**2-الوسائل المعجمية (Lexical devices)**: وهي تزيد من قوة المنطوق الإنجازية وهي أنواع:

**2-1- المقويات الموجهة إلى المتكلم**: تشير إلى صدق المتكلم وثقته بما يعلم مثل: أعلم على التحقيق أعتقد، واثقة، بصراحة...

**2-2- المقويات الموجهة إلى المستمع**: وهي تشير ضمنيا أو صراحة إلى معرفة المستمع، أو إلى المعلومة التي تضع خلفية مشتركة بينه وبين المتكلم مثل(أنت تعرف)(بالطبع، وتستعمل لإزالة الشك، حتى يوافق على شيء ما).

---

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1 بيروت،2004، ص45.

(2) ينظر،محمد الأمين ولد سيد أحمد، تحليل الخطاب السياسي دراسة إثنوغرافية-اتصالية في الخطاب السياسي الموريتاني، مذكرة ماجستير، مخطوطة، جامعة الدول العربية، القاهرة، نوفمبر،1998، ص59.

(3) ينظر، رتسيسلاف واوزنياك، مدخل على علم النص مشكلات بناء النص، ص87.

(4) ينظر، محمد العبد، النص والخطاب والاتصال،الأكاديمية الحديثة للكتاب،ط1،القاهرة، 2005،ص 310-322.

**2-3- المقويات الموجهة إلى المحتوى:** تثبت صحة القضية المعبر عنها، أو توكيد صلاحيتها مثل:الواقع، مؤكد... مطلقا، تماما، بالضبط...

**3-الوسائل التركيبية:**هي طرق نظم المنطوقات وبناء الأساليب كالاستفهام، إضافة إلى التبليغات التذييلية مثل: (كان يوما جميلا)، وهو يعبر عن مدى التزام المتكلم بالقضية المخبر عنها.

**4- الوسائل الخطابية:**هي وسائل خارجة عن النص( Intra- textual devieces)، أو ما يسمى ما وراء العملية التداولية ومن هذه الوسائل ما يلي:

**4-1- تعيين الفعل الأدائي:**دالة على غرض المنطوق الإنجازي مثل أسألك، أخبرك،...

**4-2- التكرار:** إذا تكرر الشيء تقرر.

**4-3- العلامات الرابطة:** مثل إلى جانب ذلك، علاوة على ذلك...، مع هذا، مع أن ... إذن، هكذا...

**4-4- وسائل ما وراء الخطاب:** تبرز وعي المتكلم الذاتي بمجرى الخطاب، مثل أكرر أقول ثانية...

**ب-2- المرسل إليـه:**

**«هو الطرف الآخر الذي يوجه إليه المرسل خطابا عمدا»**[1]

ويظهر تأثير المرسل إليه على المرسل، عند إنتاجه الخطاب إذ «**تبرز أهمية المتلقي في إعطاء الدالة للخطاب (النص) ذلك أن الجملة تأخذ دلالتها من كونها في وضع تلفظي معين لا من بنائها النحوي والمعجمي**»[2]

كما أن المرسل إليه حاضر في ذهن المرسل عند إنتاج الخطاب، وهذا ما يسهم في حركية الخطاب وفي قدرة المرسل التنويعية ويمنحه أفقا لممارسة اختيار استراتيجية خطابه[3] لذا تختلف درجة إقناع المتلقين باختلافهم، فمنهم من يسهل إقناعه، ومنهم من لا يعير اهتماما لها في الرسالة، ومنهم من يرفض كل سلوكات الباث اللغوية.

- القدرة التواصلية( La Compétence Communicative):

تتسم بسمتين أساسيتين هما:[4]

**1-القدرة التواصلية قدرة شاملة:** معناه هي قدرة لغوية وقدرة تداولية معا، وهذا ما يمكن من إنتاج وفهم عبارات لغوية سليمة في مواقف تواصلية معينة قصد تحقيق أغراض معينة.

**2- القدرة التواصلية قدرة واحدة:**

لكل البشر نفس القدرة على إنتاج أنماط الخطاب وفهمها ، إلا أن بعضهم يفعل ويغذي جوانب معينة كالأدباء(الجانب الفني).

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص47.

[2] محمد الأمين ولد سيد أحمد، تحليل الخطاب السياسي الموريتاني، ص61.

[3] ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص48.

[4] ينظر، أحمد المتوكل، الوظيفية بين الكلية والنمطية، دار الأمان، الرباط، 2003، ص19،20.

**ب–3–السياق (le Contexte)**: يعرفه " فان دايك"(Van Dijk) فيقول":«غير أنه تدخل في السياق إلى جانب المنطوق اللغوي ذاته، مقولات مثل مستخدمي اللغة، أي المتكلم والسامع والحدث اللغوي الذي ينجزونه...والنظام اللغوي الذي يستخدمونه أو يعرفونه...وإلى جانب ذلك مواقع مستخدمي اللغة فيما بينهم(من نمط العلاقات الاجتماعية بين الأدوار)، وفي المقابل أنظمة المعايير الاجتماعية والالتزامات والعادات، باعتبار أن هذه العناصر تحدد بنية المنطوق وتفسيره على نحو منظم عرفي»[1]. ومن هذا التعريف نستخلص خصائص السياق كما وضعها " هايمس"(Hymes) وهي: المرسل، المتلقي، الحضور، الموضوع، المقام القناة (كلام، كتابة، إشارة...) النظام (لغة، لهجة)، شكل الرسالة(جدال، عظة...) المفتاح(التقويم)، الغرض[2]وهذه الخصائص ليست ضرورية كلها في جميع الأحداث التواصلية.وللسياق عدة أنواع نذكر منها[3]

**1– السياق النصي (le contexte textuel)**: هو سياق القرائن.

**2– السياق الوجودي(le contexte existentiel)**: هو سياق مرجعي إلى الواقع.

**3– السياق المقامي(le contexte de situation)**: مثل ما يدور بين طبيبين من محادثات حول حالة مرضية ما، إذ مقامهما العلمي هو الذي يحكم المحادثة.

**4– سياق الفعل(le contexte d'action)**: يتجسد من خلال العلاقة بين طرفي الاتصال.

**5– السياق النفسي(le contexte psychique)**: فيه تدمج الحالات الذهنية والنفسية، فتصبح المقاصد والرغبات مسؤولة عن برنامج الفعل والتفاعل، وهذا الأمر مناط اهتمام التفسير التداولي.بالإضافة إلى السياقين التاريخي والاجتماعي وغيرهما. وفي آخر هذا المبحث نقول إن للسياق أهمية كبرى في التداولية، إذ كانت الدراسات اللغوية سابقا تعزل السياق، فجاءت مفتقرة للشمول، وهو ما غيب حقائق كثيرة؛ تركيبية ودلالية تتعلق باللغة.

## 5– مبادئ وآليات الإجراء التداولي للخطاب عند " مانغينو"[*]

يمكن اعتبار كل ما توصل إليه كل من " أوستين" و"سيرل" بخصوص أفعال الكلام، نتائج معتبرة تمخضت عنها أبحاث مرحلة معينة من مراحل الاتجاه التداولي ارتأى فيها الدارسون ضرورة توسيع مجال الدراسة ليشمل مستوى أعلى من مستوى الفعل الكلامي ألا وهو **المحادثة والحوار**« ونذكر في هذا الخصوص الجهود التي قام بها"غرايس"في تجاوزه لأفعال الكلام كبنى صغرى(micro-structures) واهتمامه بالبنى الكبرى (macro-structures)، المتمثلة في الحوارات والتفاعلات»[4].

---

[1] فان دايك،علم النص،مدخل متداخل الاختصاصات، ص117،118.

[2] ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط2 بيروت،2006، ص53.

[3] ينظر عبد الهادي بن ظاهر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص42-44. وينظر محمدأحمد نحلة، علم اللغة النظامي مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي،دار المعرفة الجامعية 2009 ص65-67.

[*] هو أستاذ في اللسانيات بجامعة باريس مختص بدراسات تحليل الخطاب والاتصالات، والخطاب الأدبي عنده عدولي أي إضماري لذا لابد من حث القارئ على اصطياد كل ما هو مضمر وذلك من خلال عنصرين:الكفاءة اللسانية من أجل الافتراضات المسبقة ومعرفة قوانين الخطاب. ينظر، Pagesperso-orange.fr

[4] فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص99.

وتحليل الخطاب لا يتم إلا بمعرفة القوانين التي تؤسس له باعتباره موضوعا للتحليل التداولي، ويمكن لنا إجمال المبادئ الأساسة التي تحدث عنها" مانغينو" فيما يلي:[1]

**أ– القوانين(المبادئ)**

**أ–1– مبدأ التعاون:** اعتبره"غرايس"(Grice) عنصرا ضروريا لضمان سير الحوار أو التواصل سيرا جيدا لأن قصد المتكلمين لا يكون دائما صريحا، وعليه وجب عليهم– حسب رأيه– أن يتعاونوا لتجاوز هذا العائق فهو يعتبر هذا المبدأ نوعا من الاتفاق الضمني بين أطراف عملية التواصل، يضمن التفاهم، وينبني على أربع حكم أساسة، صيغت فيمابعد على شكل قوانين وهي:

**حكمة الكم( Le maxime de quantité)**: هو المشاركة في الحديث بالقدر الذي يقتضيه الهدف فلا نزيد ولا ننقص، وهو قانون الإخبار، أي إخبار المتلقي بالقدر اللازم من المعلومات وفقط.

**حكمة الكيف(Le maxime de qualité)**: المشاركة تكون مدعومة بالحجة والدليل على القول، فلا تقل ما لست متأكدا منه وهو **قانون الصدق**؛ نقل المعلومات بأمانة ودون مغالطة.

**حكمة العلاقة والمناسبة( Le maxime d'appropriation)**:المشاركة دالة أي مناسبة وذات علاقة وثيقة به. وهو **قانون الإفادة**، أي مطابقة وملائمة الخطاب للسياق الذي يلقى فيه.

**حكمة حكم الكلام (Le maxime de modalité)**: يكون الكلام واضحا بلا غموض ويسود ترتيب في الحجج ويتم تنظيمها بشكل جيد وهو **قانون الشمولية** أي الملاءمة والالتزام بسياق الإلقاء.

وتحصل ظاهرة"الاستلزام الحواري"(**L'implication conversationnelle**) إذا تم خرق إحدى القواعد الأربعة السالفة الذكر.

فالجملة (إن الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز) استلزم حواريا معنى العبارة (ليس الطالب (ج) مستعدا لمتابعة الجامعة في قسم الفلسفة)، لأن فيها خرق القاعدة الثالثة (الملاءمة)، ذلك أنها جواب غير ملائم للسؤال المطروح (هل الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة؟)[2]

**أ–2– قانون الصيغة:** يرتبط مفهومها فيما توحي به صيغ الخطاب الذي يظهر بطريقتين إلى المستقبلين هما:صيغة العرض،وصيغة السرد، وهذا "تودوروف" ربطه ربطا بسجلات (صيغ) القول **أو** الأسلوب بمفهومه الضيق، معناه الكيفية التي يعرض بها السارد خطابه فنجد خطابا إيحائيا، وآخر منقولا ، وخطابا شخصيا...

---

[1] ينظر، جاك موشلار،آن روبول،التداولية اليوم علم جديد في التواصل،ص54،56.

الجيلالي دلاش،مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص33.

مسعود صحراوي ، التداولية، عند العلماء العرب،ص34.

ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 154.

سعيد بولنوار، التداوليةمنهج لساني واستراتيجية لتحليل الخطاب، رسالة ماجستير، مخطوطة جامعة الجزائر،2006.

[2] ينظر، مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص34.

**أ–3– التفاعل:**عندما يتفاعل شخصان فإنهما يقيمان بينهما علاقات ذاتية (Intersubjectives) ويتبادلان المعلومات ويجري التبليغ (التواصل) في ذات الوقت على مستويين أو لنقل يكتسي وجهتين اثنتين: الوجه العلائقي الذي يبرز من خلال النبرة والحركة والإيماءة، ووجه المحتوى الذي يتعلق بالمعلومات الفكرية والمعرفة المجردة[1]

وإن هذه الاعتبارات العامة حول مبدأ التفاعل يجعل من مظهره العيني– الذي هو الحوار– مكون التبليغ الأساس.

**ب– الأدوات الإجرائية:**

**ب–1– متضمنات القول:**« **هو مفهوم تداولي إجرائي، يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة، كسياق الحال وغيره**»[2] فكلامنا العادي إذن يتكون من جانب تصريحي حرفي، وآخر ضمني يستنتج منه، وهذه الإجراءات من متضمنات القول تكون من الافتراض المسبق، والقول المضمر [3]

**1–الافتراض المسبق (Pré–supposition)**: ومضمون هذا المفهوم هو أن المتكلمين ينطلقون في كل عملية تواصل، مما يحوزهم من معطيات مسبقة تمثل خلفية متينة للتحاور وضمانا جيدا لسير التواصل سيرا طبيعيا، وفي هذا تقول "أركيوني":«هو تلك المعلومات التي لم يفصح عنها، فإنها وبطريقة آلية مندرجة في القول الذي يتضمنها أصلا بغض النظر عن خصوصيته»[4].ولتوضيح ذالك نقدم مثلا:[5]

قد يسأل أحد الأشخاص شخصا آخر السؤال التالي: كيف حال زوجتك وأولادك؟.

إن الافتراض المسبق الكامن وراء هذا السؤال هو أن الشخص الذي طرح عليه السؤال متزوج، كما يفترض أيضا أن العلاقة بين الطرفين تسمح بطرح مثل هذا السؤال وعليه فالجواب المنطقي هو: هي بخير، شكرا، والأطفال في عطلة.أما إذا كان الافتراض خاطئا والخلفية الإخبارية غير مشتركة بين الطرفين، فإن رد فعل الطرف الثاني يمكن أن يكون سلبيا أو يدلي بالخبر الضروري، أو يرفض الكل: أنا لا أعرفكم، أنا لست متزوجا، لقد طلقت زوجتي...

وإن الافتقار في المحادثة أو في الحوار على القدر الكافي من الافتراضات المسبقة، يتسبب في حالات عديدة من سوء الفهم أو في فشل التخاطب ككل.

---

[1] ينظر، الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص37.

[2] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص30.

[3] ينظر، المرجع نفسه، ص30–32.

[4] ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص124.

[5] ينظر، الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 33.

**2- الأقوال المضمرة: (Les sous-entendus)**: ترتبط بوضعية الخطاب ومقامه على عكس الافتراض المسبق، الذي يحدد على أساس معطيات لغوية[1] ويمكن أن يوصف بالتأويل. ففي قولنا ( اقترب فصل الشتاء)، يمكن أن يؤول إلى الاستعداد للبرد القارس، تحضير الملابس الخاصة بهذا الفصل،أو تهيئة الطعام[2].تقول " أركيوني" عن الأقوال المضمرة: «**ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات السياق الحديث**»[3] معناه تتحدد حسب السياق.

**ب-2- القوة الإنجازية للفعل**:بعدما تكلمنا عن التلفظ باعتباره إجراء أوليا، وما يتضمن من قول في هذا التلفظ ثانيا، لا بأس من الحديث عن ما ينتج عن هذا التفاعل بما يتمثل في إنجاز الفعل وهو الإجراء الثالث، ويقصد بالقوة الإنجازية «**قوة المنطوق الإنجازية هي جزء من بنيته الدلالية**»[4] أي يقصد بها ما تم تحققا بفعل السؤال، أو الخبر أو الأمر، أو الوعد، أو التحذير... وهذا في مستوى الفعل المتضمن في القول، ويقصد منه الآثار المترتبة عنه لدى المخاطب كالإقناع والتضليل... فالقوة الإنجازية هي إذن «**الشدة أو الضعف اللذان يمكن أن يعرض بأحدهما غرض إنجازي واحد، في سياق بعينه من سياقات استعمال المنطوق**»[5]فهي خاصية المنطوقات لا الجمل وهي صنفان: [6]

**1- قوة إنجازية حرفية**: هي صيغة الجملة(خبر، أمر، استفهام، تعجب) وهي الفعل اللغوي المباشر عند" سيرل"

**2- قوة إنجازية مستلزمة**: لا تعرف من صيغة الجملة الحرفية، وإنما يستدل عليها من مقامها وهي ما تعرف بالفعل غير المباشر.

**ب-3- القصد**:« **لا يسمى الفعل فعلا ما لم يصحبه القصد، وينطبق هذا على الفعل الذهني أو الجسدي**»[7]، فالقصد يبلور المعنى كما هو عند المرسل(كيف عبر عنه في السياق).

**ج- الوظائف التداولية**:وتستند فيها جملة من الوظائف التداولية إلى مكونات الجملة بالنظر إلى المعلومات الإخبارية التي تحملها هذه المكونات، أثناء تفاعلها مع معطيات السياق بكل أبعادها الاجتماعية والحضارية والنفسية واللغوية والمكانية والزمانية.[8]

---

[1] ينظر، مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب،ص32.

[2] ينظر، ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص123.

[3] ينظر، محمد العيد، النص والخطاب والاتصال، ص286.

[4] المرجع نفسه، ص287.

[5] ينظر، سعيد بولنوار، التداولية منهج لساني واستراتيجية لتحليل الخطاب، ص47.

[6] ينظر، المرجع نفسه ، ص 48.

[7] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص188.

[8] يحي بعيطيش، النحو العربي بين التعصير والتيسير، (مقال)، أعمال ندوة تسيير النحو، تنظيم المجلس الأعلى للغة العربية، المكتبة الوطنية، الحامة، الجزائر، 2001، ص125.

وتنحصر الوظائف التداولية في النحو الوظيفي في وظائف خمسة وتقسم -بالنظر إلى وضعها بالنسبة- للحمل قسمين: [1]

**ج-1- الوظيفتان الداخليتان**

**1- الوظيفة المحور:**

المحور هو الذات التي تشكل محط خطاب ما، أو الذات التي تشكل موضوع حمولة المعلومات الواردة في الخطاب، نحو متى رجع زيد؟ رجع زيد البارحة، يشكل زيد محور الجملتين، وهو محط الحديث فيهما ويؤدي وظيفة المحور بمقتضى الوضع التخابري القائم بين المتكلم في طبقة مقامية معينة.

**2- الوظيفة البؤرة:**

تستند الوظيفة البؤرة إلى العنصر من الجملة الدال على المعلومة التي يفترض المتكلم أنها المعلومة غير المشتركة وهنا يميز المتوكل بين نمطين من البؤر (**بؤرة الجديد**) و(**بؤرة المقابلة**) على أساس أن الوظيفة الأولى تستند إلى العنصر الحامل لمعلومة يجهلها المتكلم(في حالة الاستخبار) أو المخاطب(في حالة الإخبار) مثل: ماذا شربت بعد الأكل؟(شربت) كأس شاي.

وأن الوظيفة الثانية تستند إلى العنصر الدال على معلومة تقابل بشكل من الأشكال معلومة يملكها المخاطب.

ويجدر كذلك تقسيم بؤرة الجديد إلى بؤرتين اثنتين(**بؤرة طلب**) **و** (**بؤرة تتميم**) تسند الأولى إلى المكون الحامل للمعلومة التي يطلب المتكلم من المخاطب أن يمده بها في حين الثانية تسند إلى المكون الدال على المعلومة المقصود بها إعداد معلومات المخاطب[2] .

**ج-2-الوظائف الخارجية**

1- **الوظيفة المبتدأ:** «**وهومايحددمجال الخطاب الذي الحمل بالنسبة إليه وراد** »[3]نحو زيد أبوه مسافر ومن خصائصه أن يكون معرفة لدى كل من المتكلم والمخاطب، وأن يرتبط بالمقام.

2- **الوظيفة الذيل:**« **المكون الذي يوضح أو يعدل أو يصحح معلومة واردة في الحمل**»[4] مثل: زيد أخوه مريض لا مسافر زراني محمد بل علي

**3- الوظيفة المنادى:**هو المكون الذي يشكل محور النداء في الجملة مثل: يا زيد قرأت مذكراتك« **فهذه البنى المتضافرة تشكل البنية التداولية التي تحكمها طبيعة التواصل، وشروط الآداء، ثم البنية المكونية**

---

[1] أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية،ص115.

[2] أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1993،ص51،52.

[3] أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص115.

[4] علي آيت أوشان، اللسانيات والبيداغوجيا، ص63.

**وتحددها العلاقات القائمة بين الوحدات اللسانية للبنية وأخيرا البنية الدلالية التي يحددها مستوى تشكيل معنى الملفوظ سياقا و مقاما، وهي التي تحقق التواصل »**[1].

**د-الحجاج:**

**د-1- تعريفه:** هو ميزة من ميزات التخاطب التداولي لأنه يعتبر آلية من آليات التأثير والإقناع ولهذا يقول صابر الحباشة :« **التداولية نظرية دلالية تدمج مظاهر التلفظ في السنة اللسانية، وليست مظاهر التلفظ، في بعض وجوهها،سوى عوامل حجاجية تندرج في الأقوال فتكيف تأويلها وفق غاية المتكلم**»[2]فهو بذلك يتميز بخمسة ملامح هي: يتوجه إلى مستمع، يعبر عنه بلغة طبيعية، مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية لا يفتقر تناميه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة،وليست نتائجه ملزم .[3]

**د-2- أنواعــه:**

يذهب"حبيب اعراب" إلى أن هناك خطابا حجاجيا بلاغيا،وآخر فلسفيا وخطابا حجاجيا تداولي ومن خصائص هذا الأخير أنه" تشخيصي": وهو تجريد ذات ثانية ينزلها المخاطب من نفسه منزلة المعترض على دعواه وهو صريح وضمني، ويتضمن "المقام" وهو يدل على الموقف التواصلي[4]

أما " محمد سالم محمد الأمين الطلبة " فيذهب إلى أن من أهم أنواعه ما يلي:[5]

1- **الاحتجاج بالسلطة:** مستمد من المكانة السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية لمرسل الخطاب.

2- **حجاج القوة:** يسوده التهديد، وهذا عادة ما يكون في الخطاب السياسي.

3- **المحاججة الجماهيرية:** يكون إلى جماعة معينة لأجل إقناعهم بأمر معين.

**د-3- تقنيات الحجاج:** هي ثلاثة أنواع: [6]

1- الأدوات اللغوية(العوامل والروابط الحجاجية):وهي تربط القول بالمقام والقصدية، وتكون حرفا، اسما مفردا، جملة، صوتا... ومنها **ألفاظ التعليل والسبب**(كلمة السبب والمفعول لأجله) **والروابط التنظيمية أو الترتيبية** (وأما بخصوص، قبل كل شيء...) **ومنظمات مكانية وزمانية**(تارة أخرى، من جهة أخرى...) **ومنظمات عددية** (مثل: أولا، ثانيا، ثالثا...)بالإضافة إلى **الحجاج بالتبادل** كأن يقول المرسل (عامل الناس كما يعاملوك) إضافة إلى الوصف بالصفة واسم الفاعل، واسم المفعول...

---

(1) المرجع السابق، ص64.

(2) صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، ص20.

(3) ينظر محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان تطوره في البلاغة المعاصرة، عالم الفكر، ط2 الكويت،2000، ص61.

(4) ينظر حبيب اعراب،الحجاج والاستدلال الجحاجي(عناصر استقصاء نظري)عالم الفكر، مجلد دورية محكمة، الكويت 2001، ص97.

(5) ينظر، محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1 بيروت، 2008،ص 199-201.

(6) ينظر، عبد الهادي بن ظافر شهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص478 وما يليها.

**2- الآليات البلاغية: ومنها:**

**2-1 تقسيم الكل إلى اجزائه.**

**2-2 الاستعارة.**

**2-3 التمثيل**

**2-4 البديع**

**3-السلم الحجاجي:**

هو مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بشرطين وهما:

أ- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي تدونه معناه « **الحجة لا تكون حجة بالنسبة إلى المتكلم إلا بإضافتها إلى النتيجة مع الإشارة إلى أنها قد يصرح بها وقد تبقى ضمنية**»[1]

مثال: أ- ماذا تريد أن تفعل اليوم؟ والنتيجة الضمنية

ب- ألا ترى أن الطقس جميل؟ هي الخروج للنزهة مثلا

كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه، وله ثلاثة قوانين هي: قانون الخفض، قانون تبديل السلم، وقانون القلب، ويصدق هذا في الإثبات مثل: عبد الله من أكفىء الضباط: قد نال ميدالية التقدير من الدرجة الأولى، ونال وسام الملك فيصل من الدرجة الأولى، ونال مؤخرا وسام عبد العزيز من الدرجة الثانية.ويمكن تمثيلها في السلم الحجاجي كمايلي :

كفاءة عبد الله.

- وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الثانية.
- وسام الملك فيصل من الدرجة الأولى.
- ميدالية التقدير من الدرجة الأولى.

فنيله ميدالية التقدير هي حجة أولى على كفاءته، والوسام الثاني هو حجة أقوى من الحجة الأولى، أما الوسام الثالث فهو أقوى الحجج على كفاءته، ويصدق هذا أيضا على النفي مثل: فلان بخيل لا يقرض أحدا ولا يتصدق ولو طلبته ذنبا من ذنوبه لا يعطيك. ونضيف أيضا في هذا المبحث:**القوة الحجاجية و الوجهة الحجاجية**[2]

فالأولى تعني أن المحتوى الدلالي لكل قوة يتكون من واجهتين هما : الإخبار والحاجة مثل:اعلم أن المصلحة في أمر ابتداء الدنيا إلى انقضاء مدتها امتزاج الخير بالشر فهناك حكمان، حكم أولي عن الدنيا

---

[1] شكري المخبوت، نظرية الحجاج في اللغة، منشورات كلية الآداب، جامعة منوبة، ص36

[2] ينظر،حماد صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، دار الفكر،بيروت،2008 ص61.

وقوة تأثيريه بالقول من خلال(اعلم) تجعل القول يتخطى عتبة الإخبار إلى الحجاج، حيث يروم تغيير سلوك الإنسان ونظرته إلى الكون.

أما الوجهة الحجاجية فهي أحيانا ما تكون أهم من المضمون القضوي أو الخبر الذي يتضمنه القول مثل كلمة (مصلحة) في القول السابق فهي موجه تثميني (Appréciatif)،أهم من الخبر ذاته، وهناك موجهات التفضيل والمقارنة(Evalitifs) كل هذه الموجهات هي ما يعرف بمقصد المتكلم وغاياته.

# الفصل التطبيقي

# الفصل الأوّل:تحليل أبواب كليلة ودمنة حسب نظرية الأفعال الكلامية

- ❖ تداولية عناوين القصص وإيحاءاتها الدلالية:
- ❖ الأفعال الكلامية في كليلة ودمنة:

1- الأفعال الإخبارية(التقريريات الإثباتية)

2- الأفعال الطلبية: (التوجيهيّات)

3-الأفعال الالتزامية(الالتزاميات)

4-الأفعال التعبيرية(التعبيريات)

5-الأفعال الإيقاعية(الإعلانيات)

- ❖ الرسم الشجري للأفعال الكلامية في كليلة ودمنة

**تحليل أبواب الكتاب حسب نظرية الأفعال الكلامية:**

يتناول هذا الفصل دراسة أفعال الكلام في كتاب "كليلة و دمنة"،و هي تنضوي في البلاغة العربية ضمن مباحث علم المعاني،وتتعلّق بوجه خاص بأساليب الخبر و الإنشاء والاستعمال اللّغوي لكثير من الجمل ضمن سياقات محدّدة،يُسهم في تنمية معانيها و اتّساعها، و الواقع أنّ هذه القضايا لا تتّضح إلّا في أفعال الكلام أين تظهر اللّغة بظهرها الفعلي الحَدَثي الذي ينجم في الواقع من إحداث سلوك ما أو تغييره وبذلك يمكن القول بنجاح الخطاب أو إخفاقه،و هذا ما يتوخّاه هذا الفصل؛ و ذلك بمعالجة أكثر الأساليب فعالية من أجل ضبط بؤرة الانتباه و الإبقاء على الاهتمام و التأثير.كما يبيّن كيف أنّ الأفعال الكلامية في"كليلة و دمنة" لم تقتصر على نقل الخبر أو وصفه فحسب و إنما نطق بها المتكلّم لينجز المخاطَب فعلا و هذا هو الغرض من الفعل الكلامي،ثمّ يبيّن كيف أنّ بعض الأغراض تخرج من معناها الحقيقي إلى آخرَ؛ كخروج الاستفهام مثلا من طلب الجواب إلى الأمر، وذلك لتوفّر القرائن المقاميّة،ممّا يجعل المقام منسجما مع المقال.

وقبل الولوج إلى دراسة الأفعال الكلامية في قصص الكتاب،لا بدّ من التّعريج على الإيحاءات الدّلاليّة لعناوين القصص،باعتبار أنّ العنوان أهم عنصر في النص كونه يهيّء الأرضيّة للمتلقّي لاستكناه متن النص و تسهيل كيفية الوصول إلى ما يريد الكاتب أن يوصله إليه.

❖ **تداولية عناوين القصص وإيحاءاتها الدلالية:**

عادة ما يتميّز العنوان بالإيحاء الدّلالي،حيث ينطوي على معنى مركزي يؤطّر القصّة،و يشير إلى عالمها التّخييلي وحسب "جاك دريدا" **يشبه«الثريّا التي تحتلّ بعدا مكانيّا مرتفعا يمتزج لديه بمركزية الإشعاع على النص»**[1].

يعدّ العنوان بهذا واجهة القصّة الأماميّة التي قد تشير مباشرة إلى متن القصّة وتؤطّرها ،كما في القصص المسمّى واقعيا ،وقد يكون العنوان قريبا و مضلِّلا،يلفت انتباه القارىء و يشدّه إليه،فيدفعه إلى المتن،لفهم العنوان[2]

ويمكن النظر إلى العنوان"كليلة و دمنة" من زاويتين؛ الأولى،داخل السياق و الثانية من خارجه،و لا بدّ من التعويل على المستوى السّياقي،لأنّه يشكّل وحدة«**مع العمل على المستوى السيميائي و يملك وظيفة مرادفة للتّأويل عامّة**»[3].

---

[1] سلمان كاصد،عالم النص،دار الكندي،الأردن،2003،ص15

[2] ينظر،حسين خالفي،البلاغة وتحليل الخطاب،دار الفارابي،بيروت،ط1، 2011،ص181-182

[3] عبد الله بن المقفّع،كليلة و دمنة للفيلسوف الهندي بيدبا،تع،إبراهيم شمس الدين،منشورات الأعلمي،بيروت،ط1 ،2002،ص 16.

والنوع الثاني هو المتواتر في "كليلة ودمنة"لأنّ عناوينها كلّها جاءت تتقدّم القصص وتعطينا فكرة مسبقة عنها هذا ما توحي إليه القراءة الأولية، لعنوان الكتاب"كليلة ودمنة" الذي يُترجم شخصيتين معروفتين بالدّهاء في العلم والأدب، وكأنّ الكتاب كلّه تدور قصصه حولهما، ولكن بقراءة متن النص نجد أمرا مخالفا لما يتوقّعه القارىء وهذا ما يبيّنه التّركيب النّحوي للعنوان الذي يشكّل جملة اسميّة مسلوبة الخبر، هذا الأخير الذي على القارىء البحث عن ثناياه في متن النصّ.

ولعلّ سرّ التّسميتين "كليلة ودمنة"هو أن يشار بهما إلى الثنائيات الضديّة التي تنبني عليها قصص الكتاب(الخير والشرّ) فعناصر المادّة الأخلاقية في الكتاب متناثرة في ثنايا الحكايات كلّها و هناك ما يقابلها مثل الصّديق في مقابل العدو، الأخلاق الحسنة في مقابل الأخلاق السيّئة.

وقد جاءت قصص الكتاب في خمسة عشر بابا على لسان الحيوان،فقد استُنطق هذا الأخير لأجل إيصال موقف المبدِع إلى متلقّيه بل إلى السّلطان أحيانا،معتمدا في ذلك على الحِيَل و الدّسائس و المكر و الخداع في وصفه لعوالم خيالية ليسلم من البطش العقاب فيما لو وجّه الانتقاد بشكل صريح و مباشر فهو نفسه يقرّر ضرورة استخدام الرّمز[*] في نصائح السلطان في أحد أمثاله القصصية عن الوزير العاقل**«و لم يكن كلامه كلام عنف،ولكنه كلام رفق و لين،حتّى إنّه ربّما أخبره ببعض عيوبه،ولا يصرّح بحقيقة الحال،بل يضرب له الأمثال و يحدّثه بعيب غيره،فيعرف عيبه فلا يجد مَلِكه إلى الغضب عليه سبيلا»**[1].

قد تخيّل الكاتب في قصص الكتاب أنّ الناس قد انقلبوا إلى حيوانات تحت أسماء مختلفة،فتارة تجدهم أسودا،وأخرى أرانب، ومرّات ثيرانا أو غربانا أو حمامات و غير ذلك،إنهم أناس يعيشون في هذه القصص تحت ستائرَ تُصوّرهم حيوانات بفضائلهم ونقائصهم،ومن خلال أحاديثهم و أوصافهم و أفعالهم وحركاتهم وسكناتهم وكل حيوان وصفه "ابن المقفع" بما يناسبه من صفاته التي اشتهر بها في الواقع ففي الأسد رمز القوة الجسدية،متكبر مغرور وضعيف الرّأي، والثّور بصير بأموره مستقيم في عمله،وابن آوى(دمنة)داهية طموح،و(كليلة)طيّب القلب نصوح، والغراب محتال ذكي...وهكذا، و بهذا وافق بين الرّمز والمرموز إليه.فهو يحاول أن يراعي بين طبيعة الأسد بقوّته و ظلمه و بين الملك الظّالم الذي لا يأبه بالنّصيحة التي تأتيه من العقلاء.

---

[*] أطلق الرمز على الخفي من الكلام ومثاله ما أورده الطبري (ت 310 )في تفسيره: « وكان يكلم الأبطال رمزا»، فاستنتج أن الرمز حديث خفي، وأنه يكون بالتلميح دون التصريح ولا يختلف في ذلك كثيرا المحدثون، أحمد اسماعيل شكوكاني، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005، مج7، ص 122، ويعرفه غنيمي هلال بأنه:" الإيحاء أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى على أدائها اللغة في دلالتها الوضعية، غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، ط3، 1983، ص 398.

[1] ابن المقفع،كليلة و دمنة،باب البوم و الغربان،ص190

و بهذا يكون أدب"كليلة و دمنة"أدبا رمزيا تختبيء وصاياه خلف حكايات دارت أحداثها على لسان الحيوانات والبهائم لأنّنا ننال بالتّلميح مالا نناله بالتّصريح مصداقا لقوله صلّى الله عليه وسلّم:(**من أراد أن ينصح السّلطان بأمر فلا يبديه له علانية ولكن فليأخذ بيده فيغلو به فإن قبل منه فذاك و إلاّ كان قد أدّى الذي له عليه**)[1].

وهذه دعوة نبوّته إلى عدم المجاهرة و حسن التلطّف في الإنكار و النّصح والنّقد ليكون أدعى للقَبول.

❖ **الأفعال الكلامية في كليلة ودمنة:**

**1- الأفعال الإخبارية(التقريريات الإثباتية):(Les Asseritives probantes)**

لا بدّ من الإشارة إلى أنّ طبيعة الخطابات السّردية،تبيّن أنّها في الأصل إخباريّة وقد وجد"سعيد يقطين" تخريجا منهجيّا لسرديّة الخبر في "كليلة ودمنة"حين صنّفه ضمن كتب الأخبار التّخييليّة[2] فالسّرد و الخبر بهذا بنيتان متلاحمتان يصعب فصلهما فالخبر نواة مركزيّة في كلّ عمل سرديّ،وسيتم البحث عن ملامح كل منهما منفردةً وفي علاقتهما مع البنية الأخرى.

وكتاب"كليلة ودمنة"يصنَّف ضمن كتب الحكايات المثليّة التي تطبع بطابع التّمثيل،والذي يعكسه المبنى الإخباري السّردي،وقد عمد "ابن المقفّع"إلى تقنية التّمثيل لأنّه و كما يقول "عبد المجيد قطامش":«**إذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق وآنقا للسّمع،و أوسع لشعوب الكلام**»[3]فالتّمثيلة بهذا المعنى تنبني وفق مقوّمات الاتّصال،فالقصص المثلية لكليلة ودمنة امتزجت فيها الأخبار بالأمثال، وذلك لدلالة المثل على صحّة الخبر في ذهن المتلقّي وهذا هو جوهر وغاية الأفعال الإخباريّة« **فغايتها الكلامية تكمن في جعل المتكلّم مسؤولا عن وجود وضع للأشياء** »[4].

و تمثيل المعقول بالمحسوس[*]هو الموجود عند "ابن المقفّع"في "كليلة ودمنة"لأنّها تعبّر عن حِكم ومعانٍ تمثّل تجاربه الخاصّة والنّاشئة من تعامله مع الآخرين،وما استقاه من آداب الأمم الأخرى،فانظر إلى قوله:« **العلم والحياء إلفيْن متآلفيْن لا يفترقان متى فُقد أحدهما لم يوجَد الآخر،كالمتصافيين إن عدم منهما أحد**

---

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل،مؤسّسة قرطبة،القاهرة،ج3،ص403

(2) ينظر،سعيد يقطين،السّرد العربي مفاهيم وتجليّات،رؤية للنّشر و التوزيع،القاهرة،ط1،2001،ص120

(3) عبد المجيد قطامش،الأمثال العربية،دراسة تاريخية تحليلية،دار الفكر،دمشق،ط1،1988ص255

(4) عمر بلخير،تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التّداولية،منشورات الاختلاف،الجزائر،ط1،2003،ص160

لأن التمثيل في أصله لا يخرج عن ثلاث صور هي: إبراز المعقول الغامض في صورة محسوسة أو إبراز صورة بلغت من الدقة حدّ كبيرا لتركب أجزائها أو (*)الدلالة على التساوي بين أمرين، محمد شادي، أساليب البيان والصورة القرآنية، دار والي الإسلامية، ص 85.

**لم يطب صاحبه نفسا بالبقاء بعده تأسّفا عليه»**[1] فالعلم والحياء أمران عقليّان متلازمان مُثّل لهما بأمر محسوس وهما المتصافيان اللّذان يصعب التّفرقة بينهما.

ويكمن سرّ جمالية التّمثيل عند"ابن المقفّع"،في اجتماع أدواته واستحكام معانيه وحسن إبرامها و تشعّب فوائده ؛فهو يخاطب العقل الإنساني و يهذّب السّلوك النّاشيء عنه.

وتمّ تصنيف الأفعال الإخباريّة -بحسب ورودها في الكتاب- كما يلي:

**أ- أفعال التّأكيد:**

تختلف أضرب الخبر حسب طريقة إلقائها للمخاطَب تبعاً لأحواله في قَبول الخبر أو إنكاره ولهذا يحتاج المتكلم إلى توكيد خبره بمؤكِد أو أكثر حسب الحاجة في الخطاب **«وهذا هو الشيء الحسن في الخطاب البلاغي، فحُسْنه تقويته بالمؤكّدات المراعية لحال السامع»**[2].

لقد اتّضحت كَثرة هذا النّوع من الأفعال الكلامية في الكتاب،حيث تراوحت أنواع التّأكيدات في "كليلة ودمنة"بين تلك المؤكَّدة بمؤكِّد واحد وبين ما أكّد بمؤكّدين فأكثر، و ما لم يكن من النّوعين السّابقين فهو خبر ابتدائي(وهو ما لايهمّنا في هذا المبحث لأنّه إن كان المخاطَب خالي الذّهن في قَبوله للخبر فلا حاجة للتّأكيد) لوحظ عند" ابن المقفّع"الأساليب المؤكَّدة بمؤكِّد[*] واحد ، وما جاء منها كان بـ:أنّ وإنّ ، لن،أمّا،قد، الباء و من الزائدتان ،كأنّ،نون التوكيد الثقيلة ، القسم و الفصل.

ومن أمثلة ذلك[3]:

**(أنّه كان بأرض دسْتاوند رجل شيخ)،(إنّ صاحب الدّنيا)،(لن يدركها إلاّ بأربعة أشياء)،(أمّا الثالثة)،(رأى الذّئب ما قد أدركه)،(غير آخذ برأي أحد)،(ما ليس من شأنه)(يصوّر في الحيطان صورا كأنّها داخلة وليست بداخلة)(لا يصغرنّ عنده أمره)(لا تهابنّ)(و لعمري ما يستطيع أحد)(جئنا أنا و أنت).**

---

(1) ابن المقفّع،كليلة ودمنة،ص15

(2) حسين جمعة،جمالية الخبر و الإنشاء(دراسة بلاغية جمالية نقدية)،منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2005،ص55

(*) مؤكّدات الخبر كثيرة و هي:إنّ،أنّ،كأنّ،لكنّ،لام الابتداء،أمّا،قد،السين،الفصل، القسم،نونا التّوكيد،لن، الحروف الزّائدة(الباء و من)،حروف التّنبيه(أما، ألا)،واسمية الجملة.ينظر،أحمد مطلوب وكامل الحسن البصير،البلاغة والتّطبيق،وَزارة التّعليم العالي و البحث العلمي،العراق،ط2،1999،ص108-114

(3) ابن المقفع،كليلة و دمنة،الباب الأوّل،ص 77-124

والغرض البلاغي من التّأكيد بمؤكِّد واحد –كما هو معروف–هو إذا كان المتلقّي شاكّا في صحّة الخبر، و المتلقّي الأوّل[1]هنا هو الملك دبشليم–وقد عُرف عنه الجبروت و الظّلم لرعيّته–و هو هنا يطلب من رأس البراهمة الفيلسوف"بيدبا"أن يكتب له الحكمة بأسلوب مسلٍّ وفي كلّ مرّة يطلب منه أن يضرب له أمثالا عديدة مرّة عن المتحابيْن اللّذيْن يقطع بينهما الكذوب المحتال،و مرّة عن استمرار أواصر المحبّة و الإخاء إلى غير ذلك،وعلى "ابن المقفّع"أن يحسن مراعاة مقتضى الحال قي أثناء ترجمته للنص المنقول ويراعي بذلك موقف"بيدبا"تجاه طلب الملك علما أنّ بيدبا يحترس لأن يكون لدى المخاطَب(الملك) شكّ في الخبر أو عوامل شكّ أو إحجام عن قَبول الخبر.

ومتى زادت حيرة "دبشليم" وتردُده في قَبول ما يخبره به "بيديا" استعمل هذا الأخير في الخبر أكثر من مؤكد،ومن أمثلة ما جاء به:

**"وأما الثور فإنه خلص من مكانه"**

**"وقد قالت العلماء إنّ ثلاثة لا يجتري عليهن إلا أهوج"**

**"فلما عرف منه أنّ الأسد قد عجب منه"**

**"فإنّ اللص ليس هو الذي سرقني"**

**"إنك أيها الملك لذو فضيلة"**

إن الغرض البلاغي من توظيف أكثر من مؤكد هو أن المتكلم (بيديا) يريد التأكد أنّ إمارات الشك والإنكار قد زالت عن المخاطَب (دبشليم) وهذا ما يظهر الزخرف الداخلي للمؤكدات فيَبرز الكلام بأسلوب جمالي بديع نَدِرٍ وقوعُه في غير اللغة العربية.

وبمعايير سيرل (Searle) يكون الفرق بين النوعين السابقين (الخبر الطلبي والخبر الإنكاري) فيما سماه "درجة الشدة للغرض المتضمن في القول"[2] ومعنى ذلك أننا نجد جملتين تتشابهان في الغرض المتضمَّن في القول وما يعرف بالمقصود من الكلام غير أنها تختلف معانيها وتتنوع بتنوع السياق الذي ترد فيه، وهذا ما يجعلهما تتفاوتان في القوة الإنجازية.وفي ختام هذا الجزء من أفعال التأكيد يمكن القول إنّ الجملة الخبرية المؤكَّدة تتخذ أسلوبا جديدا متنوعا لوساطة المؤكدات أو الشرح والتفصيل وهو أسلوب يعتمد على المخزون الشعوري الفياض وكما هو معروف

---

[1] قلت المتلقي الأوّل تذكيرا بسبب تأليف الكتاب،وذكرصفة(الأوّل)دلالة على تعدّد المتلقّين فالكتاب دعوة للقارىء إلى تناوله بعناية و الاستفادة من جواهر معانيه المخبوءة وراء شكله الظّاهري، فهو موجّه للظّالم و العادل،للكبير والصّغير،للمتعلّم و للجاهل...

[2] ينظر، مسعود صحراوي التداولية عند العلماء العرب، ص 97.

فبمجرد النطق بأفعال الكلام تتحول هذه الأخيرة إلى إنجاز للفعل لأنه لا يوجد من وسيلة أخرى يمكن أن يقوم بها الشخص بفعل التوكيد سوى أن ينطق بالتوكيد.

ب- **أفعال الوصف:**

تعدّ قصص الحيوان عنصرا من أهم العناصر التي تشكل بنية الكتاب وهي بذلك تكون أنموذجا جيدا لتقنية من تقنيات السرد، هذا الأخير الذي لا ينفصل عن تقنية أخرى تكمّله وتجسده إلى أبعد حدٍّ وهي الوصف والذي جاء موضَّحا بالتمثيل الذي تُلاحَظ كَثرته في أبواب الكتاب وذلك تماشيا مع مقامَيْ التعليم والإرشاد اللّذان تكون فيهما الجمل التقريرية أكثر ملائمة لتحقيق هذا الغرض.

يمكن تعريف السرد على أنه« **اللغة المكتوبة أو المروية شفاها، التي ينبغي أن تتسم بالترابط والاتساق والتواشج بين أجزائها ؛لأنها تنقل حدثا أو مجموعة أحداث متعلقة بشخصيات أو بشخص واحد، من صورتها الواقعية أو الخيالية إلى صورتها اللغوية، شريطة أن توفر الجودة والبيان في الأسلوب اللغوي الذي يجسد تلك الأحداث ويصور الشخصيات**»[1]، وهذا يعني أن عملية توصيل الأفعال السردية تكون منتظمة في إطار سلاسل تطول أو تقصر حسب طول الحكاية، ويصور الخبر الواصف واقعَها بآليات كثيرة منها: الوصف ،الاستعارة والحوار ... وهذا ما يجعل الخبر ينتقل من التقريرية والمباشَرة ويتسم بالتنوع وجمال الأسلوب، ويتسم الوصف في "كليلة ودمنة" بالتكثيف وقد تخلّل هذا تقنية التمثيل التي تطغى بشكل كبير على حكايات الكتاب، وينقسم الوصف فيها قسميْن كبيريْن ؛ قسمٌ يصف شخصيات وآخرَ يصف شخصياتٍ حيوانيةً تمارس دورها في أحداث القصص في أماكنَ وأزمنةٍ معينةٍ.

**ب-1- أفعال تصف شخصياتٍ إنسانيةً:**

**- الملك دبشليم:** هو ملك يتناظر مع حركة الطغيان والبغي والتجبّر وهي صفات حركية فاعلة تؤدي بالرعية إلى الفزع والموت« **فملّكوا عليهم ملكا يقال له دبشليم ... فلما استوسق له الأمر، واستقر له الملك، طغى وبغى، وتجبّر وتكبّر، وجعل يغزو من حوله من الملوك، وكان مع ذلك مؤيدا مطفرا منصورا فهابته الرعية... واستصغر أمرهم وأساء السيرة فيهم وكان لا يرتقي حاله إلا ازداد عتوّا**»[2].

وما جاء على لسان الفيلسوف "بيديا" « **اعلموا أني أطلت الفكرة في دبشليم وماهو عليه من الخروج عن العدل ولزوم الشر ورداءة السيرة وسوء العشرة مع الرعية**»[3] وفي مقامٍ آخرَ يخاطب الفيلسوفُ الملكَ

---

(1) محمد أحمد مسعود، كتابات معاصرة، مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية، المجلد5، العدد 20، كانون الأول 1993، كانون الثاني 1994، ص 94.

(2) ابن المقفع، كليلة ودمنة، ص 7،8.

(3) المصدر نفسه، ص 8.

قائلا: « **إنك أيها الملك... قد ورثت أرضهم وديارهم وأموالهم ومنازلهم التي كانت عدتهم، فأقمت فيما خولت من الملك، وورثت من الأموال والجنود ولم تقم من ذلك بحق ما يجب عليك، بل طغيت وبغيت، وعتوت و علوت على الرعية وأسأت السيرة، وعظُمَتْ منك البليةُ**».[1]

والكاتب بهذه الأفعال الوصفية يقرن حركة طغيان ملك الهند "دبشليم" بحركة طغيان مشابهة لحاكم عربي كالمنصور، فدبشليم حاكم غزا من حوله من الملوك، و"المنصور" حاكم جعل يتوسع في حكمه أيضا، وكلا الحاكمين تهابه الرعية لما يمتلكان من قوة تزرع الرعب في الرعية، وإذا كانت الحكاية تُعلن بعودة "دبشليم" للعدل، فذلك من باب التمويه أو إرسال شفرة للحاكم العربي أو أي حاكمٍ آخرَ كي يعدل كما عدل"دبشليم".

**الفيلسوف "بيديا"**: شخصية تعمل بموجب تغيير الفساد الكلي وإرجاع الَملِكِ إلى رعيته عادلا ،يقابلها التوجّه الذي قام به الكاتب لإصلاح "المنصور" «**رجل فيلسوف من البراهمة فاضل حكيم يعرف بفضله ويرجع في الأمور إلى قوله**»[2] وفي وصف أفعاله« **فجلس بمجلس العدل والإنصاف، يأخذ للدنيء من الشريف، ويساوي بين القوي والضعيف، وردّ المظالم، ووضع سنن العدل**»[3] ويدرك "بيديا" ما للفلاسفة والحكماء من احترام في قلوب الملوك مهما بلغوا من جبروتهم من شدة وهو ما يعكسه قول "دبشليم" –في نفسه– حينما دخل عليه "بيدبا" القصر لأول مرة: «**إن كان للملوك فضل في مملكتها فإن للحكماء فضلا في حكمتها أعظم، لأن الحكماء أغنياء عن الملوك بالعلم وليس الملوك بأغنياء عن الحكماء بالمال**».

**ب–2– أفعال تصف شخصياتٍ حيوانيةً:**

**كليلة ودمنة**: هما اسمان لبطلين قاما بفاعلية ذاتية على طول حكاية الباب الأول "الأسد والثور" «**وكان فيمن معه من السباع ابنا آوى يقال لأحدهما كليلة والآخر دمنة وكانا ذويْ دهاء وعلم وأدب**»[4] أما كليلة فهو النصوح يريد تغيير أخيه ليتّجه به إلى الطريق السوي فهو الضمير الحي في القصة الذي يرفض أفعال أخيه المشينة ،حيث كان يحذّره من عاقبة من يسعى بين الملوك وبين خاصتهم بالنميمة« **إن الخبّ والخديعة ربما كان صاحبهما هو المغبون، وإنك يا دمنة جامعٌ للخبّ والخديعة والفجور وإني أخشى عليك ثمرة عملك مع أنك لست بناجٍ من العقوبة**»[5] أما "دمنة" فهو ماكر طماع حسود ،وفي وصف أفعاله أنه عندما رأى

---

[1] ابن المقفع، كليلة ودمنة، ص 14

[2] المصدر نفسه، ص 8.

[3] المصدر نفسه، ص 8.

[4] ابن المقفع، كليلة ودمنة، باب الأسد والثور، ص 80.

[5] المصدر نفسه، ص121.

العلاقة بين الأسد والثور قد توطّدت «**حسده حسدا عظيما وبلغ منه غيظُه كل المبلغ**»[1] وفي سعيه للتفريق بينهما قال للأسد: «**حدث ما لم يكن الملك يريده ولا أحدٌ من جنده قال وما ذاك قال: كلام فظيع قال أخبرني به ، قال دمنة: حدثني الأمين الصدوق عندي أنّ .شتربة خلا برؤوس جندك وقال إني قد خبرت الأسد وبلوت رأيه ومكيدته وقوته فاستبان لي أن ذلك يؤول منه إلى ضَعف وعجز وسيكون لي وله شأن من الشؤون**»[2] ، وقد أثّر كلام دمنة –في الأخير– في كلام الأسد فقال: «**لقد تركتني أكره مجاورة شتربة إيّـــاي**»[3] واستطاع دمنة الماكر بدهائه وحيلته الشيطانية التأثيرَ في الأسد حتّى أهلك الثور.

إن أفعال الوصف لكل من كليلة و ودمنة تجعلنا نكون إزاء خطاب سياسي يوجَّه إلى أطراف الحركة السياسية بشيء من التعتيم كونهما ابنيْ آوى، ويميزهما الدهاء والحيلة، وهذا ما يُشعرنا أن الخطاب موجه إلى قدرة خارقة من البطش والدهاء يمثلها الملك "دبشليم" كمستهدَف أول مباشر والخليفة "المنصور"كمستهدَف ثانٍ غير مباشر، وهذا ما يفتح أمامنا أبعادا افتراضية تأويلية أخرى لا يمكن خوض متعة القراءة إلا بها.

**الحمامة المطوقة والجرذ والظبي والغراب:** هذه الشخصيات تمثل المثَل في الصداقة ،وكما هو معروف لا شيء من سرور الدنيا يعادل صحبة الإخوان ولا غم فيها يعادل البعد عنهم، ومن أفعال الوصف التي تدل على الصداقة قول الحمامة لصاحباتها –وهن واقعات في شرك الصياد–: «**لا تخاذلن في المعالجة، ولا تكن نفس إحداكن أهمَّ إليها من نفس صاحبتها، ولكن نتعاون جميعنا**»[4]

وهذه الأفعال تعبر عن بذل النفس في سبيل تخليص الصديق من المأزق وهو أعلى درجات الصداقة وتقدم لنا الحمامة نموذجا للإيثار لما طلبت من الجرذ( هو الآخر الذي هرع إلى المساعدة) البدأ بقطع عقد سائر الحمام ثم البدأ بقطع عقدها« **ابدأ بقطع عقد سائر الحمام وبعد ذلك أقبل على عقدي**»[5].

وقد كانت عين أخرى ترقب ما يجري بين الصديقين، وهو الغراب الذي رغب في صداقة الجرذ « **قد قبلت إخاك... وإنما بدأتك بما بدأتك به إرادة التوثق لنفسي... ثم إن الجرذ خرج إلى الغراب فتصافحا وتصافيا وأنس كل واحد منهما بصاحبه**»[6] ولأن الحيواناتِ تغير مسكنها بين موسمٍ وآخرَ، فقد ارتأى

---

(1) ابن المقفع، كليلة ودمنة، باب الأسد والثور، ص 90.

(2) المصدر نفسه، ص 101.

(3) المصدر نفسه، ص 105.

(4) ابن المقفع، كليلة ودمنة، باب الحمامة المطوقة ، ص 150.

(5) المصدر نفسه، ص 151.

(6) ابن المقفع، كليلة ودمنة،باب الحمامة المطوقة، ص 153.

الصديقان الرحيل إلى مكان فيه أمان وفيه سلحفاة هي صديقة للغراب فانضم الجميع إلى بعضهم البعض وإلى هذه المجموعة الأخوية انضم الظبي، هذا الأخير، هموا إلى إنقاذه وقد ضحّت السلحفاة بنفسها لأجله إذ وقعت هي الأخرى في قبضة القانص،وفي الأخير« **اجتمع الغراب والظبي والجرذ والسلحفاة إلى عرشهم سالمين آمنين كأحسن ما كانوا عليه**»[1].

إن كل أفعال الوصف في هذا الجزء من الكتاب تناولت –في بعدها الفعلي– حاجة الإنسان إلى الأصدقاء، وشروط الصداقة الحقّة، ويُلاحَظ من لغة المترجم "ابن المقفع" أنها تتميز بحرارة واضحة تشير إلى إحساسه العميق به، وتكشف عن جانب إنساني رقيق في طبعه.

**البوم والغربان:** تلعب شخصيات الغربان الدور الفعال في الحكاية ،فهي ذات أبدان ضعيفة مقارنة بالبوم التي تتميز بالقوة، وقد سادت العداوة بينهما «**فأغار ملك البوم في أصحابه على الغربان في أوكارها فقتل وسبى منها خلقا كثيرا**»[2] وقد استطاعت الغربان بذكائها وحيلتها المتميزة أن توقع بجماعة البوم وأن تهزمها في أوكارها. ويعود الفضل في ذلك إلى أحد وزراء الغربان الذي كان حيليا جدا واستطاع بذلك أن يوقع بالبوم وقد قال عنه ملكه: «**أصبحت وقد وجدتك صاحب العمل ووجدت غيرك من الوزراء أصحاب أقاويل ليس لها عاقبة حميدة فقد منّ الله علينا بك مِنّة عظيمة**»[3].

**القرد والغيلم:**لقد كان "ابن المقفع" شديد التأثر بشخصية القرد، إذ يخيّل إليه أنه يومئ من بعيد إلى علامة شخوصية واكبت زوال الحكم الأُموي على يد الحكم العباسي، لأن القرد شخصية فاعلة في القصة اضطرها التعسف والقهر إلى الهروب «**زعموا أن قردا يقال له ماهر، كان ملك القردة ،وكان قد كبر وهرم فوثب عليه قرد آخر شاب من بيت المملكة فتغلب عليه، وأخذ مكانه، فخرج هاربا على وجهه، حتى انتهى إلى الساحل، فوجد شجرة من شجر التين فارتقى إليها وجعلها مقامه**»[4].

من خلال التأويل الجريء، يمكن رؤية القرد كعلامة للحكم الأُموي الذي كبُر وهرِم، فوثب عليه الحكم العباسي[5] ، وهو حكم شاب من بيت المملكة التي تشكل بعدًا آخرَ، فالمملكة عند "ابن المقفع "–وإنّ تتسم

---

(1) المصدر السابق ، ص166.

(2) ابن المقفع،كليلة ودمنة،باب البوم والغربان،ص 168.

(3) المصدر نفسه، ص 189.

(4) المصدر نفسه،باب القرد والغيلم، ص191.

(5) ينظر، خالد لفتة وناصر شاكر الأسدي. فاعلية العلامات في كليلة ودمنة (دراسة سيمائية) مجلة دراسات البصرة ،السنة السابعة العدد13،2012 ص 19.

بطابعها الحيواني- فيقصد بها الحكم العباسي وفي ذلك إشارة إلى الأُموي "عبد الرحمن الداخل" الذي هرب من بطش العباسيين ولجأ إلى شاطئ البحر ليؤسس الدولة الأُموية في الأندلس. التي كانت علامتها شجرة من شجر التين[1]، وهي المملكة الجديدة بعد الارتقاء الصعب، وهكذا هي العلامات التي توخّى من خلالها "ابن المقفع "سياستيْه الفكريةَ والخطابيةَ تجاه دولة ظالمة لا ترحم.

**الحمامة والثعلب ومالك الحزين:** يبرز مالك الحزين كشخصية ناصحة للحمامة التي كان يتربص بها خطر الثعلب من كل ناحية «**إذا أتاكِ ليفعل ما تقولين فقولي له لا ألقي إليك فرخيّ فارْقَ إليّ وغرّر بنفسك فإذا فعلت ذلك وأكلت فرخيّ طرت عنك ونجوت بنفسي**»[2] فكانت الفكرة ناجحة ولكنه كان في يوم من الأيام عاجزا عن اتقاء شر الثعلب له «**فأدخل الطائر رأسه تحت جناحيه فوثب عليه الثعلب مكانه فأخذه فهمزه: يا عدو نفسه ترى الرأي للحمامة وتعلّمها الحيلة لنفسها وتعجز عن ذلك لنفسك حتى يتمكن منك عدوّك**»[3].

في النهاية يُخلَص إلى أنّ "ابن المقفع" في توظيفه للشخوص الحيوانية يريد أن يجعلها علاماتٍ بديلةً للحكم الإنساني السلطوي، تتمثل في مملكة الأسد، وهي طبق الأصل عن حياة الإنسان في عصره وقد تتماهى مع العصور اللاحقة، والأعمال التي كانت تقوم بها الحيوانات في قصصه تعكس واقع البشر بمسمياتٍ حيوانيةٍ، كما هو موضّح في الترسيمة الموالية[4]:

| | |
|---|---|
| **مملكة الأسد** | **الحكم العباسي** |
| **أسد عظيم** | **الخليفة العباسي.** |
| **كليلة ودمنة** | **وجهان لابن المقفع** |
| **الثور** | **فيلسوف الملك** |
| **النمر** | **قائد في النظام** |
| **الذئب** | **جلاّد الملك** |
| **الثعلب** | **الجاسوس** |
| **الفهد** | **مقاتل الملك** |
| **القرود** | **بؤساء الشعب** |
| **الحمار** | **عامل عند الدولة.** |

(1) بنظر، المرجع السابق، ص 19.

(2) ابن المقفع، كليلة و ودمنة، باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين، ص 272.

(3) المصدر نفسه،ص 273.

(4) بنظر، خالد لفتة وناصر شاكر الأسدي، فاعلية العلامات في كليلة ودمنة، ص 22.

لقد كانت هذه الأقنعة الحيوانية تبوح بسر تعاسة الرجل الذي خبر القهر العباسي، وبذكاء الكاتب تمكّن من رصد الواقعيْن السياسي والفكري لما اطّلع على ثقافة وترجمات الكتب الأجنبية في زمانه.

أمّا الناحية الجمالية البلاغية التي تعكسها أفعال الوصف التداولية –السالفة الذكر– فهي تضطلع بعدة وظائفَ يمكن حصرها في ثلاث[1]:

الأولى: وظيفة جمالية: حيث يتدخل الوصف في العملية السردية كعامل تزييني هو بمثابة استراحة (pause)، وهو بذلك يعطل حركيّة السيرورة الزمنية.

الثانية: وظيفة توضيحية تفسيرية: أن يدل على معنى معين في إطار الحكاية.

الثالثة: وظيفة تواصلية: وهو بهذا يتبوأ مقاما محمودا في الحقل التداولي الذي يستثمر الآلياتِ اللغويةَ لتوصيل رسالة ما، وجعل المعنى يتحرك بها في إطار إنجازها.

2. **الأفعال الطلبية: (التوجيهيّات):**

يتدخل في مثل هذه الأفعال المتلقي، فالشرط لنجاح التوجيه هو قدرة المتلقي على أداء الفعل المطلوب[2] وقد ارتأى البحث تقسيم التوجيهيّات قسميْن كبيريْن: توجيهيّات طلبيّة وأخرى نفسية[3] أما الأولى فتتفرغ ثلاثة فروع طلب الفهم ( كالاستفهام والاستيضاح) طلب الإقبال (كالنداء والاستغاثة والندبة والعرض) وطلب الأداء أو الترك (كالأمر والنهي) و أما الثانية فتتمثل مثلا في العتاب والطمأنة...

**أ– التوجيهيّات الطلبيّة:**

- **طلب الأداء والترك:**

**1. الأمر:** لقد بُدِيء بالأمر لأنه أول الأساليب التي بادر بها الملك "دبشليم" الفيلسوف "بيدبا" –على وجه التكليف–بأن يؤلف له خلاصة الحكمة بأسلوب مسلٍّ، وكان في كل مرة يأمره بقوله "اضرب لي مثلا"، وما إن ينهي "بيديا" الرد على قوله بمثل مفنَّد بمجموعة أخرى من الأمثال إلا ويبادره الملك بأمرٍ آخرَ بتركيبٍ آخرَ "فقد سمعت مثل المتحابين كيف قطع بينهما الكذوب المحتال فحدّثني إن رأيت عن إخوان الصفاء.." وفي مقامٍ

---

(1) ينظر ، محمد ناصر العجمي، الخطاب الوصفي في الأدب العربي القديم، الشعر الجاهلي أنموذجا، مركز النشر الجامعي، تونس، ط1، ص86، وبنظر محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديدة، بيروت،2008،ص175

(2) ينظر ،علي محمود حجّي الصرّاف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، الكويت، ط1، 2010. ص214.

(3) قد يُلتَبَس الأمر بالتعبيريات إلاّ أنّ الفرق بينها وبين التوجيهات النفسية هو أن هذه الأخيرة توجب وجود المتلقي ولا يشترط وجوده في الأخرى، ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص 328.

آخرَ يطلب منه أن يضرب له مثلا عمّن يصيب الرفعة والخير وهو جاهل ومن يصيب البلاء والضرر وهو حكيم عاقل، بأسلوب استفهامي في ظاهره ولكنه لا يخرج عن كونه أمريّا كسابقيه وذلك حينما قال:«**فما بال الرجل الجاهل يصيب الرّفعة والخير والرجل الحكيم العاقل قد يصيب البلاء والضر**»[1] وكأنّه أراد القول "اضرب لي مثلا أو حدّثني عمّن يصيب الرفعة والخير وهو جاهل و... "الدليل عل ذلك قوله:"ومثل ذلك..." .

وقد كان الغرض من كل هذه الأوامر طلب المزيد من الحِكم والأمثال في الأمور التي يطلب معرفتها ليتعلم الحكمة وربما لأجل التسلية والاستئناس.

ويتضح مما سبق أنّ تلك الأفعال المتضمَّنة في القول (الأوامر) قد أثرت في "بيديا" (المتلقي) وجعلته ينفذ كلّ ما أمره به الملك ""دبشليم" ويظهر ذلك من خلال كل الأمثال الكثيرة التي كان يضربها الفيلسوف تلبيةً لأوامر الملك، وقد كانت تؤثر فيه كثيرا فتنال إعجابه فيطلب المزيد ،وهذا يعني نجاح فعل الأمر، وذلك لأن الأمر أعلى مرتبةً من المأمور والمأمور قد أقر بها. كان هذا عن الأمر بين المتحاورَيْن البشريَيْن وهما يُعتبران أهم عنصريْن في العملية السردية التواصلية، أما عن أفعال الأمر المتضمَّنة في نصوص المسرودات من الحكايات المثلية فما جاء منها كان بأساليبَ حقيقيةٍ وأخرى مجازية ونذكر منها:

**أ– أساليب حقيقية:**

وهي الأساليب الأمرية التي يدل فيها الأمر على معناه الحرفي بما يستوجبه من إلزام بالتنفيذ ومن أمثلة ذلك:

- **ما جاء بصيغة الأمر المعروفة:**

"انظري إلى هذا الناسك وأكرمي مثواه وقومي بخدمته" (باب الأسد والثور ص91)

"خذي هذا فأتحفي به صديقك"(باب الأسد والثور ص92)

"أخبرني عن رأيك"(باب الأسد والثور ص93)

"انطلقي معي"(باب الأسد والثور ص99)

"قال: اخبرني به"(باب البوم والغربان ص172)

فكل ما وضع تحته خط أمر، يوجب التنفيذ بعد الطلب بشكل مطلق. ولكن هذا الرأي غير دقيق فالأمر قد يكون حقيقيا ولا يمكن تنفيذه لأمر ما وهو ما يجعله قريبا من الأمر المجازي كما في خطاب عامل المدينة مروان بن الحكم للفرزدق[2]:

---

[1] ابن المقفع، كليلة ودمنة، باب الملك وأصحابه، ص263.

[2] ينظر حسين جمعة، جمالية الخبر و الإنشاء، دراسة بلاغية جمالية نقدية، ص106

وَدَعِ المدينةَ إنّها مرهوبةٌ واعمدْ لمكّةَ أو لبيتِ المقدسِ

ألقِ الصحيفةَ يا فرزدقُ،إنّها نكراءُ مثلُ صحيفةِ المتلمّسِ

فأفعال الأمر (دع، اعمد، ألق) لا يمكن تحقيقها وإن صدرت من الأعلى إلى الأدنى.

فمن أمثلة ما تحقّق فيه فعل الأمر وحصل به المتلقي على إفادة (حسب اصطلاح البلاغيين) أو وظيفة تداولية (حسب اصطلاح اللسانيين) قول الأسد للنمر وللجوّاس العادل: «**اجلسا في موضع الحكم وناديا في الجند ... قالا: سمعا وطاعة لما أمر الملك...**»[1] ومن أمثلة ما لم يتحقق فيه فعل الأمر، هو مطالبة الأسد أمه بأن تخبره بالذي أخبرها عن حيلة دمنة المخادع فأبت أن تخبره بحجة أنها لا تفشي سر من ائتمنها عليه «**أخبريني عن الذي أخبرك عن دمنة بما أخبرك فيكون حجّة لي في قتل دمنة.قالت: لأكره أن أفشي سر من استكتمنيه... ما نهت عنه العلماء من كشف السر**»[2].

- **ما جاء بالفعل المضارع المقرون بلام الأمر:**

«**ليحضر منكنّ كل ذي رأي رأيه**»[3].

«**إن كان الملك مفتشا منزلة فليعجّل**»[4].

فعلى الرغم من أن صورة الفعل المضارع تثير حركة ما مع اقترانها بلام الأمر إلا أنها ذات اتجاه ثابت في الخطاب والتأثير،و هي موجهة على أساس الاستعلاء الحقيقي ولم يأتِ الأمر بهذه الصّيغة –في الكتاب كله – إلّا في هذين التركيبيْن:

- **ما جاء بصيغة اسم فعل الأمر:**

"قال الأسد: دونك و ما بدا لك" (باب الأسد والثور. ص89)

"فعليك بالرّفق واللين والحلم والتأني" (باب البوم والغربان. ص 172)

"هات متاعي كله هات الآلة جميعا" (باب الأسد والثور ص93)

"هلمّ فارجع إنك آمن" (باب الملك والطائرة فنرة ، ص215)

---

(1) ابن المقفع، كليلة ودمنة، باب الفحص عن أمر دمنة، ص133.

(2) المصدر نفسه،ص144

(3) المصدر نفسه ،باب البوم والغربان،ص172

(4) المصدر نفسه،باب الأسد وابن آوى، ص228

فكل ما وضع تحته سطر يمثل أسماءَ أفعالٍ للأمر مثل"هلمّ"بمعنى تعال،"هات" بمعنى أعط، وهي تدل على ما يدل عليه الفعل ،وهناك ما كان منقولا عن جار ومجرور مثل "عليك" بمعنى الزم وما نُقل عن ظرف مثل"دونك" بمعنى ابتعد.

"فأمر الملك أن يدخل خزانة الأدوية" (باب الفحص عن أمر دمنة ص 135)

"وأمره أن يحفظ ما يجري بينهم" فأمر الأسد بعزل سيد الخنازير... وأمر أن لا يدخل عليه... وأمر بدمنة أن يردّ إلى السجن فأريد من أنعامك أن تنطلق...فتنظر ...فتأتيني به..." (باب الفحص عن أمر دمنة ص 139)

"فقأ الله أعينكم أيّها الناس"(ص117)يظهر المثال دعاء بالشر،أمّا في "أدام الله لك أيها الملك الملك"فهو دعاء بالخير.

كلّ الأفعال المسطّر تحتها أفعال ماضية ومضارعة ضمن أساليب خبرية في ظاهرها إلا أنها تخالف مقتضى الظاهر، إذ تدل على أوامر حُقّقت أو أنها تُحقق في الوقت الحاضر، فخروج الدلالة من أسلوب الإنشاء إلى الخبر مارس هدمًا وبناءً في النفس والفكر ،فأحدث بذلك جمالا بلاغيا أخّاذا «**فالتكثيف في الوظيفة الحقيقية لهذا الأسلوب يكتسب من الأواصر القوية بين الألفاظ والمقام الذي تعرض له... وهذه هي المزية الجمالية له دون غيره من أساليب الكلام فهي وظيفة جمالية و معنوية في آن معا**»[1] ولعل الأديب يُنزل الخبر منزلة الإنشاء أو العكس؛ بصورة فطرية تلبي نزوعيْه النفسي والفني، ويفنّده في ذلك السياق الذي يُكسب الجملة أبعادا فكرية ونفسية جديدة تتجاوز الحدود المعروفة في الدلالة.

**ب–أساليب مجازية:**

قد يخرج الأمر عن غرضه الحقيقي وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام إلى معانٍ أخرى تُفهم من سياق الكلام يُطلَق عليها **الأغراض المجازية** "**فقد يكون الأمر للدعاء أو الالتماس، أو التمني، أو النصح أو الإرشاد، التمني والتسوية**"[2]**...** ويخرج الأمر في كليلة ودمنة عن المعنى الأصلي له ليفيد:

- **النصح والإرشاد**: هو طلب مالا إلزام فيه وإنما النصيحة الخالصة، ومن أمثلة ذلك:

"**راجع عقلك واعلم أن لكل إنسان منزلة وقدرا**" (باب الأسد والثور ص 82)

---

[1] حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، ص 38.

[2] ينظر، أحمد مطلوب وحسن البصير، البلاغة والتطبيق، ص 124،130.

"**واعلم أيها الملك انه من لم يقبل من نصحائه ما يثقل عليه مما ينصحون له لم يحمد رأيه**" (الأسد والثور ص 103)

"**والعاقل غير الكريم اصحبه وإن كان غير محمود الخليقة واحذر من سوء أخلاقه وانتفع بعقله**" (باب الأسد والثور ص 122)

وقد لوحظ من الأمثلة السابقة أنّ خطاباتِ النصح قد توجهت في الغالب الأعم من مجرب إلى عموم السامعين أو من مجرب حكيم إلى من عُمي عن الحق، مثلها ورد في القول الأول الذي عمد فيه "كليلة" وهو شخصية حكيمة رزينة تعكس مظهرا من مظاهر النصح إلى إرشاد أخيه إلى الاقتناع بالمنزلة التي هو فيها، ولا يطمع في ما ليس له، وقد يكون من شخصية حيلية مخادعة "دمنة" لكي يوقع بالملك "الأسد" ويثق به ثقة عمياء وذلك بادّعائه للحكمة وباستغلاله للفرص لأجل النّيل منه كما في القول الثاني.

ومثل هذه الأساليب الأمرية المجازية بغرض النصح والإرشاد كثيرة جدا في الكتاب ،وهذا راجع إلى طابع الكتاب وغرض التأليف الذي لا يخرج عن هذا الفعل(تأليف الحكمة بأسلوب مسلٍّ)، ولعل الجمالية التي تكمن وراء هذا الشكل الفني البلاغي تتركز في التخصيص النوعي للفعل المطلوب اتّباعه وهو إسداء النصيحة السّديدة والرغبة الملحة للعمل بها.

- **التفاؤل**: "**خيرا فليكن أيها الملك**" (باب الأسد والثور ص 100)
- **الطمأنة**: "**فاطمئن ساعة حتى آتيك**" (باب السائح والصّائغ ص 260)

"**اطمئن حتى آتيك بطعام**" (باب السائح والصّائغ ص 260)

"**هلمّ فارجع فإنّك آمن**" (باب الملك والطائر فنرة ص 260)

- **الإكرام**: "**اصحبني والزمني فإني مكرمك**" (باب الأسد والثور ص 90)

لا يمكن حصر كل أنواع ما يخرج به الأمر إلى أغراض مجازية، وذلك راجع إلى تصوير الحالات النفسية للآمرين ولهذا قد رأى "الزمخشري"(ت538هـ) لطائف بلاغية في أساليب الأمر المجازية كالحيرة والاضطراب والإنكار والاستبعاد...[1] وعدم الإحاطة التامّة الشاملة بأساليب الأمر يؤكد عظمة أساليب اللغة العربية في جماليتها المثيرة إضافة إلى تعدّد الرؤى والمواقف. وجمالية أسلوب الأمر أكّدت أنه لا يُتعامَل مع جملة لغوية صمّاء، وإنما مع جملة فاعلة وحيوية في استحضار المعاني المتعددة وبيان وظيفتها.

[1] ينظر الزمخشري، الكشاف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت د/ت ج2، ص87.

وفي ختام هذه الجزئية يمكن القول إنّ أسلوب الأمر فعل إنجازي حسب تعبير "أوستين" "سيرل" و"غرايس" له صيغة دالة عليه تتمثل في الفعل الصريح (آمُرُ) أو في صيغة (افعلْ) إلاّ أنّ هذه الصيغة –كما تم رؤيته في الخطابات المدروسة– تدل على معنىً صريح وقد تدل على معنى غير صريح.

ففي كلتا الحالتين يحصل المتلقي أو الدارس على إفادة وعلى وظيفة تداولية؛ والذي يكشف عن كل هذا هو غرض الكاتب وهدفه من الخطاب، وهو يعد من أهم المبادئ التداولية التي يُعتمَد عليها في التحليل التداولي للخطابات.

**2- النهي:**

هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام[1] وله صيغة واحدة هي "لا الناهية" التي تدخل على فعل مضارع (لا تفعلْ) ،وحتى يكون النهي صريحا وناجحا لا بد أن يكون الناهي في موقع يسمح له بتوجيه فعل النهي نحو المتلقي وهو الكف عن فعل شيء ما، إلا أنه قد يخرج النهي عن صورته الصريحة إلى صورة غير صريحة (مجازية) يُتَجاوَز بها إلى دلالات أخرى قُصد إليها؛ أي أنّها لا تُبرَّر إلّا بقصدية المتكلم وقد وردت معاني النهي في"كليلة ودمنة" على النوعين السابقين كالتّالي:

**أ– المعاني الحقيقية:**

**«لا تخاذلْن في المعالجة»[2].**

**«لا تسأليني عن أمري ... لا تسأليني عن شيء فقد شفقت عليّ .... فلا تلقه من يدك حتى تريه من يعرفــه»[3]."فلا يعفونّ عنه فإنه إن عفا"[4]."لا تخرجْ هذا الرجل من الركيّة"[5].**

إن أسلوب النهي وإن استُعمل في المعنى الحقيقي لا يقتصر على الدلالة النحوية المباشرة (لا+ الفعل المضارع المجزوم)، ذلك لأن الترتيب اللغوي للتركيب النحوي وسيلة إيجابية لفهم المعنى المباشر. " **«و لكن المتلقي إذا توقف عنده أذهب بهاء الجمال الفني والبلاغي الذي تنطوي أساليب النهي أو غيره، فلا بد من استحضار الغاية الأبعد من البنية المباشرة لأسلوب النهي»[6].**

---

[1] ينظر، أحمد مطلوب، وحسن البصير، البلاغة والتطبيق، ص 129.

[2] ابن المقفع، كليلة ودمنة، باب الحمامة المطوقة، ص 150.

[3] المصدر نفسه، باب إيلاذ وبلاذ وإيرخت، ص 242،243.

[4] المصدر نفسه، باب الأسد وابن آوى، ص 228.

[5] المصدر نفسه، باب السائح والصائغ، ص 259.

[6] حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، ص 124.

وهذا ما يتضح لنا من أساليب النهي المجازي، فالتشكيل الجمالي فيها يكون أكثر إثارة –كما سيأتي– كما يلاحَظ أن صيغة (لا) مع الفعل المضارع المقرون بنون التوكيد مؤشر تداولي على أن النهي –هنا– يعلو النهي في الخطاب السابق لأن فيه تأكيدا.

**ب– المعاني المجازية:**

النهي بالمعنى المجازي طلب الكف عن شيء لا على سبيل الاستعلاء، بل على سبيل المجاز ممّن هو أعلى مكانة من المتكلم، أو ممّن هو أقل شأنا منه لأمر بلاغي[1] وهذا ما يكشف عنه السياق ويحدّده الموقف. ومن المعاني المجازية في "كليلة ودمنة" ما يلي:

- **النصح والإرشاد:**

**«لا تأمنْه عل نفسك ولا تأمن أن يصلك منه أو بسببه ما أصاب القملة من البرغوث... لا تحقرْن العدوّ الضعيف المهين ولا سيما إذا كان ذا حيلة»**[2].

**«ما لا ترضاه لنفسك لا تصنعْه لغيرك، فإنّ في ذلك العدل وفي العدل رضا الله تعالى ورضا الناس»**[3].

**«لا تكونن كالرجل الذي كذّب بما رآى وصدّق بما سمع وانخدع بالمحال»**[4].

**«لا تحملي عليه الحقد في مثل هذا»**[5].

وتكثُر مثل هذه المعاني المجازية التي تكون لغرض النصح والإرشاد لأن المقام يستدعي ذلك ؛وهو مقام تعليم وإرشاد للطاغية من الملوك وللناشئة من أبناء الوقت الحالي، ولهذا فإن هذا الأسلوب هو الأكثر ملائمة لتحقيق الغرض المنشود.

- **الطمأنة واستنهاض الهمة والحثّ على الشيء:**

**«لا تهتم فإن الهم لا يغني عنك شيئا»**[6]**.« لا تهتم ولا تحزن أيها الملك فإنه ليس في الهم والحزن منفعة ولكنهما ينحلان الجسم ويفسدانه لا يحزنك أيها الملك هذا الأمر ولا تخف منه... فلا توجلنّ منه ...لا تخف فإنّا لم نر ههنا قانصا قطّ »**[7].

---

(1) ينظر، المرجع السابق، ص 124.

(2) ابن المقفع، كليلة ودمنة، باب الأسد والثور، ص 104، ص115.

(3) المصدر نفسه، باب اللبؤة و الإسوار والشغير، ص236.

(4) المصدر نفسه، باب البوم والغربان، ص 182.

(5) المصدر نفسه، باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت، ص241.

(6) المصدر نفسه، القرد والغيلم، ص 194.

(7) ابن المقفع، كليلة ودمنة، باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت، ص 244،245، 248.

وقد يجتمع في هذا الضرب شيء من معاني النصح والإرشاد، ولكن الغاية منه استنهاض الهمة على أمر ما والحث عليه وتجنب فعل آخر لكراهيته، فالنهي عن الحزن وعن إظهار الهم وعن الخوف كلّها جاءت لأجل الطمأنة واجتناب التيئيس وإحباط الهمم.

- **التأديب:**

«**لا ترحمْه أيها الملك فإن العاقل لا يرحم من يخافه وأنّ الرجل الحازم ربما أبغض الرجل وكرهه**»[1].

فهذا الضرب غايته إرساء خلق كريم أو النهي عن سلوك سيء، ولكنه صدر عن غير صادق بل مخادع وهو "دمنة"، ولهذا فإنّ هذا الأسلوب –وإذا كان ظاهره فيه الحكمة– فإنه يتنافى والوعي برغبة الإصلاح الاجتماعي لأنه صادر عن مخادع لئيم لا يرتقي بطاقته الروحية لأن يكون مصلحا اجتماعيا.

- **الالتماس:**

ويكون صادرا من أخ لأخيه أو صديق إلى صديق أي بين النظراء في المنزلة. ومثاله قول "دمنة" لأخيه "كليلة" لما حذّره من قوة الثور وذكّره بمكانته الكريمة لدى الأسد:«**لا تنظر إلى صغري وضَعفي**...»[2].

ما يمكن أن يقال عن هذه الأساليب المجازية للنهي:( ويُخَصّ بالذكر النصح والإرشاد والتّأديب)إنها توحي بأنها تلبية لحاجات نفسية وروحية واجتماعية قبل أن تؤكد الإحساس باللذة الجمالية.

ما يلاحظ على الفعل الإنجازي باستعمال صيغة النهي أنّه لا يعكس صيغة لغوية فقط«**إذ ليست المسألة لغوية بحتة بل لغوية تداولية**»[3] ، فلا بد من أن يعضده سياق النهي وقصدية المتكلم لأنهما يحوّلان دلالة الصيغة اللغوية من النهي إلى غير ذلك من معانٍ مجازية كما سبقت الإشارة إليها.

ما ظهر في أسلوب النهي بنوعيه من تشكيلة جمالية تتصل بالمتكلم وتنبع من موقفه، هو تشكيل يظهر مثله في أسلوب لغوي توجيهي طلبي آخر، وهذه المرة من نوع طلب الفهم وهو أسلوب الاستفهام.

---

[1] ابن المقفع، كليلة ودمنة، الأسد والثور، ص124.

[2] المصدر نفسه، الأسد والثور، ص95.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص 342.

➢ **طلب الفهم:**

**1- الاستفهام**

إن الاستفهام نوعان: ما قام على أصل لغوي ويعتبر حقيقيا؛والذي يكون ظاهره موافقا لباطنه، كسؤالنا عمّا لا نعلمه فنقول: ما عندك؟ ومن رأيت؟ وآخرَ مجازياً؛ يخرج عن أصله إلى معانٍ بلاغية[1] وهي كثيرة تُعرف من سياق الكلام، ومن أدوات الاستفهام: الهمزة وهل: وهما حرفان، ومن أسمائه: ما، من، كم، أين، متى، أيان، كيف، أنى، وأيّ[2].

**أ- الاستفهام الحقيقي:** وما جاء منه في "كليلة ودمنة" نذكر:

«**يا أخي ما شأن الأسد مقيما ..؟ كيف كان ذلك... وما ذلك المثل؟.....من هذا؟ أين تكون؟.. هل راب الملك سماع هذا الصوت؟ ومتى كان من أهل السلامة؟ بأيّ شيء أحتال؟ ... من أين أقبلت؟ ألك على دعواك بيّنة؟**»[3].«**فما الرسالة؟**»[4]. «**كم أتى لك؟**»[5].

لقد تكررت صيغتا "كيف كان ذلك؟" "وما ذلك المثل؟" في خطابات "كليلة ودمنة" وهو سؤال يجيب عنه "بيديا" أو إحدى شخصيات الكتاب (ك:"كليلة ودمنة"، والأرنب....) بسرد مَثل معين يراد منه إيصال حكمة معينة لتغيير سلوك معين، و قد جاء أسلوب "ابن المقفع" الاستفهامي متنوعا من حيث استعمالُ أدواتِ السؤال: أ، هل، كيف، ما، أين، أيّ، كم، متى.... وقد أفادت الهمزة في معظم ما جاءت فيه (التصديقَ) لأن الإجابة كانت إما "بنعم" أو "لا" وهذا ما جعل الفعل تُدرك نسبته بدقة ؛هذا لأن المتكلم متردّد بين إثبات الشيء ونفيه، وكذلك "هل" جاءت الإجابة عنها في معظم ما جاءت فيه للتصديق.

أمّا "منْ" فكان الغرض من توظيفها إنّما لعمق دلالتها على ماهية الأشياء، ولأنها تنمّ عن انفعال، وتؤثّر يكتنفان الذات السائلة «**من ذا الذي بلغ من الدنيا**»[6].

إن الصلة الجمالية بين أسلوب الاستفهام الحقيقي وبين الجمال ،إنّما تتحقق بالتفاعل الواقعي مع الصفات والأفكار على مستوى الطابع الفكري والطابَعيْن الاجتماعي والنفسي، وفق منظور الموضوع الحقيقي الذي يرتبط

---

(1) ينظر، أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص 292.

(2) ينظر، أحمد مطلوب، وحسين البصير، البلاغة والتطبيق، ص132،131.

(3) ابن المقفع، كليلة ودمنة، الأسد والثور، ص 121،80.

(4) المصدر نفسه، باب البوم والغربان، ص 173.

(5) المصدر نفسه، باب اللبؤة والإسوار والشغبر، ص235

(6) ابن المقفع، كليلة ودمنة، باب الأسد والثور، ص 107.

بنوعية الطلب ووظيفته. وقد أنجز المتكلم بأسلوب استفهامي صريح" في كليلة ودمنة" فعلا كلاميا تقريريا، ومثال ذلك «**هل عندك عِلْم يا بني؟ فقال له التاجر إني لمّا خرجت من عندك بالأمس رأيت بازيا قد اختطف صبيا ولعله ابنك**»[1] فكل ما ذكر من صيغ يفصح عن مدركات تنهض بالصوغ الجمالي بوساطة الاستفهام الحقيقي.

وقد لا يُبحث في الاستفهام الحقيقي عن إجابة محددة، وإنما يهدف إلى تصور ما يتحدث عنه فيخرجه عن حقيقته إلى مقاصدَ شتى، ويسمى الاستفهام المجازي.

**ب– الاستفهام المجازي:**

ما جاء من الاستفهام غير الصريح في "كليلة ودمنة" وخرج من المعنى الأصلي نوعان: ما كان بمعنى الخبر ومعنى و ما كان بمعنى الإنشاء( وقد اعتُمد في ذلك على تقسيم الزركشي للاستفهام)[2].

- **الاستفهام بمعنى الخبر**: وله نوعان أوّلهما للنفي ويسمى "إنكاريا"؛ فالمعنى منفيٌ في أسلوب الاستفهام، وثانيهما للإثبات ويسمى التقرير؛ ويأتي النفي بعد الاستفهام ،ومن أمثلة ما جاء من استفهام أفاد التقرير في كليلة ودمنة:

«**ألا ترين إلى الحشيش كيف يسلم من عاصف الريح للينه وميله معها حيث مالت؟**»[3].

«**ألا ترى تتبع البهائم أمهاتها رجاء ألبانها فإذا انقطع عنها انصرفت عنها؟**»[4].

«**ألا ترى وأنا ملك العالم وكيف حقرتني هذه الجاهلة وفعلت بي ما ترى؟**»[5].

فالنفي في كل ما سبق أكد معنى الاستفهام الذي جاء للإثبات مع الوضوح، فقد قرر بذلك فكرة من الأفكار، في كل مثال يحمل المخاطَب عل الإقرار بها، وبمعنى أدق فقد جاء السؤال نفسه جوابا ثابتا، وهذا يختلف كثيرا عن أسلوب الاستفهام الذي يكون مفاده الإخبار والتحقيق في مثل: «**ألم أنْهَك عن الجلوس في هذا الموضع**»[6] فهو يتجه بسؤاله المجازي ليثبت للسّامع خبرا لديه لأجل المبالغة في الإثبات، ولهذا ارتبط

---

(1) المصدر السّابق، الأسد والثور، ص 123.

(2) ينظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ح2، ص 341،351.

(3) ابن المقفع، كليلة ودمنة، باب البوم والغربان، ص 179.

(4) المصدر نفسه، باب الجرذ والسنور، ص 211.

(5) المصدر نفسه، باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت، ص 247.

(6) ابن المقفع، كليلة ودمنة، باب الملك وأصحابه، ص 267.

بالتحقيق وفي هذا الاستعمال المجازي لهذا النوع من الاستفهام يتركّز مفهوم الجميل لما تتجه الأذهان وفق ما يتطلبه السياق إلى معنى المعنى، لا وفق التركيب النحوي وما تُبنى عليه الكلمات.

- **الاستفهام بمعنى الإنشاء:** وله أنواع كثيرة منها: الطلب، النهي، النفي، التحذير، التذكير، التنبيه والترغيب والدعاء والعرض والتحضيض والإيناس والتهكم والاستهزاء والتحقير والتعجب والاستبعاد والتوبيخ والاستبطاء والتيئيس[1].

كما أن هناك أغراضا غير هذه يمكن أن تُفهم من السياق، فضلا عن التداخل بين هذه الأغراض فقد يكون التقرير مع التوبيخ، أو التقرير مع التعجب وهكذا.

**أ– النفي:** هو أحد الأغراض من الاستفهام الذي يقصد النفي من سؤاله فيطلب من المسؤول أن يستبعد نقيض النفي وهو الإثبات ،بل عليه أن يقر بالسَّلب أي سلب مضمون الحكم الذي تضمنه وشرط دلالة الاستفهام على النفي «**أن يصحّ حلول أداة النفي محل أداة الاستفهام**»[2] مثال ذلك: «**ومن ذا الذي بلغ من الدنيا جسيما من الأمور فلم يبطر؟ ومن ذا الذي بلغ مُناه فلم يغدر؟ و من ذا الذي تبع هواه فلم يخسر؟ ومن ذا الذي طلب من اللئام فلم يحرم؟ ومن ذا الذي خالط الأشرار فسلم؟ ومن ذا الذي صحب السلطان فدام له منه الأمن والإحسان؟**»[3].

إن الكاتب يدفع بالاستفهام إلى فضاء النفي والدهشة وليس يبحث عن أجوبة لما يثيره من تساؤلات، إن "مَنْ" تكشف في مجمل ما طرح من تساؤلات عن ذات محتارة لا تفهم هذا الواقع الغارق في التناقضات وهذا ما يثير المتلقي على جمالية من نوع بلاغي جديد وبديع ألا وهو الاستفهام الذي يُقصد منه النفي.

**ب– التعجب:**

يأتي التعجب إمّا لإظهار العجب استغرابا ودهشة لعدم الألف والاعتياد على الأمر المتعجب منه، أو لأن ما يتعجب منه ليس له سبب معلوم، وقد تشتد حدّته فيقترن به الاستنكار، وإما أن يرد التعجب بمعنى إظهار الاستحسان والإعجاب فيكون تعجبك لإعجابك به فتسأل سؤالا «**القصد فيه إلى بيان الاستغراب ويجري هذا الاستفهام عادة بعد حصول الظاهرة موطن التعجب**»[4].وقد ورد هذا النوع من الأسلوب الاستفهامي في "كليلة ودمنة" مثل:« **وكيف يفعل ذلك ولم يرَ منّي سوءا قطّ ولم أدع خيرا إلا فعلته معه** »[5].

---

(1) ينظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2،تح،محمد أبو فضل إبراهيم،دار الجيل،بيروت،لبنان،1988، ص 351،341.

(2) عبد العزيز عبد المعطى عرفة، من بلاغة النظم العربي، دراسة تحليلية لمسائل المعاني، ط2، عالم الكتب،بيروت، 1984، ص 124.

(3) ابن المقفع،كليلة ودمنة، باب الأسد والثور، ص 107.

(4) الأزهر الزناد،دروس في البلاغة العربية،نحو رؤية جديدة،ط1،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،1992،ص114

(5) ابن المقفع،كليلة ودمنة،باب الأسد والثور،ص102

**«كيف أنسيت في ذلك أمري»**[1]

**«ما يمنعك من الخروج إليّ والاستئناس بي أو في نفسك بعد منّي ريبة؟»**[2]

**«فما بالي لا أرى ولا أسمع لتلك الآباء والآمات من الجزع والضجيج ما رأى وأسمع لك؟ أما إنّه لم ينزل بك ما نزل إلا لسوء نظرك في العواقب وقلة تفكّرك فيها وجهالتك بما يرجع عليك من ضرّها»**[3]

**«إيها إيلاذ أمِن كلمة واحدة فعلت ما أمرتك به من ساعتك وتعلقت بحرف واحد كان مني ولم تتثبّت في الأمر؟»**[4]

ففي المثال الأول مثلا استعظام أمر ظاهر المزية خافي السّبب يتمثل في تعجب الأسد من أمر غش الثور له المزعوم من قبل "دمنة" المحتال ،والغرض البلاغي من ذلك الاستفهام التعجّبي هو المبالغة في إظهار التعجب وتنبثق جمالية هذا الأسلوب من صورته النفسية المتحفزة لحدث خارج الذات أو داخلها فتنفعل به النفس حين تستعظم أمرا نادرا لا مثيل له ،وخير مثال على ما قيل ما ورد في المثال الرابع حين دهش "الشّغبر" من معاتبة اللبؤة لقائل شبليْها وصياحها حزنا على ذلك، وهي أول ما تبادر على أذية غيرها دون أن تراعي في ذلك شعورهم، وفي ذلك تداخل لغرضين؛التعجب والاستبعاد الذي يوضّح فيه المتكلم أنّ حدوث أمر ما يكون متخيلا أو مستحيلا تماما مثلما استبعد "الشغبر" تصرف اللبؤة حين سماعها لمقتل شبليْها.

**ج- الاستهزاء والتحقير:**

هو تصغير شأن المخاطَب والاستخفاف به والحط من منزلته[5]، ومن أمثلة ذلك في كليلة ودمنة:

**«مالنا ولهذا الآكل العشبَ الذي ليس شأنه من شأننا ولا رأيه من رأينا؟»**[6].

ففي هذا تحقير واستهزاء للثور المغدور به ظلما في نهاية الحكاية، فالنسق البلاغي اللغوي في أسلوب الاستفهام في هذا المقام منتظم وفق بنيتيْن سياقيتيْن اجتماعية ونفسية، ومن ثم يصبح التشكيل الجمالي في إطار العلاقات اللغوية التبادلية نظاما لغويا فعّالا يختلف عن مفهوم النظام اللغوي العادي[7].

---

(1) المصدر السابق،باب الفحص عن أمر دمنة،ص142

(2) ابن المقفع، باب الحمامة المطوّقة،ص153

(3) المصدر نفسه،باب اللّبؤةو الإسوار والشّغبر،ص235

(4) المصدر نفسه،باب إيلاذ وبلاذ وايراخت،ص235

(5) ينظر،حسين جمعة،جمالية الخبر و الإنشاء،ص159

(6) ابن المقفع، كليلة ودمنة، باب ايلاذ وبلاذ وايراخت، ص112.

(7) ينظر ،حسن جمعة،جمالية الخبر و الإنشاء،ص 160.

**د- التوبيخ:**

وهو إنزال عقاب نفسي بالمخاطَب لصدور شيء مشين منه كان الأجدر به أن لا يصدر منه، ومثال ذلك من "كليلة ودمنة" :«**أو قد نزلت عندك منزلة من يستحق هذا؟**»[1] «**ألم أنهك عن الجلوس في هذا الموضع؟ وأخذه فحبسه**» ،وفي هذا الأخير تداخل بين التحقيق والتوبيخ ،وهذا ما يظهر فاعلية التناسق في التأليف كعامل من عوامل التأثيرين النفسي والفكري اللّذيْن يضفيان على النصوص الإبداعية -ككليلة ودمنة- جمالية تستولي على العقول فيحدث التأثير وبالتالي التغيير اللذان يُعدان صميم الدرس التداولي الذي يرى بأن اللغة تتجاوز كونها أداة للتواصل إلى أداة للتأثير والتغيير في العالم الخارجي.

**هـ- التنبيه ولفت النظر:**

قد يخرج الاستفهام إلى تنبيه المخاطَب على أمر ما أو تذكيره أو لفت نظره إليه مثلما ورد في "كليلة ودمنة":«**ومتى كان من أهل السلامة من لا يملك نفسه وأمره بيد غيره ممّن لا يوثق به، ولا ينفك على خطر وخوف حتى ما من ساعة تمرّ ويأمن فيها على نفسه**» حيث يلفت نظر"شتربة" ليوقع بين المتحابّين (الأسد والثور"شتربة") وفي ذلك شيء من التهويل والتعظيم لأجل أن يقنع "شتربة" بخطورة الأمر فتشتعل نيران الفتنة بين الصديقين ويوقع بينهما العداوة والبغضاء.

لقد قدّم الاستفهام -هنا- للقارئ فعلا كلاميا تنبيهيا غير مباشر، ما حدا بالتركيب أن يكون مجازيا وأن يضفي بذلك إلى إحداث فعل تأثيري تمثَّل في الانتقال من الاستفهام إلى التنبيه ولفت النظر، وهو بذلك يظهر لنا نسقية بلاغية جمالية وفق بنية نفسية تتناسب والحالةَ التي يريد الكاتب إيصالها لنا عمّا تكتنزه شخصية "دمنة" التي تمثل الحيلة والاحتيال.

في ختام الحديث عن أسلوب الاستفهام يمكن القول: إن معنى الإنجاز الاستفهامي يتعلق بحالة "ابن المقفع" حيال موضوعات أو قضايا اجتماعية أو سياسية أو أخلاقية تطرح تساؤلات في ذهنه، فيكون الاستفهام فعلا إنجازيا مباشرا إذا كان قصد المتكلم منها طلب معرفة حقيقية خفية، ويترتب عن ذلك انتظار الجواب .وحسب تعبير "سيرل" المعنى الحرفي يتوافق تماما مع قصد المتكلم. فـ"ابن المقفع" كان في طرحه لتساؤلاته مباشرا صريحا في أغلب الأحيان ولكن هذا لا يمنع أنّه تم استخراج أفعال إنجازية غير مباشرة متحولة عن الاستفهام تنم عن دلالات ضمنية غير صريحة، وقد جاءت متنوعة تعكس جمالية النص الإبداعي المدروس ضمن سياق النص ومقاصد المتكلم.

---

[1] ابن المقفع كليلة ودمنة، باب إيلاذ ويلاذ وإيراخت، ص 242.

➢ **طلب الإقبال:**

**1- النداء:** «دعوة المخاطَب إلى الإقبال، بحرف ينوب عن فعل بمعنى: (أدعو أو أقبل) وله أدواتٌ ثمانيةٌ هي: «**الهمزة، يا، أيْ، آي، آ، أيا، هيا، وا**»[1]. فيظهر بذلك النداء وسيلة للاتصال ولكن لا يمكن الاكتفاء بذلك فقط بل يجب النظر إليه أيضا كأداة تعبير عن المشاعر والأفكار«**فالمتكلم ليس مجرد مرسل لأدوات النداء وإنما هي تعبير مثير عن مشاعره وأفكاره ومرتبطة في الوقت نفسه بالمخاطَب قربا وبعدا في المكان والمنزلة الذاتية والاجتماعية**»[2] ، وبالتالي فالنداء نوعان –مثله مثل بقية أنواع الإنشاء– حقيقي ومجازي.

وجدير بالذكر أن النصوص الواردة في كليلة ودمنة تُظهر نموذجين من النداءات، ينتهي أحدها إلى لفت الانتباه ،ونموذج آخر يُبقي النداء مغلقا، ويفضي كلا النموذجين لأفعال إنجازية مختلفة كالتالي:

**أ- النداء الحقيقي:** لقد قسم البلاغيون النداء قسمين تبعا لأدوات النداء: نداء قريب وآخر بعيد[3] والغرض منهما التنبيه من الغفلة.

- **النداء القريب:** ويكون بالهمزة وأيْ « **فالهمزة صوت انفجاري لا ينبه السامع إلا لمسافة قصيرة، ولا يلفت المخاطب البعيد**»[4] ، ومن أمثلة ذلك: «**أيها الملك إن رعية الملك تحضر بابه رجاء أن يعرف ما عندها من علم وافر**»[5]، «**أتظن أيها الغادر المحتال بقولك هذا أنك تخدع الملك ولا يسجنك**»[6]، «**أيها الجمع إنكم علمتم أن سيد السباع لم يزل منذ منذ قتل شتربة خاثر النفس...أيها الجمع اسمعوا قول سيدكم...**»[7]، «**أيها الوزير الصالح كيف كانت سيرة البوم وملكها؟**»[8].

---

(1) توفيق الفيل، بلاغة التراكيب، دراسة في علم المعاني، مكتبة الآداب القاهرة، 1991، ص 192

(2) حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، ص 179،180.

(3) المرجع نفسه، ص 182.

(4) المرجع نفسه، ص 182.

(5) ابن المقفع، كليلة ودمنة، باب الأسد والثور، ص 86.

(6) المصدر نفسه، باب الفحص عن أمر دمنة، ص 131.

(7) المصدر نفسه، ص 133.

(8) المصدر نفسه، باب البوم والغربان،ص 189.

لقد كثر استعمال النداء بـ "أيّ" في الكتاب ،فالصوت في هذه الأداة لا يحتمل أن يستعمل للبعيد إطلاقا، «**لأنه جمع بين الهمزة والياء، والياء أفادت الاستكانة والحنو والعطف فضلا عن التلطف الذي تحمله الهمزة...**»[1] ، والتصقت بها الهاء للدلالة على التنبيه.

- **النداء البعيد:**

هو نداء نشأ من دلالة بعض أدوات النداء (آ، آي، يا، هيا، أيا، وا) ليُنادى بها على بعد المخاطَب من المتكلم مكانا و زمانا، يستحيل الوصول إليه، فقد جاءت دلالة البعد من مدّ الهمزة، الصوت الانفجاري الذي يستعمل لنداء القريب (انقلبت "أ"إلى "آ" و"أي" إلى "آي") ليلائم الصوت بذلك بعد المسافة. وينقسم نداء البعيد قسميْن:نداء البعيد الحقيقي وإنزال القريب منزلة النداء البعيد[2] ومن أمثلة النداء البعيد الحقيقي: «**فلما مَثَل بين يدي القاضي استفتح سيد المجلس فقال: يا دمنة قد أنبأني عن خبرك الأمين الصادق**»[3].

«**إنك يا إيلاذ لتلقى الجواب**»[4].

«**فلعمري يا معشر الطير لقد فضلكنّ الله علينا...**»[5].

لقد طغت الأداة (يا) على بقية الأدوات الأخرى المستعملة لنداء البعيد في الكتاب، وقد تكررت مع ذكر صفات للإنسان (يابنيّ، يا بنيّة) ومع ذكر أسماء الحيوانات (يا جماعة، يا مالك الحزين، يا دمنة...) أي أنها لم تثبت على منادى بعينه، ونداء البعيد لهؤلاء يظهر متلاحما مع المنادى الذي ينتظر منه ردّ أو استجابة أو رجع صدًى. لذلك فهي تدل على معنيَيْن؛ أولهما النداء وثانيهما التنبيه قال "سيبويهِ":(ت**180**هـ)« **وأما "يا" فتنبيهية، ألا تراها في النداء في الأمر كأنك تنبه المأمور**»[6]. ويقول"ابن جني"(ت392هـ) «**"يا" في النداء تكون تنبيها ونـــــداءً**»[7] . فكثير من علماء اللغة صرحوا بإفادة الأداة لأمريْن (النداء والتنبيه) وذلك لأنها يُنادى بها ويُنبه بها أيضا في نفس اللحظة. ولا بد من إظهار النمط الثاني من نداء البعيد وهو إنزال القريب منزلة البعيد لأمور بلاغية لطيفة وقد جاءت تلك اللّطائف في ثلاثة أنماط[8]:

---

(1) حسين جمعة ،جمالية الخبر والإنشاء، ص 182

(2) ينظر، المرجع نفسه، ص 186.

(3) ابن المقفع، كليلة ودمنة، باب الفحص عن أمر دمنة، ص 140.

(4) المصدر نفسه، باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت، ص 250.

(5) المصدر نفسه، باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين،ص 273.

(6) سيبويهِ، الكتاب ،تعليق إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، المجلة 2، ج4، ص 224.

(7) ابن جني، الخصائص ، تح على النجار، دار الكتب، مصر 1952، ج2، ص 196.

(8) ينظر، حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، ص183

**1- علو منزلة المخاطَب:**

قد تكون منزلة المخاطَب رفيعة الشأن عظيمة القدر وهو قريب من المتكلم قرب مكان أو زمان أو روح أو قرابة اجتماعية فيعمد المتكلم إلى تعظيم قدره ويخاطبه بأداة نداء البعيد مثل:

«**ما بالك يا سيد السباع قد تغيرت أحوالك؟**»[1]. فهذا نداء "ابن آوى" للأسد وقد ناداه بـ "يا" للبعيد وهو قريب منه مكانا وزمانا وذلك إجلالا له وتقديرا لمنزلته ومرتبته بين حيوانات الغابة.

وفي قرب المخاطَب من المتكلم قرب قرابة اجتماعية قول الناسك لابنته:

« **يا بنية إنك قد أدركت ولا بد لك من زوج**»[2]. فقد خاطبها بأداة نداء للبعيد، والنكتة في هذا الاستخدام الإيحاء إلى قيمة البنت العظيمة عند والدها فخاطبها مخاطبة من تعلو منزلته ويرقى قدره.

**2- انحطاط منزلة المخاطَب:**

يعتقد المتكلم أن المخاطَب (المدعو) قليل القدر صغير الشأن، لا يُؤبَه له، لذلك بعُدت مرتبته من مقام المتكلم، وبعدت روحه، ما يستدعيه مخاطبته بأدوات النداء البعيد ،ومثال ذلك:« **من أنت يا لئيم وما يجلسك على باب المدينة**»[3]. إذ يستصغر البواب قدر ابن الملك لأنه لم يعرفه فهو غريب عن مدينته. ويُلاحَظ أنّ استعمال أدوات النداء في هذا الأسلوب البلاغي الذي يفيد المعنى الحقيقي للبعيد قد استعمل استعمالا جديدا عما يختزنه صوتها(فصوتها يستعمل إذا كانت المسافة بعيدة، وهو يتشكل من جوف الفم مع حركة انفتاح الفك الأسفل باتجاه الصدر، فيكون أكثر التصاقا بالنفس الداخلية لتردّده في الصدر). فالأسلوب البلاغي الجميل هنا قد أثر في نفس المتلقي لما فيه من إضفاء سخرية على المنادى.

**3- غفلة المخاطَب وشرود ذهنه:**

يتخيل المتكلم أنّ المخاطَب غافل عن أمر ما، أو أنه شارد الذهن فبَعُد به المقام عمّا ينبغي له أن يفعله ومن ثم بعدت المسافة بينهما ،ومثال ذلك قول مالك الحزين:« **يا حمامة مالي أراك كاسفة البال سيئة الحال؟**»[4].

لقد كان ملك الحزين قريبا –مكانيا–من الحمامة إذ السياق يبيّن أنه واقع على النخلة التي عليها عش الحمامة، ولكنها ولشرود ذهنها بما يفعله الثعلب بفراخها. استدعى ذلك من مالك الحزين أن يناديها بـ "يا" لتنبيهها وشدّها إلى ما يقول وإنقاذها من غفلتها.

---

(1) ابن المقفع ،كليلة ودمنة، باب القرد والغيلم، ص195.

(2) المصدر نفسه، باب البوم والغربان، ص 183.

(3) المصدر نفسه، باب الملك وأصحابه، ص 266.

(4) ابن المقفع، كليلة ودمنة، باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين، ص 272.

وتكمن جمالية أسلوب النداء في هذا المقام في إحساس المتكلم بالمفارقة غير المتوازنة لدى المنادى المخاطَب فيستدعي من المتكلم أن يتخيل ذلك ويعبّر عنه. والنداء بصفة عامة قد يخرج عن الغرض الأصلي المناط به إلى أغراض بلاغية، أي أنه لا يُراد به طلب الإقبال بل يراد به معنى من المعاني الآتية: فيما يعرف بالنداء المجازي.

**ب– النداء المجازي:** يكتسب أسلوب النداء من السياق والقرائن معانٍ كثيرة ويؤثر في النفس تأثيرا عظيما لا سيما إذا اعتمد على التقديم أو التأخير أو على الحذف أو على الشرح والتفصيل في غير ما استعمال ومن بين ما استخرج من أغراض بلاغية للنداء في "كليلة ودمنة" ما يلي:

- **الدعاء:**

ورد في قول السلحفاة «**فقأ الله أعينكم أيها الناس**...»[1] وفي قول إيلاذ:«**أدام الله لك أيها الملك المُلك والسرور**»[2]. ففي المثال الأول دعاء على من رأى السلحفاة تطير وهي تأخذ في فِيها بطرف عود أمسكته بطّتان، وكأنها خافت من الحسّاد. وفي المثال الثاني دعاء للملك بالخير والحياة السعيدة وقد كان الداعي "إيلاذ"، وهذا ما يُظهر أنّ أسلوب النداء، في غرضه الدعاء، يحمل في طياته جمالية تتأتى من أنه يفتح أمام المتلقي عدّة تأويلات ليست واحدة ولا متشابهة فكل أسلوب يبحث عن ماهية مختلفة في إطار السياق الذي يتواجد فيه.

- **التهكم والسخرية:**

لعلّ أقصر تعريف يُؤتى به لتوضيح معنى السخرية والتهكّم ما وصفه الدكتور "محمّد العُمري".

بأنّها حرب الأمثلة المضادّة بمعنى الكلمة[3] ومن هنا يظهر لنا البعد الحواري للسّخرية أنّها تتضمّن الضّحك أو الاستخفاف، و من أمثلة ذلك سؤال الثعلب لمالك الحزين:«**يا مالك الحزين إذا أتتك الريح عن يمينك فأين تجعل رأسك؟فقال:عن شمالي.قال: فإذا أتتك عن شمالك أين تجعل رأسك؟قال:أجعله عن يميني أو خلفي....فأدخل الطائر رأسه تحت جناحيه فوثب عليه الثعلب مكانه فأخذه فهمزه همزة دقّ عنقه ثمّ قال:يا عدوّ نفسه ترى الرّأي للحمامة وتعلّمها الحيلة لنفسها وتعجز عن ذلك لنفسك؟**»[4]

ويمكن تبيّن حضور مكوّنين للسخرية وحسب "محمد العمري"[5] واعتمادا على المكوّنين يمكن فهم السخرية على أنّها تقاطع بنية ضدية مع انفعال هازىء:

---

[1] المصدر السابق ، باب الأسد والثور، ص 117.

[2] ابن المقفع كليلة ودمنة، باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت، ص 252.

[3] ينظر،محمّد العُمري،البلاغة الجديدة بين التّخييل والتّداول،دار إفريقيا الشرق،الدّار البيضاء، المغرب،د.ط،2012،ص85

[4] ابن المقفع،باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين،ص272،273

[5] ينظر، محمد العمري،البلاغة الجديدة بين التّخييل والتّداول،ص87

1- مكوّن بلاغي:وهو المفارقة الدلالية التي يترتب عنها الغموض والالتباس وتتجسّد حسب المثال السّابق في غرابة سؤال الثعلب لمالك الحزين.

2-مكوّن انفعالي أو تأثيري أو مقصدي:يتجلّى في الاستخفاف المشتمل على الضحك أو الرّغبة فيه وهذا ما سيتمّ توضيحه أكثر في مباحث لاحقة ضمن ما يعرف بـ: التوجيهيات النفسية، إضافة إلى أنّه لما يستحضر السياق العام يمكن حينها إدراك أنّ ما أريد من النداء هو السخرية والتهكم وقد وظفت العديد من الصفات والإضافات لإبراز ذلك مع أسلوب النداء ما يبرز شكلا جماليا في صميم أسلوب النداء البلاغي.

- **التقرب والملاطفة:**

**«قال دمنة أيها الملك ألا آتي شتربة فأنظر إلى حاله و أمره و أسمع كلامه لعلي أن أطّلع على سره فأُطلع الملك على ذلك»**[1]، **«قال الغراب قد احتجت أيها الملك إلى ما يقويك ونحن أحق أن نهب أنفسنا لك فإنا بك نعيش...»**[2]، **«ما الذي بك أيها الملك المحمود وما الذي سمعت من البراهمة فإني أراك محزونا ... فقد ينبغي لنا أن نحزن معك ونؤاسيك بأنفسنا...ولكني أطلب منك أيها الملك حاجة يحملني على طلبها حبي لك وإيثاري إياك وهي نصيحتي لك»**[3].

لقد كان الغرض من النداءات السابقة طلب التقرب والملاطفة إلى المخاطَب (الملك) ليشعر المتكلمون (دمنة، الغراب، إيراخت) أنهم قريبون منه يأنسون به أو يتلطفون لديه القَبول، وكأنّ المتكلمين يحسون بشعور مضطرب لهذا يسعون إلى إقامة التوازن في أنفسهم، وليس ببعيد عن هذا الأسلوب أسلوبٌ آخرَ يُدعى المدح والاستعطاف والذي سيقدَّم في المبحث التالي.

- **المدح والاستعطاف:**

**«أيها السارق أنت في حل مما أخذت من متاعي ولك الفضل بما عطفت قلب زوجتي على معانقتي»**[4].

**«فليكن لك أيها الملك الطاهر الصَّلحُ الكرامةُ...»**[5].

---

[1] ابن المقفع، كليلة ودمنة، باب الأسد والثور، ص 106.

[2] المصدر نفسه، ص 114.

[3] المصدر نفسه، باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت، ص 242،243.

[4] المصدر نفسه، باب البوم والغربان، ص180.

[5] ابن المقفع ،كليلة ودمنة، باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت، ص 239.

يتجه هذا النوع –كما ورد في الأمثلة– إلى ذكر صفات المخاطَب والثناء عليه؛ ففي المثال الأول يمدح التاجر الغني السارق الذي دخل منزلَه فأثار الذعر في نفس زوجته الجميلة فوثبت على التاجر وعانقته وقد كان يودّ لو دنت منه يوما، فهذا الاستعطاف وإن كان غريبا، فهو يكشف عن لطافة أسلوب "ابن المقفع" المرح في ضرب الأمثال لأجل التأثير في المتلقين. أما المثال الثاني فيمدح البراهمة الملكَ بأحسن صفاته لأجل استعطافه فهم لم يكتفوا بإنزاله منزلة البعيد لعلوّ قدره على شدة قربه منهم وإنما طفقوا يصورونها ويذكرون صفاته (الطاهر، الصلح، الكرامة...).

- **الزجر والتهديد:**

«**فهذا مثلك أيها المخادع**»[1].

«**أيها الملك إن الغادر مأخوذ بغدره وإنه وإن أخطأه عاجل العقوبة لم يخطئه الآجل حتى إنّه يدرك الأعقاب وأعقاب الأعقاب وإنّ ابنك غدر بابني فعجّلت له العقوبة**»[2].

إنّ هذا النوع من النداء أعلى درجة من النداء الحقيقي الذي يكتفي بمجرد التنبيه من الغفلة[3] ، فهو يثبت الزجر للنفس التي يمتلكها الملوك، فقبحا لملوك لا عهد لهم ولا وفاء وويل لمن ابتلى بصحبة ملوك لا حرمة لهم ولا يحبّون سوى أنفسهم.

- **التحريض والإغراء:**

«**لا ترحمه أيها الملك فإن العاقل لا يرحم من يخافه وأن الرجل الحازم ربما أبغض الرجل وكرهه..**»[4].

فالمتكلم (دمنة) يحرّض ويغري الأسد لأن لا يرحم "شترية" حتى بعد موته. ذلك لأنّ الملك حزن وندم على إصدار حكم قتل "شترية" وقد كان قويا وصاحب رأي وأدب. فالسياق يوضح أنه ما استخدم النداء لمجرد النداء الحقيقي، بل تعدّاه إلى ما يوحي بجمال النداء الذي جاء للتّحريض والإغراء.

ويشتمل هذا الأسلوب مع سابقه (الزجر والتهديد) على جوانب انفعالية نفسية تمد جسورها إلى الواقع الاجتماعي الإنساني الذي يسعى فيه المتكلم (الحيوان الذي يرمز إلى الإنسان في حكايات الكتاب) إلى إحداث توازن بين ما يختلج في نفسه وما يراه وهذا سرّ الجمال في مثل هذه الأساليب التي تنبع من أعماق النفس.

---

[1] المصدر السابق، باب البوم والغربان، ص 185.

[2] ابن المقفع كليلة ودمنة، باب الملك والطائر فرزة،ص 214،2015.

[3] ينظر، حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، ص 201.

[4] ابن المقفع، كليلة ودمنة، باب الأسد والثور، ص 124.

- **الترهيب:**

« **فاكفف أيها القاضي عن هذه المقالة فإنها إن كانت منك نصيحة فقد أخطأت موضعها، وإن كانت خديعة فإن أقبح الخداع ما نظرته وعرفته من غير أهله...وأنا خائف عليك أيها القاضي من مقالتك هذه أعظم الرزايا والبلايا، وليس من البلاء والمصيبة أنك لم تزل في نفس الملك والجند.. .** »[1]

فقول "دمنة" تحذير للقاضي الذي وثق بأحد الصادقين والذي كشف أمر "دمنة" المخادع، وهو يصف ما صدقه بالخديعة التي ليست من أعمال صالحي القضاة ولا ثقات الولاة.

- **الندبة:**

هو نداء المتفجَّع عليه أو المتفجَّع منه، ولا يكون إلا معرفة؛ فلا يكون نكرة ولا مبهما... وكلاهما جاز نداؤهما في غيره... ويستثنى الاسم الموصول من المبهم لأنّ جملة الصلة توضحه، بيد أنه قبيح في هذا الباب[2] ومثال ذلك:

«**وا أسفاه لقد أدركني الحرص والشّره على كبر سني حتى وقعت في شرّ ورطة**»[3]، «**وا سوأتاه من رفيق صالح قد ائتمنني على ماله وخلّفني فيه**»[4].

إن هذا الأسلوب الذي يعبر عن حزن وأسى القرد في المثال الأول من صديقه الغيلم الذي أراد الغدر به بعد أن حسبه صديقا وفيا ليس له مثيل، فحركة النفس الشجية المتدافعة من شدة الحزن والأسى تموت بالصوت المنبعث من أعماق الحلق حتى تخرج من الشفتين (وا) ... وفي هذا التركيب جمالية فنية، ترتبط بأنساق تعكس التجربة الفنية لدى الكاتب وهو يجسد حقيقة الندبة المعبرة عن حزن وأسى عميقيْن. وهذا ما يجعلها تقدم تناسقا فنيا بديعا في الأسلوب لا يقلّ قدره على التأثير من الشحنة الانفعالية كما يدل عليها قول "ابن المقفع" في المثاليْن السابقيْن.

- **التعجب:**من المعروف أن التعجب يعبّر عن استعظام فعل معين، وتظهر شعرية و جمالية النداء في التعجب من خلال ما يدل عليه من رهافة الذوق البلاغي، ومن أمثلة ذلك « **لقد عجبت منك أيها المحتال في قلة حيائك وقلة وكثرة قحّتك وسرعة جوابك لمن كلّمك**»[5] لقد دلت الكلمة (عجبت) أنّ الغرض من النداء

---

(1) المصدر السابق، باب الفحص عن أمر دمنة، ص 141.

(2) ينظر،سيبويه،الكتاب،تح،عبد السلام هارون،عالم الكتب،ص227،228

(3) ابن المقفع،كليلة ودمنة،باب القرد والغيلم،ص 194

(4) ابن المقفع،كليلة ودمنة،برزويه،ص67

(5) المصدر نفسه،باب الفحص عن أمر دمنة،ص130

هو التعجب واستعظام أمر قلة حياء "دمنة" مع أحد جنود الملك ما جعله يخرج مكتئبا حزينا مستحيِيًا مما وجهه له "دمنة" من توبيخ، وتظهر جمالية النداء الذي غرضه التعجب في أنه لم يكن لمجرد التنبيه أو النداء على أمر ما، بل جاء للتعبير عما يختلج في نفس مستعمله من تعظيم أمر ما وذلك لأجل التأثير في المتلقي.

في الأخير يمكن القول: إنّ النداء فعل إنجازي، فبمجرد النطق بصيغته اللغوية نكون قد أنجزنا فعلا مباشرا وهو التنبيه ولفت النظر، أو غير مباشر يتجاوز المعنى الحرفي للنداء إلى المعاني والدلالات التي ذكرت سابقا ولا يمكن حصرها فيما ذكر فقط ،بل تتعدّاه إلى معان أخرى إضافية يوحي ويدل عليها السياق، وهي القوة الإنجازية المطابقة لقصد الكاتب ومن ثمة فهي تعدّ الهدف المراد من الخطاب.

**ب– التوجيهيّات النفسية**

يتناول هذا المبحث القسم الثاني من أقسام التوجيهيات للفعل الكلامي وهي التوجيهيات النفسية؛ هي توجيهيات تصدر عن المتكلم في شكل انفعال يعبر عنه متوجها به إلى الملتقى لكي يحثه، أو يحرك مشاعره ليؤدي فعلا، أو يمتنع عن أداء الفعل، ومن هذا النوع يذكر على سبيل المثال : التحدي، التعجيز، العتاب، الطمأنة...[1]

من مميزات التوجيهيات النفسية أنها تكشف عن قصد المتكلم فيزُال اللَبس على السامع، ما يضمن تحقيق الاستجابة. وقد قُسّمت في كليلة ودمنة عدة أقسام منها ما كان للتحدي والتعجيز، الشتم، الشكوى المواساة وغيرها.

*** توجيهات نفسية تحد وتعجيز:**

تتجلى هذه التوجيهيات من خلال قطع مختلفة من قصص الكتاب نذكر على سبيل المثال:

«**نحن أحق أن نروم ما فوقنا من المنازل وأن نلتمس ذلك بمروءتنا نحن نستطيع التحول عنها** [2]».

«**لا تخاذلن في المعالجة** »[3].

«**قال الملك ... نجمع أمرنا ونستعد لعدونا ونذكي نار الحرب فيما بيننا وبين عدونا ونحترس من الغرة إذا أقبل إلينا فلنقاه مستعدين**»[4].

---

[1] ينظر، محمود الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 216.

[2] ابن المقفع، باب الأسد والثور، ص 82.

[3] المصدر نفسه، باب الحمامة المطوقة، ص150.

[4] المصدر نفسه، باب البومة والغربان، ص 169.

تظهر قوة تلك الأفعال الكلامية في منح القيمة للذات المتكلمة من خلال معاني التحدي التي يراد بها إحداث تعجيزات في نفوس السامعين من الخصوم، فيحدث بذلك التأثير المرغوب فيه من خلال هذه الأفعال.

*** توجيهيات نفسية تهكم:**

إنه – وكما هو معروف– أن التهكم[*] يصدر دوما عن ادعاء صريح أو ضمني، والمتهكّم يشعر دوما أنه من سلالة رفيعة وأنه قوي على الآخرين فقد ظهر التهكم في قصص كليلة ودمنة جليا واضحا، ولو أنه حاول أن يخفيه إخفاءً، فتظاهر بأنه إنما يروي نوادرَ وقصصاً على ألسنة الحيوانات لهدف التسلية، ومن أساليب التهكم الكثيرة فيها، ما يتعلق الأمر فيه بالنصب والاحتيال والإيقاع بالضحية وهذا ما تم ملاحظته بكَثرة في ثنايا أبواب من مثل: الثور والأسد، الفحص عن أمر دمنة، القرد والغيلم، الجرذ والسنور، إيلاذ وبلاذ وإيراخت والحمامة والثعلب ومالك الحزين.

وقد يأتي التهكم لأجل التصحيح أي أن يخرج من دائرة الاستهزاء والسخرية إلى دائرة فيها شيء من النصح تصحيحا لفعل معين صدر عن الملتقى المقصود بالتهكم، وذلك لوجود مفارقة بين النسبة الكلامية والواقع. ومثال ذلك ما صدر عن الوزير "إيلاذ" للملك قال الملك:« لقد أفسدت أمري وشددت حزني بقتل "إيراخت" قال "إيلاذ" اثنان لا ينبغي لهما أن يحزنا : المجتهد في البر كل يوم والذي لم يأثم قط. قال الملك : ما أنا بناظر إلى إيراخت أكثر مما نظرت قال : إيلاذ اثنان لا ينظران: الأعمى والذي لا عقل له ... قال الملك لو رأيت "إيراخت" لاشتد فرحي. قال " إيلاذ " اثنان هما الفرحان البصير والعالِم فكما أن البصير يبصر أمور العالَم وما فيه من الزيادة والنقصان والبعيد والقريب. فكذلك العالِم يبصر البر والإثم يعرف عمل الآخرة ويتبين له نجاته ويهدي إلى صراط مستقيم ... قال الملك صارت يدي من "إيراخت" صفرا، قال إيلاذ : ثلاثة أشياء أصفار النهر الذي ليس فيه ماء، والأرض التي ليس فيها ملك، والمرأة التي ليس لها بعل قال الملك: إنك يا إيلاذ لتقلى الجواب ، قال ايلاذ ثلاثة يلقون الجواب: الملك الذي يعطي ويقسم خزائنه والمرأة المهداة إلى من تود من ذوي الحسب، والرجل العالِم الموفق للخير»[1] يظهر القول تهكم "إيلاذ" كطريقة إقناعية يريد من خلالها أن يقنع الملك بالقيم الإيجابية، ولكن عكس ما يفكر، فهو يريد أن يخبر الملك بأنه سيكون حزينا إن هو أثم في كل يوم، لا أن يخطيء يوما ويشعر بالذنب بعد الخطإ، إذ يظهر من كلام الملك أنه أحس بخطئه

---

[*] التهكم أو الاستهزاء أو السخرية، هو ما كان ظاهره جِدا وباطنه هزلا كأنك تريد شيئا وتظهر غيره، أن تعبر عمّا تريد أن تقوله بقول مضاد له ويرد التهكم على خمسة أوجه: واردا على جهة الوعيد بلفظ الوعد تهكما، واردا بالمدح والمقصود الذم، واردا بصيغة القلة والمقصود التكثير، واردا على جهة التقليل وإخراجه مخرج شك واردا بالذم في صيغة المدح، ينظر، فاتن حسن ناجي، مفهوم التهكم في نصوص محمد الماغوط المسرحية، مجلة مركز باب، المجلد 4، العدد 1، ص 215، وينظر: العلوي (يحي بن حمزة بن علي بن ابراهيم)، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تد، عبد الحميد هنداوي المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2002، 91/3.

[1] ابن المقفع، باب إيلاذ وبلاذ وإراخت، ص 249-251

الفادح لما أمر وزيره "إيلاذ" بقتل زوجته "إيراخت" لأنها أخطأت بتصرفها معه وذلك غيرة عليه من جاريته التي أُعجب بها الملك بعد ارتدائها ثوبا يشع نورا في ظلمة الليل، ما جعلها تكون الأجمل في عيْنيه دون منازع. كذلك كلامه الذي أشار من خلاله إلى أن المجتهد على البر والذي لم يأثم قط فليس جديرا به أن يحزن. فهو يريد أن يقنع الملك بعكس ما يقوله.

وفي الأخير، وبعد أمثلة تهكمية عديدة من "إيلاذ" للملك يصرح أنه لم يقتل زوجته "إيراخت" فهو أراد من أمثلته تلك أن يعلمه أن لا عجلة في العتاب والعقوبة ،ولا سيما من يخاف الندامة، ومن أمثلة التهكم الذي أوتي به لأجل السخرية والنصب والاحتيال والإيقاع بالضحية سؤال الثعلب لمالك الحزين « **يامالك الحزين إذا أتتك الريح عن يمينك فأين تجعل رأسك؟ قال أجعله عن يميني أو خلفي... قال إذا أتتك الريح من كل مكان وكل ناحية أين تجعله؟ قال أجعله تحت جناحي قال وكيف تستطيع أن تجعله تحت جناحيك ما أراه يتهيأ لك قال بلى قال: فأرني كيف تستطيع فلعمري يا معشر الطير لقد فضلكن الله علينا... وتدخلن رؤوسكن تحت أجنحتكن من البرد والريح فأرني كيف تصنع فأدخل الطائر رأسه تحت جناحيه فوثب عليه الثعلب ... فهمزه همزة دق عنقه ثم قال : ترى الرأي لحمامة وتعجز عن ذلك لنفسك**»[1].يُظهر لنا هذا القول أن تساؤلاتِ الثعلب عن إمكانية تصدي مالك الحزين للرياح من كل جانب لم تكن إلا لأجل الاحتيال عليه؛ أي أنه كان يتصنع الجهل حتى يوقع بمالك الحزين وينتقم منه على نصحه للحمامة حيث أصبحت تحترس من مكر الثعلب ولا تظهر له استسلامها كما كانت تفعل ذلك قبل تلقي النصائح من مالك الحزين، إن هذا المثال أظهر لنا أن من عوارض التهكم إظهار التأدب وإضمار ضده. ومنه يمكن التسليم بأن للقول التهكمي مستويان؛ ظاهر صريح غير مقصود ومضمَر خفي مقصود، إضافة إلى أن التهكم بديل يحتاج إلى استدلال قوامه الإحاطة بملابسات القول ومبادئ التخاطب[2] والمقصود بما جاء في القول، تحليل الفعل الكلامي (المثال السابق) وفق مبادئ "غرايس" (التعاون، التأدب، الكيف، الملائمة...) وهذا ما سيتم التطرق إليه في المباحث اللاحقة، يظهر لنا من خلال المثالين السابقين أن المتكلم " ابن المقفع " يعتمد التهكم في كلامه بوصفه مفارقة مؤقتة سرعان ما ينتبه إليها المخاطَب ويكتشفها أما في حالة الكذب فإن المتكلم لا يريد للمخاطَب اكتشاف تلك المفارقة، وهنا تكمن جمالية التهكم [3] وقد نجح "ابن

---

[1] المصدر السّابق، باب الحمامة والثعلب والملك الحزين، ص 272-273.

[2] ينظر، عبد العزيز بن عيش، التواصل بين القصد والاستقصاء، مقاربة تداولية لفاعليتي التدليل والتأويل، أطروحة دكتوراه مخطوطة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ظهر المهراز فاس، المغرب، 2004/2003، ص 298.

[3] ينظر: إدريس سرحان، طرق التضمين الدلالي والتداولي في اللغة العربية وآليات الاستدلال، رسالة دكتوراه مخطوطة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ظهر المهراز فاس، المغرب، 2000/1999، ص 492-494.

المقفع" نجاحا كبيرا في إخفاء قصده التهكمي وهذا مما يرفع قمة التهكم كفن بلاغي؛ فلا يحذقها ولا يمهر فيها إلا من أوتي خيالا خصبا وصبرا وطول ممارسة لهذا الفن القولي.

«**إن التهكم والسخرية أكثر من مجرد أداة للاسترخاء ...وهي أفضل وسيلة لإظهار عدم التوافق بين المتكلم وخطابه. لأن البلاغة تسعى دوما لأن تجعل من الحجة الضعيفة حجة قوية**»[1]. هذا يعني أن ابن المقفع (المرسِل) من خلال خطابه التهكمي لا يسعى إلى إثارة المتعة لدى المرسَلين إليهم ( حكّام العصر العباسي) أو إيهامهم أو التحايل عليهم، بل يسعى إلى إقناع متلقيه في السخرية بمشاركته في آرائه ويسعى في ذلك إلى إقناعهم باعتماد حجج الإمتاع والإقناع. وكأن التهكم استراتيجية تداولية تهدف إلى تغيير الواقع خاصة وأن " ابن المقنع " عاش في العصر العباسي فأراد بالتهكم تقويم الإعوجاج الذي ساد فيه آنذاك فاستطاع ببلاغته النفاذ في عقول وأذهان الناس بهدوء خوفا من بطش الحكام الذين يدركون جيدا خطورة ما يحمله التهكم من نقد لاذع لسياستهم كما يعلمون قدرة التهكم على قلب الجماهير ضدهم، وبهذا ينشؤون أفعالا تأثيرية من جراء حالات نفسية تتكيف وآراء ابن المقفع يسعى من خلالها إلى التنفيسيْن الذهني والنفسي عن غيظ مكتوم أو صدى لاستهزائه بالأحداث.

*** توجيهيات نفسية : شكوى، تظلم.**

إن أي خطاب يعد موجّها لتحقيق البعد التفاعلي التأثيري للغة، وذلك من خلال الفعل الكلامي وفق سياق معين، ومما ارتأى البحث إدراجه في التوجيهيات النفسية، لذات الشأن، ما كان لغرض الشكوى والتظلم هذان المصطلحان اللذان كثيرا ما ارتبطا بمجموعة كلمات تشكل حقليهما الدلاليَيْن ولعل أبرزها معتدي(ظالم)، معتدَى عليه (مظلوم) وقاضي يحتكمان إليه ؛فقد يرفع أحدهما شكواه إليه لأجل الفصل في القضية بما يطابق القانون فيظهر الحق ويزهق الباطل وذلك بعد تقصّي الأدلة وتتبعها حتى من خلال التظلم[*].

وقد اتسمت التوجيهيات النفسية "شكوى، تظلم" بالوضوح في التعبير عن قصد المتكلم، وهذا ما يزيل اللَبس على السامع، مما يضمن تحقيق الاستجابة، لأنه لا مجال فيها لغرض التأويل أو التملص كونها صريحة ووجيهة ومن أمثلة ذلك:«... **حتى جاء أهلها وأقرباؤها فرأوها على تلك الحال فأخذوا الحجام فانطلقوا به**

---

[1] Alain lempreur 1991, L'argumentation collectif, Michel Mayer , Université libre de Bruxelles centre européen pour L'étude de L'argumentation, Edition margada .P.P 108-109.

[*] التظلم هو قيام صاحب المصلحة بالشكوى من قرار يرى عدم مشروعيته أو إلحاقه الضرر بمركزه القانوني، طالبا ممن أصدره، أو من رئيسه الأعلى إلغاء هذا القرار أو تعديله أو سحبه أو التعويض عما سببه من ضرر. ينظر، التظلم الإداري، نجم الأحمد، مقال كلية الحقوق، قسم القانون العام، مجلة الجامعة، دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 29، العدد 03، 2013، ص 09.

**إلى القاضي فقال له القاضي. ما حملك على جذع أنف امرأتك، فلم تكن له حجة يحتج بها، فأمر به القاضي : أن يقتص منه فلما قدم للقصاص وافى الناسك فتقدما إلى القاضي وقال له أيها الحاكم لا يشتبهن عليك هذا الأمر فإن اللص ليس هو الذي سرقني، وإن الثعلب ليس الوعلان قتلاه، وإن البغية ليس السم قتلها، وإن امرأة الحجام ليس زوجها جذع أنفها، إنما نحن فعلنا ذلك بأنفسنا، فسأله القاضي عن التفسير فأخبره بالقصة، فأمر القاضي بإطلاق الحجام»**[1] إن ملخص ما يُفهم من هذا المثل أن الناسك قد ضرّ نفسه لأجل أن يبرّئ الحجام من ذنب لم يقترفه فهو لم يجذع أنف زوجته ولم يُلحق بها أضرارا لا جسدية ولا نفسية، فهذا الإجراء الذي قام به الناسك يطلق عليه اسم (التظلم) حتى وإن كان المتظلم الحقيقي هو الحجام إلا أن الناسك كان وكيلا عليه لأنه أراد تبرئته، ولكنه قد ضر نفسه بالمقابل دون أن يحترس لذلك ،إذ إنه ذكر أحداثًا ووقائعَ حدثت معه في طريقه إلى القاضي لرفع شكواه إليه بخصوص سارق احتال عليه وأخذ منه كسوة فاخرة كان الناسك قد أصابها من بعض الملوك، ذكر الناسك تلك الأحداث الواقعة معه ولكنه ولأجل اضطراب نفسي أصابه من جراء هلعه ،قام بإدلاء شهادته لصالح الحجام وتبرئته ،غير أنه أوقع نفسه في معضلة وكان كل ذلك لأنه كان مشوش الذهن؛ إذ إنه نفى قتل الوعلان للثعلب، ونفى موت البغية بالسم، وهما خبران غير صادقين لأنهما لا يطابقان الواقع، أما حديثه عن عدم جذع الحجام لأنف زوجته فكان الخبرَ الحقيقي الوحيد.

من خلال ما سبق يمكن تمييز فعليْن تداولييْن أحدهما "تظلم" صدر من "الناسك" ليحث به القاضي ويحرك به يده السلطوية لأجل رفع التهمة الباطلة عن الحجام وقد نجح "الناسك" في ذلك وتمخض عن فعله القولي هذا (المتضمن لأدلة عقلية بعدما سرد عليه القصة) تمخض عنه عمل تأثيري تسبب في نشوء آثار في نفسية ومشاعر القاضي جعلته يحكم ببطلان التهمة والإقرار ببراءة الحجام، أما الفعل التداولي الآخر فلم يكن ناجحا أو بعبارة أدق لم يكن لصالح الناسك ،لخلل حدث دون تحقيق مراده الذي من أجله سلك طريقه الطويلة نحو القاضي فحدث ما لم يكن متوقعا وهو أن الناسك ما ضره في مصيره سوى نفسه، ولعل جمالية وبلاغة هذا المثل الذي أتى به "كليلة" لأخيه "دمنة" يكمن في حسن إشارته للمعنى المراد إيصاله له حيث إنه سرد عليه مثل الناسك واللص ليخبره بطريقة فنية بلاغية عاقبة ما فعله دمنة بتفريقه للمتحابيْن وقد أجدى نفعا هذا الأسلوب من كليلة إذِ استطاع تحريك مشاعر دمنة- ولو مؤقتا- إذ قال دمنة بعد استماعه للمثل «**قد سمعت هذا المثل وهو شبيه بأمري: ولعل ما ضرني سوى نفسي ولكن ما الحيلة؟**»[2].

---

[1] ابن المقفع، باب الأسد والثور، ص 93.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ومن أمثلة الكتاب المتضمنة كذلك للشكوى والتظلم مثل الغراب الأسود «**كان الغراب إذا أفرخ عمد الأسود إلى فراخة فأكلها فبلغ ذلك من الغراب فأحزنه فشكا ذلك إلى صديق له من بنات آوى وقال له : أريد مشاورتك في أمر قد عزمت عليه ...**»[1].

ومثل وكيل البحر والطيطوي: «**قال الذكر : سوف أنتقم منه... فقال لهن : إنكن أخواتي وثيقاتي فأعنّني ... قال: تجتمعن وتذهبن معي إلى سائر الطير فنشكو إليهن ما لقيت من وكيل البحر ونقول لهن ... فأعننا... فذهب بنا إليها فتظهر لنا فنشكو إليها ما نالك من وكيل البحر**»[2].

إن ما يجمع هذيْن المثاليْن هو الشكوى من محتالين (الأسود، ووكيل البحر) يستعملان قوتيهما العضلية أو الخارقة للعادة فيقتلان ضعيفا بريئا: فهذا الثعبان الأسود ينال من فراخ الغراب في كل مرة إذا أفرخ، وذلك وكيل البحر قد ذهب بفراخ الطيطوى وفي كل مرة يلتمس فيها المشتكي حلا لمعضلته إلا وجد لها طريقا تنجيه ،وهذا راجع إلى حسن اختيار المشتكي للمشتكي إليه؛ فهذا ابن آوى يتسم بالحيلة والدهاء قد أنقذ الغراب وأراح نفسيته لما دله إلى فكرة أخذِ حلي المرأة ووضعها على مرأى الناس في جحر الأسود فكان ذلك مثيرا لهم ورأوا في أن أخذ الحلي لا يكون إلا بقتل الأسود فخلّصوا بهذا فراخ الغراب. وهذا طائر العنقاء قد أخاف وكيل البحر لأنه رأى أن لا طاقة له به فخاف ورد فراخ الطيطوى، وصالحه.

إنّ ابن المقفع قد أجاد من خلال كل هذا، تنظيم أفكاره وترتيبها في كل مرة فجاءت معانيه جلية أثّرت في النفس تأثيرا خلاّبا لما لائم الكلام الموطن الذي قيل فيه فتحقق بذلك فعل تداولي.

وتجدر الإشارة إلى أن بقية ما تضمنه الكتاب من أفعال أخرى تندرج ضمن **التوجيهيات النفسية: شكوى وتظلم** ما هي إلا انعكاس لنفسية ابن المقفع وما رآه من مساس بكرامة الرعية من جراء ظلم الحكام العباسيين لهم –على اختلافهم– هذا الضرر المعنوي الذي لطالما مس أحاسيس وعواطف الشعب ولهذا يهدف بكتاباته توعية الشعب، وكذا هو خطاب غير صريح موجه للحكام. هذا الخطاب الذي جعله على لسان الحيوان هروبا من عقابهم فاعتمدا التلميح نظرا لمرتبته ووضعه الذي لا يُحسد عليه في عصر أبي جعفر المنصور متبنيا بذلك استراتيجية الفيلسوف "بيدبا" دون أن يعلن صراحة عن مقاصده.

وبالإجمال يمكن القول إنّ الكاتب قد راعى –في أثناء إخراجه لهذا العمل– كوامن النفس وانطباعها للمتلقين لحظة تلقيه وفهمه إياه أو تأثره النفسي «**فأول ذلك وأظهره أن أُنس النفوس موقوف على أن تخرجها**

---

[1] المصدر السابق، ص 95.

[2] ابن المقفع، باب الأسد والثور، ص 117.

**من خفي إلى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكني وأن تردها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء أخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس»**[1].

فالجرجاني يحدثنا عن تأثير التمثيل النفسي في الملتقى وهذا ما أظهرته أمثلة التوجيهيات النفسية المختلفة، فالكلام البليغ للخطابات المقدمة يظهر من خلال ما خلفه من وقع في نفوس وأذهان المتلقين.

[1] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 102.

## 3- الأفعال الالتزامية (الالتزاميات commissives )

سيخصص هذا المبحث لدراسة الأفعال التي تندرج ضمن ما يلتزم المتكلم-طوعا وبنية- بفعل شيء ما للمخاطَب دون أن يحاول بالضرورة التأثير عليه فيما يسمى بالالتزامات أو الوعديات، وتضم الإنجازيات الالتزامية التي تم تصنيفها من المدونة، مجالات فرعية تم حصرها في : **الوعد، القسم، الاهتمام والتصميم**.

### 1- أفعال الوعد والتعهد :

#### أ- أفعال الوعد :

يقتصر مفهوم الوعد على أنه الالتزام للغير بما لا يُلزم ابتداءً والموعدة نتيجة الوعد.[1] قال تعالى: (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ[2])، ومن أمثلة ما ورد في كليلة ودمنة من أفعال إنجازية التزامية من صنف الوعد نذكر:

* **مقدمة الكتاب**[3]:

**«أجازيك فإني مصغ إليك ومقبل عليك وسامع منك.... وأجازيك على ذلك بما أنت أهله، آته (لم آته- جهلا)، أجود (أن أجود.)**

* **الفصل الثاني: بعثة برزويه**[4]

**مرحلك (فإني مرحلك إلى أرض الهند)**

* **الفصل الثالث : غرض الكتاب**[5]

(أجعله ولكن أجعله على رزمه فلعله يسبقني إلى الحانوت، آمن ( لم آمن إن تركت الدنيا وأخذت في النسك)

* **باب الأسد والثور**[6]

أؤمنك( أؤمنك على ما سلف)، مكرمك (فإني مكرمك) أدلك (أدلك على أمر إن أنت قدرت عليه كان فيه هلاك الأسود) .

---

[1] ينظر، مجلة البحوث الإسلامية، بحث في الوعد وحكم الإلزام بالوفاء به ديانة وقضاءً، العدد 36، إصدار من ربيع الأول إلى جمادى الثانية 1413 هـ، جزء 36، ص 131.

[2] التوبة ، 114.

[3] ابن المقفع، مقدمة الكتاب، الفصل الأول، ص 14،20،21.

[4] المصدر نفسه، الفصل الثاني، ص 29.

[5] المصدر نفسه، الفصل الثالث، ص 53، ص 69.

[6] ابن المقفع، باب الأسد والثور، ص 89، 90، 97.

*** بابا ألناسك وابن عرس" و " الجرذ والسنور"[1]**

سأبيع (سأبيع ما في الجرة، وأشتري به عشر أعنز) أستأجر، أزرع، أنتفع (وأستأجر، أكرة وأزرع على الثيران وأنتفع بألبان الإناث) فأغتسل وأعود سأشكرك (ثم إنك إن فعلت ذلك سأشكرك) سأدنو (فإني سأدنو منك فأقطع الحبالة كلها إلا حبلا أبقيه لأستوثق لنفسي).

***باب الأسد وابن آوى[2].**

موليك، رافعك، جاعلك( وأنا موليك من عملي ورافعك إلى منزلة شريفة وجاعلك من خاصيتي ).

معفيك (فإني غير معفيك من العمل) أكفيك، أبلغ (أنا أكفيك ذلك وأبلغ بك من درجات الكرامة والإحسان على قدر همتك).

أعنته وعملت ( فإذا وثقت منه بذلك أعنته بنفسي فيما يجب وعملت له فيما أولاني بنصيحة واجتهاد فحرصت على أن لا أجعل له على نفسي سبيلا).

منزلك (فإني منزلك من نفسي منزلة الأخيار الكرماء).

لا يوجد –فيما تقدم– أفعال للوعد بشكل صريح؛ أي لم يستعمل المتكلم أفعالا من مثل "أعد" ولكن يمكن تصنيف الأفعال من حيث معانيها التي تصب في محتوى "الوعد والإلزام" دون أن يُنسى سياق الملفوظات الذي سيقود المتلقي إلى المعاني التداولية التي تربط العبارات بمقام إنتاجها، فكان من أفعال الوعد المضارع الذي دل على الحاضر والمستقبل (لما يقترن بالسن) والهادف للحركة والحيوية، وكلها أفعال نسبت للمتكلم المفرد لأنه وحده القادر على إنجاز ما يعد به. و قد لوحظ أنه لا يُلفظ الفعل إلا إذا كان في إمكانية إنجازه وهذا ما يوافق جوهر الالتزاميات من صدق النية والعزم على الوفاء بها.

والماضي الهادف للإخبار والتقرير (أغنته، عملت، حرصت) والذي ثبت وروده في أسلوب الشرط في قوله «**فإذا وثقت منه بذلك أعنته بنفسي فيما يجب وعملت له فيما أولاني بنصيحة واجتهاد وحرصت** ... »[3].

فهذا الأسلوب الشرطي المستعمل في هذا الخطاب يستدعي حضور البعد التداولي، من خلال وجود شرط العمل وجوابه المتمثل في إخلاص ابن آوى للأسد بنصيحة واجتهاد وذلك في مقابل الثقة الكبيرة التي وضعها فيه الأسد ملك الغابة.

---

[1] المصدر السابق، بابي الناسك وابن عرس وَ الجرذ والسنور، ص 202، ص 203، ص 207، ص 209.

[2] المصدر نفسه، باب الأسد وابن آوى، ص 225، 226، 227، 232.

[3] ابن المقفع ، باب الأسد وابن آوى ،ص 227.

وهناك صيغة اسم الفاعل مثل (مصغٍ، مقبل، سامع، مكرمك، معفيك، منزلك... فكل اسم من أسماء الفواعل هذه تحمل معاني أفعالها وتعمل عملها، وهي كلها جاءت توحي بالغرض التداولي الذي أنجزته الأفعال الالتزامية.

وعن اتجاه المطابقة في أفعال الوعد فقد كانت كلها من **العالم إلى الكلمات** وخير مثال يستدل به على هذا قول "ابن المقفع" على لسان الأسد مخاطبا ابن آوى «**وإني منزلك من نفسي منزلة الأخيار الكرماء ... وقد عدنا إلى الثقة بك فعد إلى الثقة بنا ... فعاد ابن آوى إلى ولاية ما كان يلي وضاعف له الملك الكرامة ولم تزده الأيام إلا تقربا من السلطان**»[1]. إذ وعد الأسد ابن آوى أن ينال منه منزلة تليق بالأخيار والحُذّق أمثاله فهذه العبارة كان الهدف منها هو جعل العالَم مطابقا لكلماتها ،وفعلاً، وبتوفر شرط النية الصادقة والإخلاص قد طبق الملك وعده وقرّب ابن آوى إليه أكثر فأكثر وزاده كرامة وقربا من السلطان، ذلك أن الملك لا يُضبَط إلا مع ذوي الرأي من الوزراء والأعوان الذين لا يُنتفع منهم إلا بالمودة والنصيحة.

**ب– أفعال التعهد :**

يمكن أن تتميز المعاهدة عن الوعد في فرق دقيق هو أن الوعد عهد من طرف واحد هو المتكلم، أما المعاهدة فهي عهد بين طرفين أو أكثر والالتزام يقع على الأطراف جميعا لا على المتكلم وحده كما في الوعد.[2]

ومن أمثلة المعاهدة في المدونة نذكر:

نروم، نلتمس (نحن أحق أن نروم ما فوقنا من المنازل وأن نلتمس ذلك بمرؤتنا) [3] نتعاون، نطير (**ولكن نتعاون جميعنا ونطير كطائر واحد ... فجمعن أنفسهن ووثين وثية واحدة فقلعن الشبكة**) [4].

**نجمع، نستعد، نذكي، نلقاه، نقاتله، نتحرز، ندافع، نصيب(نجمع أمرنا ونستعد لعدونا ونذكي نار الحرب فيما بيننا وبين عدونا ونحترس من الغرة إذا أقبل إلينا فنلقاه مستعدين ونقاتله قتالا غير مراجعين فيه ولا حامين عنه .... ونتعرز بحصوننا وندافع عدونا بالأناة مرة وبالجلاد ... نصيب فرصتنا**) [5].

**(لا تجزع نحن لك الفداء...)** [6].

---

[1] المصدر السابق، ص 232.

[2] ينظر، خليفة بوجادي، خصائص التركيب اللغوي في بوابات النور، ص 27.

[3] ابن المقفع، باب الأسد والثور، ص 82.

[4] المصدر نفسه، باب الحمامة المطوقة، ص 150.

[5] المصدر نفسه، باب البوم والغربان، ص 168، 169.

[6] ابن المقفع، باب ايلاذ وبلاذ وايراخت،ص 243

**نأتيك، نجزيك (نأتيك فنجزيك بما أسديت إلينا من المعروف)** [1]**نشتري (لا نشتري منهم شيئا حتى يكسُد المتاع عليهم....)** [2].

لا يوجد في أفعال التعهد ما هو صريح (أتعهد) ولكن سياق الخطاب يحصر لنا بعض معاني التعهد، والملاحَظ على الأفعال أنها جاءت منسوبة إلى المتكلم الجمع ،وهذا راجع إلى أصل المعاهدة التي تكون بين شخصين أو أكثر وقد كانت الأفعال كلها أفعالا مضارعة تدل فيما تدل على الحيوية والحركة (نجمع، نستعد، نذكي، نلقاه، تقاتله) وقد توفرت فيها شروط الفعل الالتزامي، ويعد المتكلم (وهم جماعة )قادرا على إنجازها حال التلفظ بها وخير مثال على ذلك، ما صدر عن الحية والقرد والبَبْر من عهود للسائح الذي أنقض حيواتهم تعاهدوا أمامه محاولة لرد جميله معهم:« **فإن مررت بنا يوما من الدهر واحتجت إلينا فصوت علينا حتى نأتيك فنجزيك بما أهديت إلينا من المعروف**»[3] وما يظهره التزامهم له بذلك مطابقة العالم لكلماتهم وذلك أنه لما مر بمدينتهم ونادى عليهم لما احتاجهم لبُّوه دون أن يتوانوا عن ذلك.

## 2- أفعال القسم :

إن القسم هو أسلوب يراد به تأكيد المعنى باستخدام ألفاظ دالة على اليمين قد تكون الألفاظ حروفا (الباء، الواو، التاء) أو أسماء ( عمر، أيمن، يمين) أو أفعالا (أحلفُ، أُقسمُ) وإننا نجد "ابن المقفع" قد نوع في أساليبه الخطابية وفي طريقة عرضها فكان القسم واحدا من هذه الأساليب، وذلك لدفع الملل عن المتلقين من جهة ،وللتأكيد والإقناع وإقامة الحجة والدليل على المتلقين من جهة أخرى، ولهذا كان القسم أحد أوجه الأفعال الالتزامية لأن فيه ربط النفس بالامتناع عن شيء أو الإقدام عليه فنجد المقسِم نفسَه ملزَما بذلك ومن أمثلة ذلك قول "ابن المقفع":

«**وقال: والله لقد حرقْتُ في قولي الذي جلبت به العداوة والبغضاء**»[4] «**فقال الآخر : لعمري ما تكاد السرائر أن تعرف**»[5]

«**ولعمري ما كنتَ جديرا أن تخبرهم برؤياك**»[6].

---

[1] المصدر السابق، باب السائح والصائغ، ص 259.

[2] المصدر نفسه، باب ابن الملك وأصحابه، ص 265.

[3] المصدر نفسه، باب السائح والسائغ، ص 259.

[4] المصدر نفسه، باب اليوم والغربان، ص 176.

[5] المصدر نفسه، باب الأسد وابن آوى، ص 228.

[6] ابن المقفع، باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت، ص 243.

«**فلعمري يا معشر الطير لقد فضلكن الله علينا إنكن تدرين في ساعة واحدة مثل ما ندري في سنة**»[1]

من الملاحَظ أن خطاب "ابن المقفع" لم يكن فيه أسلوب القسم إلا ما ورد بلفظ الجلالة (الله) مسبوقا بواو القسم، إضافة إلى صيغة (عَمْر) (لعمري) وقد جاءت كلها لأجل التأكيد ولا يقصد بها القسم كاليمين[2] بل القسم الذي يظهر به المقسِمُ الجدية والإثبات في الكلام وكذا يستعمله كوسيلة للبرهان المفعم.

فقسم الغراب بـ (والله ) لأجل أن يؤكِّد ندمه على ما تلفظ به لجماعة البوم والذي كان نتيجة جَلَبة العداوة والبغضاء على جماعته، فأراد أن يثبت ذلك في أذهانهم وإزالة ما يمكن أن يعلق في أنفسهم من التردد في قَبول الأمر ولهذا استعمل "والله" لتعظيم الأمر الذي أدى إلى قسمه بالله أما القسم بـ (لعمري) فهو أيضا لتأكيد المعنى وليس من قبيل الحلف بغير الله.

أما عن اتجاه المطابقة فمنها ما كان من **العالم إلى الكلمات** لتوفر شرط الإخلاص والنية كالتركيبين الأول والثالث حيث إنّ الغراب أظهر أسفه على ما بدر منه من سوء كلام يعيب فيه اليوم بأنه رمز الشؤم وسائر العيوب وقد تكلم هذا علانية أمام الملإ لكنه ندم فيما بعد حيث قال « **ليتني لم أخبر الكراكي بهذه الحال ولم أعلمها بهذا الأمر، أنا صاحب القول الذي لا عاقبة له محمودة أليس من سفهي اجترائي على التكلم في الأمر الجسيم لا أستشير فيه أحدا**»[3]، فهو نادم أشد الندم عما بدر منه من سوء تلفظ فهو سبب عداوة وبغضاء دامت طويلا بين فصيلة البوم والغربان.

وفي التركيب الثالث تأكيد الوزير إيلاذ من خلال قسمه على خطإ الملك في إخبار البراهمة برؤياه وأراد منهم أن يعبروها له ذلك لأنهم أعداء الملك ويريدون الانتقام لأصحابهم الذين قتلهم الملك بالأمس، وقد طلب منه الوزير إيلاذ الذهاب إلى "كباريون" الحكيم فهو عالم فطن وهو الذي يستطيع تعبير رؤياه وما كان من **مطابقة العالم للكلمات** أن أحسن "كباريون" تعبير رؤيا الملك وكل ما أخبره إياه وقع في الحقيقة.

أما القسم الذي كان جوابه زائفا فتمثل في التركيبين الثاني والرابع: حيث إنّ أحد الوزراء المحتالين الذين أرادوا الإيقاع بابن آوى قد أكد بقسمه على خيانة ابن آوى المزعومة، وذلك لما طلب من الملك أن يصدر أمرا بتفتيش بيت ابن آوى وهو متقين بأنهم سيجدون فيه اللحم الذي يعود لغداء الملك، الوزير متأكد من ذلك لأنه من دسّ

---

[1] المصدر السابق، باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين، ص 273.

[2] سمي الحلف يمينا لأن العرب كان أحدهم يأخذ يمين صاحبه عند التحالف فيتضمن القسم معنى الكفالة والضمان ينظر، محمد لخضر حسين، من بلاغة القرآن، تح، علي الرضا التونسي 1971 ، ص 45 و مناع القطان، مباحث في علوم الحديث، مؤسسة الرسالة، ط19، 1986، ص 290.

[3] ابن المقفع، باب البوم والغربان، ص 176،177.

ذلك في بيت ابن آوى حتى يزعزع ثقة الملك به، فهذا يُظهر **مطابقة العالم للكلمات** ولكنه واقع مزيف لغياب النية والإخلاص.

وأخيرا قَسَمُ الثعلب لمالك الحزين بطريقة فيها من الإغراء ما يجعل مالك الحزين لا يشك بغدر الثعلب فهذا وإن كان فيه مطابقة العالم للكلمات ذلك لأن الطيور تعلم بأخبار المخلوقات في وقت وجيز لأن الله ميزها عن سائر الحيوانات بميزة الطيران بأنها تدخل رؤوسها تحت أجنحتها إلا أن هذا الكلام يخلو من النية الخالصة تجاه مالك الحزين وهذا ما جعل الفعل الالتزامي ( القسم) غير نفعي لأن الثعلب أراد به الخيانة وقد نجح في ذلك وقتل وأكل مالك الحزين، وتكمن جمالية وبلاغة القسم في أنه يرفع عبء التكرار والاستدلال والبرهان على صدق القول لما في عبارات القسم من قوة إنجازية تظهر بموجز القول ،كالسهم تماما يضرب به القناص فيصيب الهدف بسرعة «إنّ في أسلوب القسم معانٍ مفيدة للاستدلال، مما يفتح عليه من البلاغة أبوابا ويلقي عليه من المحاسن جلبابا»[1]. ويمكن تلخيص المعاني التي دلك عليها العبارتان و(الله) (لعمري) في :

1- توكيد الأمر وإثباته بلفظ موجز.

2- دلالتها على الجد في القول.

3- تنويع أساليب الخطاب خوفا من الملل.

أما اختلاف صيغ القسم فهو تعبير واضح عما في نفس المقسم من التأثر والانفعال لنفي ما يتحدث عنه أو تثبيته والاختلاف بالضرورة راجع إلى تفاوت درجات القوة بين صيغة وأخرى.

**3- أفعـال الاهتمام :**

«**الاهتمام هو إلزام المتكلم نفسه بالحرص والاكتراث والاهتمام في إنجاز الحدث أو متابعته والعناية به**»[2]

ومن أمثلة أفعال الاهتمام في الكتاب نذكر :

أصرف، (أن أصرف عنايتي إليهم) مصغ، سامع، مقبل « **فإني مصغ إليك ومقبل عليك وسامع منك**»[3]

**فقال الغراب: أصحبك «أريد أن أصحبك فأتعلم منك وآخذ عنك»**[4]

لأتبعهن « **فقال الغراب لأتبعهن وأنظر ما يكون منهن فالتفتت المطوقة فرأت الصياد يتبعهن**»[5].

---

[1] عبد الحميد الفراهي، إمعان في أقسام القرآن، دار القلم، دمشق، ط1، 1994، ص 94.

[2] علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 212.

[3] ابن المقفع، مقدمة الكتاب، ص 13،14.

[4] المصدر نفسه، باب الأسد والثور، ص 90.

[5] ابن المقفع، باب الحمامة المطوقة، ص 150.

**«وقال : إن القرود لا يملكون شيئا ولكن أقعد حتى آتيك، وانطلق القرد وأتاه بفاكهة طيبة فوضعها بين يديه فأكل منها حاجته فأستقبله البير وقال : ... فاطمئن ساعة حتى آتيك فانطلق البير ندخل في بعض الحيطان إلى بنت الملك فقتلها وأخذ حليها فأتاه به من غير أن يعلم الشائح من أين هي ... فقال الصائغ : اطمئن حتى آتيك بطعام ثم خرج وهو يقول : قد أصبت فرصتي، ... فانطلق إلى باب الملك فأرسل إليه أن الذي قتل ابنتك وأخذ حليها عندي »**[1].

لايوجد فيما تقدم أفعال للاهتمام بشكل صريح (أهتمّ) ولكنها كلها أفعال تنتمي إلى حقل الاهتمام وقد جاءت بصيغتين ، أسماء فواعل : مصغ، مقبل، سامع.

أفعال مضارعة : منسوبة إلى المفرد المتكلم (أصرف، أصحبك، أتعلم منك، آخذ عنك، أتبعهن، آتيك) وهي كلها (الصيغ) منسوبة إلى المفرد المتكلم لأنه هو الوحيد الذي يلتزم بإنجاز أفعال معينة لاهتمامه بها ذلك أنّ الاهتمام في مفهومه الواسع ليس قصة تُروى أو حديثا عابرا بل هو أفعال تُرى ،وهذا ما يقودنا إلى الشرط التداولي **مطابقة العالم للكلمات** هل تحقق في جملة أفعال الاهتمام أم لا؟ إنه ومن خلال السياق يتضح لنا أنّ تلفظ المتكلم بأفعال الاهتمام تصاحبه بعد ذلك أفعال تأثيرية ناتجة عنه ومن ذلك (مصغ، مقبل، سامع، أصحبك، لأبعهن، آتيك) ولعل ما يبين اهتمام المتكلم وحرصه على متابعة أقواله، الأفعال (فأتعلم منك وآخذه عنك، أنظر ما يكون منهن فالتفتت المطوقة فرأت الصياد يتبعهن).

ناهيك عن الفعل " آتيك " والذي صدر عن الثلاثة (القرد، الحية، والبير) فالتزامهم واهتمامهم بخدمة السائح ظاهر بجلاء ذلك لأنهم حققوا ما وعدوا به السائح ما يجعل العالم مطابقا للكلمات وذلك لتوفر النية والإخلاص والعناية بإنجاز ما اهتموا به.

أما ما صدر عن الصائغ بقوله (آتيك) فلأجل تضليل السائح وصرف شكه في صدق ما يريد الصائغ فعله بالسائح إذ إن فعله (آتيك) لم يكن مطابقا لكلامه وهذا ما تظهره المكيدة ،حيث إنّه أحضر حراس الملك ليأخذوه ويعاقبوه لأنه وجد لديه حلي ابنة الملك المقتولة.

[1] المصدر السابق، باب السائح والصائغ، ص 260،261.

**4- أفعال التصميم :**

يدل التصميم على «**الإصرار والمثابرة والتصميم على تنفيذ الحدث**»[1]

ومن جملة ما تضمنه الكتاب من أفعال للتصميم ما يلي :

لم أتكلم «**إذا لم أتكلم بها ملكتها**»[2]، لأسكتن، لا أذعره، لا أعلمه «**والله لأسكتن حتى أنظر ماذا يصنع ولا أذعره ولا أعلمه أني قد علمت به، فإذا بلغ مراده قمت إليه فنغصت ذلك عليه**»[3] لآتيه «**إن الأسد أرسلني إليك لآتيه بك وأمرني إن أنت عجلت إليه طائعا أؤمنك على ما سلف**»[4]

لأثبتن، أنجو بها «**فلأثبتنن مكاني حتى أنظر ماذا يصنع .. فإني أرجو ألا ينصرف إلا وقد أنجو بها قطعت الحبائل عن السلحفاة وأنجو بها**»[5] أخلص «**لست أعمل لآخرتي عملا أفضل من أن أخلص هذا الرجل من بين هؤلاء الأعداء**»[6].

تدل الكلمات المسطر تحتها على التزام المتكلم بإنجاز أفعال يرى فيها لزوم الإصرار والمثابرة وذلك لأهمية تحقيقها وخير مثال على ذلك (لآتيه بك) فهذا فعل أراد به المتكلم الإصرار فيه على المخاطَب (الثور) لأن الأمر من ملك الغابة ولابد من تنفيذه وإلا فسيعاقب والفعل (أخلّص) أتى من باب الإصرار وذلك لأن المتكلم (السائح) يحتبسه لوجه الله كي ينال به ثوابا في الآخرة، فكلها معانٍ تدل على الثبوت على الأمر ولزومه، يطابق فيها العالمُ الكلماتِ لتبيّت النية والعزم على الفعل وهي بذلك تعتبر من صميم الفعل التداولي لأنها تخفي في صميمها الإصرار الفعلي وذلك بمجرد التلفظ بها، ولعل جماليتها تمكن في تعليم الناشئة معاني الإلحاح والإصرار لتحقيق المبتغى.

وفي خاتمة هذا المبحث يمكن القول إنّ الالتزاميات -على تنوعها- في خطابات الكتاب (وعد، تعهد، قسم، اهتمام، تصميم)، جاءت لغرض تعليم الناشئة الحفاظ على الوعد والاهتمام بإنجازها وكل هذا ظهر من مطابقة العالم للكلمات ما يجعل المتلقين يميلون بجوارحهم وأحاسيسهم وعواطفهم إلى العمل بها وهذا ما يجعل التلفظ بها يغيّر الواقع حسب ما يهدف إليه المتكلم والظروف المحيطة به التي تجعله يبلّغ هذا التنوع من الخطاب الهادف للنصح والإرشاد.

---

[1] علي محمود حجي، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 121.

[2] ابن المقفع، مقدمة الكتاب، ص 15.

[3] المصدر نفسه، غرض الكتاب، ص 48.

[4] المصدر نفسه، باب الأسد والثور، ص 89.

[5] المصدر نفسه، باب الحمامة المطوقة، ص 150، 165.

[6] المصدر نفسه، باب السائح والصائغ، ص 259.

## 4- الأفعال التعبيرية (التعبيريات :Expressives )

هي أفعال صادرة عن المتكلم، تعبر عن مشاعره وحالته النفسية (حزن، سرور، غضب، نجاح، عمل محبوب أو ممقوت) إزاء الواقع (أشياء محددة، أشخاص معينين، موضوع أو فكرة)، ولا تشترط وجود اتجاه للمطابقة لأن الإفصاح عن المشاعر باللغة يركز على المتكلم دون غيره «**فالإفصاح هو استعمال اللغة بقصد التعبير عن موقف نفسي ذاتي دون إرادة التأثير في البيئة**»[1]. ولهذا لا نجد أثرا لمطابقة العالم للكلمات لاقتضاء حقيقة القضية المعبر عنها فقط[2]. ويمكن تقسيم الأفعال الإنجازية -حسب ورودها في المدونة -قسميْن: تعبيريات اجتماعية وأخرى نفسية[3].

### 4-1- التعبيريات الاجتماعية :

يتصل هذا النوع من التعبيريات بوجدان المتكلم لكنها تقتضي غالبا مشاركة من المتلقي، أما السمة الغالبة عليها هي التفات المتكلم إلى حالة المتلقي كون هذا الأخير يعد مشاركا أساسًا في الموافق التداولية بل ويُتوجَّه إليه بهذه المشاعر والتي منها : الشكر، التهنئة، الاعتذار،التحقير، التحية، الترحيب، التعزية، التودد، المزاح...

وإن استنطاق الحيوان يصور مأساة الأديب وقهره، ذلك أنه يستطيع تلمس الوجدان الاجتماعي من حوله بحكم حساسيته العالية من أجل الذود عن القيم العليا والدفاع عن إنسانية الإنسان عبر إبداعه لتصل كلمة الحق متوارية خلف الرمز حينا ومجاهرة حينا آخر، حسب ما يقتضيه المقام، ولقد تعددت المعاني الاجتماعية المعبرة عن حالة الأديب إزاء المخاطَبين ومن جملة ما ورد منها في أبواب الكتاب نذكر :

### 4-1- الشكر والامتنان:

ومثله في كليلة ودمنة:

«**وشكروا الله تعالى على توفيق بيدبا في إزالة دبشليم عما كان عليه من سوء السيرة، ... فلما دخل على الملك وثبت الخلائق بأجمعهم وقام الملك شاكرا**»[4] ومثله «**وشكروه على ما ناله من التعب**»[5] ومثله

---

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها،الدار البيضاء،المغرب،ط1، 1994 ص 363.

[2] ويفسر سورل أنه حين يعتذر عن دهسه لأصبع رجل شخص ما فإن قوله لا يعد إدلاء بدهسه لإصبع الرجل ولا بالدعوة إلى فعل ذلك ينظر ، فرنوسواز أرمينكو المقاربة التداولية، ص 67.

[3] علي محمد حجي الصراف، الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة، ص 214.

[4] ابن المقفع، مقدمة الكتاب، ص 19.

[5] ابن المقفع، بعثة برزويه إلى الهند في تحصيل الكتاب، ص 40.

«**وأنا لك شاكر فانطلق فأتني بها... أحمد الله تعالى ثم أحمد الملك ... ثم أحمد إيلاذ**»[1] ومثله «**فشكرن له صنيعه ... وسأله عن قصته فأخبره فشكره الملك وأعطاه عطية حسنة**»[2] ومثله أيضا:

«**ثم قام شيخ آخر سائح فحمد الله عزوجل وأثنى عليه... فلما صار في أعلاها شكرا إلي... وقلت لهما: الحمد لله الذي علمكما مما رأى**»[3].

كل أفعال الشكر التي تضمنتها أبواب الكتاب لا تخرج عن التعبير على الامتنان لمعروف أو لعمل أسداه المشكور للشاكر ويزداد الشكر وتعظيم الحاجة إليه تبعا لازدياد المعروف لذا كان الله –عزوجل– أعظم من يستحق الشكر لأنه مصدر كل النعم بل إن الشكر في كل الأحيان والأحوال مرجعه في الحقيقة إلى الله عزوجل.

ولأن الشكر أدب عظيم جدا، نجد الملك "دبشليم" لما أراد إظهار احترامه وعرفانه وامتنانه لسداد رأي الفيلسوف "بيدبا"قام مُظهرا له اعترافه بحسن صنيعه ناهيك عن شكر تلاميذ "بيدبا" الله تعالى لأنه هو الوحيد وراء توفيق "بيدبا" في إقناع "دبشليم"بسوء تعامله مع رعيته ما جعله يرجع عن رأيه وينقاد لرأي بيديا الحكيم.

ولا يتوقف فعل الشكر عن التلفظ به فقط بل قد ينتهي في بعض الأحوال إلى المكافأة ،وأعظم الشكر والمجازاة عليه ما كان أقرب لزمن الفعل وهذا ما صدر من الملك تجاه السائح الذي كان سببا في شفاء ابنه الذي ظن أنه لن ينجو لولا دواء السائح.

ولعل جمالية الشكر التي تُظهرها أساليب "ابن المقفع" والتي يتحقق بها التواصل تكمن في حسن توظيفها بما تقتضيه الخاصية التداولية وهي تحقيق التأثير وبالتالي التغيير من خلال تقوية الصلات الإنسانية فيكون الشكر بذلك فنا علينا تذكير أنفسنا به قدر المستطاع، حتى نكون من الفئة الشاكرة التي قل عددها وعظم عند الله أجرها ومقامها قال تعالى: ( **اعْمَلُوا آلَ دَاوودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُورُ**)[4].

### 4-1-2- التهنئة :

« **قال الملك لإيلاذ:... وقد ازددْت اليوم عندي كرامة وتعظيما وأنت محكم في ملكي تعمل فيه بما ترى**»[5] «**فهنيئا لكن فأرني كيف تصنع؟**»[6].

---

[1] المصدر السّابق، باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت، ص 251.

[2] المصدر نفسه، باب السائح والصائغ، ص 262.

[3] المصدر نفسه، باب ابن الملك وأصحابه، ص 269.

[4] سبأ: 13

[5] ابن المقفع، باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت، ص 252

[6] ابن المقفع، باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين، ص 273.

هاتان العبارتان تحملان مضمونات عاطفية مختلفة حتى وإن كانتا تشكلان حقلا دلاليا واحدا ( التهنئة) حيث توحي العبارة الأولى بتعبير الملك "بلاذ" عن إعجابه بوزيره "إيلاذ" ،هذا الأخير الذي كان سبب خروج الملك من حزنه في العديد من المرات وبهذه التهنئة يريد أن يحدث في قلب وزيره السرور لأنه يرى فيه الإنسان الذي يستحق أن تكون له المكانة العظيمة والمحكّمة في الملك.

كما يظهر لنا إخلاص الملك في تهنئته؛ إذ لم يقل غير ما يعتقد « **فقد جعلت ذلك إليك ووثقت بك**»[1] فثقته بالوزير أكبر دليل على ذلك وهذا ما يجعل شروط التداول متحققة وخاصة شرط الإخلاص مما يحقق تواصلا ناجحا.

أما العبارة الثانية فليس الغرض من التهيئة الإعجاب الحقيقي، بل جاء إعجابه المزيف هذا من باب السخرية والإيقاع بمالك الحزين، أي أن شرط الإخلاص غير موجود فيكون التواصل بذلك غير ناجح وغير نفعي لأنه يخفي من الرذيلة والاحتيال ما يخفي.

### 4-1-3 الاعتذار :

من جملة ما جاء من أساليب تدل على الاعتذار ما يلي:

«**فاعتذر إليه الناسك وقال: إنما أصفق بيدي لأنفّر الجرذ**»[2]

ومنه قوله أيضا: «**قال الغيلم: صدقت إلا أن الرجل الصالح يعترف بزلته وإذا أذنب ذنبا لم يستح أن يؤدب لصدقه في قوله وفعله**»[3]

«**فدعا الأسد ابن آوى واعتذر إليه مما كان منه ووعده خيرا وقال: إني معتذر إليك ورادُك إلى منزلتك**»[4]

«**فجعلت تحلف أنها ما أكلت منه شيئا وجعلت تعتذر إليه فلم يصدقها وجعل ينقرها حتى ماتت... قد أذنبت الذنب العظيم الذي لم أكن للبقاء أهلا بعده**»[5]

إن مفهوم الاعتذار هو استعطاف المرغوب في عفو، حيث تبين أساليب ابن المقفع في الاعتذار ندم المعتذر على ما بدر منه من تصرف سابق وقد جاءت أغلب أساليبه في عرض ملائم يقنع المعتذر إليه المرجو عفوه ،وهذا

---

[1] المصدر السابق، باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت، ص 252.

[2] ابن المقفع، الحمامة المطوقة، ص 156.

[3] المصدر نفسه، باب القرد والغيلم، ص 197.

[4] المصدر نفسه، باب الأسد وابن آوى، ص 231.

[5] ابن المقفع، باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت، ص 248، 251.

ما حدث مع الناسك الذي اشتغل بالتصفيق لأجل تنفير الجرذ بينما كان ضيفه مسهبا في رواية قصصه العجيبة فغضب هذا الأخير من الناسك فجعل الناسك يعتذر مبررا موقفه ذاك بأنه يريد النيل من الجرذ الذي أتعبه كثيرا لأنه كان يسرق طعامه كله، فقد كانت حجته هذه ملائمة لأن أمر هائلا كنيل الجرذ منه يجعله ينشغل عن كلامه لإقناعه ،وليس الأمر كذلك لما نتمعن اعتذار الأسد لابن آوى فعلى الرغم من أن الأسد يظهر ثقته بابن آوى لأنه أهل لها ولم يخنه قط إلا أنه أمر إقناعه لم يكن هينا عليه ،ذلك لأنه مع داهية طيب الأصول إذ لم يقبل أن يرجع إلى مكانته المرموقة إلى جانب الأسد لأنه كان محل عقاب ولا ينبغي للملوك أن تصحب من عاقبته أشد عقاب ،ولولا مهارة الأسد في القول وتفننه في إظهار ثقته بابن آوى لما قبل –وبعد عناء شديد– اعتذار الملك والرجوع إلى منزلته العظيمة، ومن أمثلة الاعتذار غير المقبول تماما والذي لم يحصل فيه عفو لا وبل كانت عواقبه وخيمة ،اعتذار الغيلم لصديقه القرد الذي لو لم يكن فطنا وحيليا مثل صديقه الغيلم لأودى هذا الأخير بحياته ولهذا لم يكن اعتذاره مقبولا لأنه أراد أن يغش بصديقه ويؤدي بحياته، ففعل الاعتذار جاء متأخرا ولم يُجِدْ صاحبه استعماله ،ولن تكون عاقبة الغيلم مع صديقه القرد وخيمة أكثر وأشد وَطئًا مما فعله ذكر الحمام مع زوجته الذي ظنها أكلت من حِنطة ما ادّخراه للشتاء وجعلت زوجته تعتذر له عن ذنب لم تقترفه ،إلا أنه لم يقبل اعتذارها ولم يصدقها وهمّ بقتلها ،لكن عامل الزمن (الشتاء) أظهر له صدق زوجته فندم أشد الندم.

من كل ما سبق يمكن الخروج بنتيجة مفادها أن الاعتذار أسلوب بلاغي لابد للمتكلم به من مهارة في القول وتفنن ،والجمالية في استعماله تكمن في جوهره فهو لا يُؤتى به كوسيلة لغيره بل هو غرض قائم بحد ذاته يُرجى منه الحصول على عفو لا يتأتّى إلا بحسن تخيّر الألفاظ وانتقاء الأساليب ذلك أن المتلقينَ درجاتٌ لهذا فإن الاعتذار من الأغراض الصعبة التي لا يجيد القولَ فيها إلا من أوتي زمام القول البليغ.

### 4-1-4- التحقير والإهانة

«**وشأنك عجيب أيها القذر ذو العلامات الفاضحة القبيحة، ثم العجب من جرأتك على طعام الملك وقيامك بين يديه مع ما بجسمك من القذر والقبح ومع ما تعرفه أنت ويعرفه غيرك من عيوب نفسك... فلو كلفت أن تعمل الزراعة لكنت جديرا بالخذلان فيها... وإياك أعني أيها الأعرج المكسور الذي في أسته الناسور الأفدع الرجل المنفوخ البطن المدلي الخصيتين، الأفلح الشفتين السيء المنظر والمخبر**»[1]«فلما فرغ بيدبا من مقالته

[1] المصدر السابق، باب الفحص عن أمر دمنة، ص 137،138.

**وقضى مُناصحته أوغر صدر الملك فأغلظ له في الجواب استصغارا لأمره وقال: لقد تكلمت بكلام ما كنت أظن أن أحدا من أهل مملكتي يستقبلني بمثله»**[1].

فقال «**إنك جاهلة حين أخذت الإكليل وتركت الكسوة ... وكيف حقرتني هذه الجاهلة وفعلت بي ما ترى**»[2]

تعبر كل تلك الأساليب على الإهانة والتحقير وهي إنزال المتكلم المخاطَب منزلة لا تليق به وذلك كوسيلة لإذلاله والمساس بكرامته لأجل أن يخضع له، وعادة ما تكون ممّن هو أعلى منزلة (الملك) إلى ما دونه، أو من يظن نفسه أعلى منزلة كمثال (ابن آوى مع سيد الخنازير) حيث استطاع أن يكسره بما ذكر له من عيوب جسمية مقززة فلم يؤثر فيه وحسب بل أثر كلامه المهين في الأسد ملك الغابة الذي أمر بعزل سيد الخنازير عن المملكة والتخلي عن خدماته ما جعله ينكسر ويهجر الدنيا بمن فيها وتمنى حينها أن يكون نَسْيًا منسيا.

نجاح "ابن آوى" في إحداث ما أحدثه في سيد الخنازير ،وبعده الأسد ،راجع إلى حسن الوصف حيث كان كل ما قاله واقعيا ،والحقيقة تدافع عن نفسها بصدقها ومطابقتها لما يُرى فلم يستطع سيد الخنازير إثبات العكس.

أما عن استصغار "دبشليم" الملك للفيلسوف "بيدبا" فلم يحدث في نفس "بيدبا" غير إيقاظ قوة راكدة في نفسه ولكي يخفي الملك ظلمه ألبس إهانته لبيدبا ثوبا يخفي دافعه فيه ،وخوفا أن يَكتشف من همْ حوله ظلمه واستبداده ولهذا نجده يهينه بانتقاده أنه لا يُظهر احترامه للملك لكن بيدبا لم يعطِه فرصة لرؤية الألم في نفسه لما زج به في السجن بل جعل إهانة الملك له بعضا من إنجازاته التي يفتخر بها ؛إذ لو لم يحمل الملك هما في نفسه لما أساء لبيدبا.

أما عن استصغار الملك " بلاذ" لزوجته " إيراخت" ونعته لها بالجاهلة لم تره وبعد تروٍّ منها إلا مساعدته لها في غربلة نفسها لتخرج نقية خالية من بعض عيوبها ،وقد أثبتت باعتذارها له خلاف ما وصفه بها فالخوف ضروري في بعض الأحيان لكن ليس إلى الدرجة التي تفقدنا مصداقيتنا حتى مع أنفسنا ،ولكن يخفف من وطأة الاعتراف بالضَّعف، وهذا ما حدث مع "إيراخت" والملك "دبشليم" اللذان اعترفا بحقيقة الأمور بعد أن تجاذب كل منهما أطراف الحديث مع نفسه.

ويظهر البعد التداولي النفعي لأسلوب الإهانة والتحقير في أن نحسن التعامل مع مقاصد من يتكلمون؛ فلا نتأثر بها إلا بما يجعلنا نقوّي بصرنا لا أن نكسر بها، لا بد أن نستقبلها ونجعل منها أداة لتغيير ذواتنا التي نحملها بين أرواحنا فأحيانا نحتاجها لأنها تكشف مداخل أدت إلى تفوّقنا واكتشافنا لذواتنا .هذه بعض أنواع التعبيرات

---

[1] ابن المقفع، مقدّمة الكتاب، ص 17

[2] المصدرنفسه، باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت، ص 246، 247

الاجتماعية التي تضمنتها أبوب " كليلة ودمنة" والتي من شأنها تحقيق التواصل الاجتماعي من خلال ما صنعته من مواقف اجتماعية مختلفة، ذلك أن التواصل الاجتماعي في أبعاده التداولية ليس تواصلا لفظيا فحسب (صريحا كان أو ضمنيا) بل هو تواصل يرمي إلى إنشاء سلوكات اجتماعية ،وهذا ما أظهرته قصص الكتاب التي تداعب السمع والنظر معا ،ولهذا تعد أكثر تجسيدا لمقاصد مؤلفها الذي يخاطب المجتمع ويشاركهم خطاباته مشاركة وجدانية ملموسة من خلال ما يرمي إليه من تعليم الناشئة الأخذ من بعض المواقف الاجتماعية والانتهاء عن أخرى ما يجعل المتعة و الفائدة تتحققان.

**4-2- التعبيرات النفسية**

يختص هذا القسم من التعبيرات بوجدان المتكلم ويعبر عن حالته النفسية ومشاعره الذاتية، ولا تقتضي بالضرورة مشاركة من المتلقي[1] ولأن المخاطِب "ابن المقفع" هو الذي ينشيء الخطاباتِ ويعبر بها عن مقاصد معينة فإن قارئ هذه الحكايات يقع على عواطفَ وانفعالاتٍ وأحاسيسَ ومواصفاتٍ تنم عن الشخوص المشاركة فيها ،ومن أبرزها في هذا المنحى ما تجسده أبواب من مثل البوم والغربان، الحمامة المطوقة، إيلاذ وبلاذ وايراخت حيث تتحرك الشخوص أمامنا بعواطف جياشة: حب وتقدير ،مدح واستحسان، سرور، حزن، خوف، مكر، كراهية، إخلاص وتضحية وغيرها.

**4-2-1- التقدير، المدح، الاستحسان:**

***التقدير:**

**« وكفر وسجد له واستوى قائما...»[2] ، «وأدلى الحبل فأخرج الصائغ فسجد له وقال لقد أوليتني معروفا»[3]، «فاغسل به وجهك واسجد للقمر»[4]**

***المدح والاستحسان:**

**«قد عطف عليّ الملك بكرمه وإحسانه ... إنك أيها الملك السعيد جده الطالع كوكب سعده... أيها الملك الناصح الشفيق الصادق الرفيق... أيها الحكيم الفاضل واللبيب الفاضل والذي وهب لك ما منحك من الحكمة والعقل والأدب والفضيلة... إن الذي طبع عليه الملك من جودة القريحة وفور العقل حركه إلى عالي الأمور وسمت به نفسه وهمته إلى أشرف المراتب منزلة، وأبعدها غاية... لا أعلم أني**

---

[1] ينظر، علي محمد حجي الصرف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 214.

[2] ابن المقفع، مقدمة الكتاب، ص 12.

[3] المصدر نفسه، باب السائح والصائغ، ص260.

[4] ابن المقفع، باب البوم والغربان، ص 173.

**رأيت رجلا أرض عقلا ولا أحسن أدبا ولا أصبر على طلب الحاجة ولا أكتم للسر منك ولا أحسن خلقا... ولم تزل موصوفا بحسن الرأي»**[1]

**«ولكن الذي بلغ بك ذلك وفور عقلك وحسن ظنك»**[2]

يظهر لنا تنوع أساليب التقدير والمدح والاستحسان في "كليلة ودمنة" ثراءً بلاغيا ، وليس ما جاء منها ضمنيا بأبلغ مما هو صريح ،بل المعتبر في هذا مدى إثبات معاني الكَلِم لما تُثبَت له ويخبر بها عنه، ولعل الغاية والهدف التداولي من هذا التنوع هو استلطاف الكلام والسعي وراء دمغ الحجة بأقصر الطرق عن طريق استمالة المتلقي في محاولة للتأثير عليه « **نجري اختيارا في المادة المتاحة التي يقدمها النظام العام للغة، وليس ذلك فقط من خلال إحساسنا بها بل أيضا من خلال الإحساس الذي نفترض وجوده لدى المتكلم ولعل هذا ما يدعونا إلى القول بأن دراسة الأساليب تقتضي بجانب اللغة جوانب نفسية واجتماعية»**[3].

فالتوافق البائن بين طرفي العملية التوصيلية (مثلما يسميها الدكتور "محمد عبد المطلب") وهما الفيلسوف "بيدبا" والملك "دبشليم" (بالدرجة الأولى) فقد كان المدح والاستحسان متبادلان بينهما ،إذ لابد أن يشترط في الملك أن يحسن التصرف في وضع المدح في مواطنه ولمن يستحقه ،ومادام يسعى إلى الحفاظ على ملكه وسلطته كان لزاما عليه أن يتخير أحسن ما لديه من رجال الحكمة ، الدين والفلسفة يعينونه على اتخاذ قرارات مملكته وليس أحسن من ذلك رجل ذو عقل رصين وأخلاق حسنة تشمَل الصبر وكتمان السر، ولهذا نجد "دبشليم" قد ارْعَوى[*] عن أمر سجن "بيدبا" وتنفيذ عقوبة ضده، وذلك بعد أن أمعن التفكير فيما صرحه له " بيدبا" من حقيقة ظلمه لرعيته، فمنذ اعتراف "دبشليم" لنفسه بذنبه تجاه وزيره "بيدبا" وهو يبالغ في مدحه واستحسان أقواله الحكيمة وإرشاداته ونصائحه في الحكم التي لم يجد لها مثيلا عند سابقيه «**ما كان هذا جزاءه مني بل كان الواجب أن أسمع كلامه وأنقاد لما يشير به**»[4] فيمكن القول من خلال ذلك إنّ المتكلم "دبشليم" مخلص في أثناء أدائه للفعل اللغوي (المدح) إذ لا يقول غير ما يعتقد ،وهذا ما يظهره حديثه إلى نفسه ما يجعل التواصل ناجحا فنستوفي بذلك شرطا من شروط التداول ألا وهو الإخلاص.

---

[1] المصدر السابق، مقدمة الكتاب، ص 13،16،18،21،22

[2] ابن المقفع، باب ابن الملك وأصحابه، ص 268

[3] محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون،الشركة المصرية للنشر، ط1، 1994، ص 218

[*] رجع عن رأيه.

[4] ابن المقفع، مقدمة الكتاب، ص18

**4-2-2- سرور / حزن( ندم) :**

من جملة ما عُبّر به عن الفرح والسرور ما يلي:

**«ثم أقبل على الملك بوجهه مستبشرا به فرحا بما بدا منه... واتصل الخبر بتلاميذه فجاؤوا من كل مكان فرحين بما جدد الله له من جديد رأي الملك فيه، وشكروا الله تعالى على توفيق "بيدبا" في إزالة "دبشليم" عما كان عليه من سوء السيرة واتخذوا ذلك اليوم عيدا يعيدون فيه فهو إلى اليوم عيد عندهم في بلاد الهند... وفرحت به رعيته ... هذا يوم هناء وفرج وسرور ... فازداد الملك منه تعجبا وسرورا... فدعا له بيدبا بالسعادة»**[1].

ومثاله: **«وأنا قد يداخلني من مودتك مع أنسي بقربك سرور لا يعد له شيء... أبشر وقر عينا... واستبشر من حضر»** [2]

ومثاله: **«فلما سمع الغراب كلام السلحفاة للجرذ وردها عليه وإلطافها إياه فرح بذلك وقال: لقد سررتني وأنعمت علي وأنت جديرة أن تسري نفسك بمثل ما سررتني به... ولا يزال منهم جماعة يسرهم ويسرونه»**[3].

أما ما قيل في مقام الحزن والندم يذكر منه:

**«فارعوى لذلك وقال في نفسه لقد أسأت فيما صنعت بهذا الفيلسوف...»**[4]

**ومثاله: «لا تحزن لقلة المال فإن الرجل ذا المروءة قد يكرم على غير مال... فنظرو القانص قد ربط السلحفاة فاشتد حزنهم...»**[5]

**«فلما وجد فرخه مقتولا فصاح وحزن»**[6]

**«واستجرؤوا عليه في الكلام اشتد غمه وحزنه... فخر على وجه يبكي ...لا تهتم ولا تحزن أيها الملك»**[7].

إن أفعال الفرح وأفعال الحزن هذه الواردة في قصص الكتاب ما هي إلا توضيح لحالة نفسية لدى المتكلم بيدبا أو ابن المقفع تَظهر في شكل انفعالات يبديها اتجاه الخبر الذي يلقيه للسامعين وهذه الانفعالات ليس لها اتجاه

---

[1] المصدر السابق، مقدمة الكتاب ، ص 13، 19،20، 26.

[2] ابن المقفع، بعثة برزويه على الهند في تحصيل هذا الكتاب، ص 38-40.

[3] المصدر نفسه، الحمامة المطوقة، ص 162.

[4] المصدر نفسه، مقدمة الكتاب، ص18.

[5] المصدر نفسه، باب الحمامة المطوقة، ص 161،164.

[6] المصدر نفسه، باب الملك والطائر فنرة، ص 214.

[7] ابن المقفع، باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت، ص 248.

مطابقة ( أي اتجاه فارغ على حد تعبير سورل) لأنها نابعة عن تعبير شخصي خالص ولها غايات تداولية تربوية تسعى إلى كشف مكامن الإدراكات ؛ذلك لأن الإنسان تعترضه أحوال في الدنيا منها ما يثير انفعالات الفرحة والسرور ،ومنها ما يثير مشاعر الحزن، عليه أن يتكيف معها فيتحلى بالصبر والعزيمة لتحمل الشدائد وهذه هي الغاية التداولية المنشودة ،وابن المقفع قد أحسن التعبير عن هذه الانفعالات بانتقاء أحسن الألفاظ وأحسن سبكها وكان كلامه مطابقا لمقتضى حال الخطابات –على اختلافها– فجعل لمقام التعبير عن الفرح ألفاظه ولمقام التعبير عن الحزن والأسى ما يوافق ألفاظه ،وهذا لما يتمتع به "ابن المقفع" من ملكات نفسية صافية الطبع (له كفاءتان: معرفية وتمييزية) وهذا ما يقتضي الزيادة في الكفائتين الإدراكية والتأويلية عند المتلقين.

**4-2-3- الخُلق( المضمون الأخلاقي)** اشتمل الكتاب على العديد من القيم الأخلاقية التي تحتل مكانة بارزة في المجتمع ونجدها متناثرة في ثنايا الحكايات كلها؛ إضافة إلى بعض الأخلاق السيئة التي تُظهر الوجه الثاني للإنسان في المجتمع.إن التعاليم الأخلاقية موجهة بالدرجة الأولى إلى رجال الحكم وأفراد المجتمع لأجل إصلاحهم وإتمام مكارم الأخلاق لديهم وذلك من خلال إدامة النظر فيه والتماس جواهر معانيه فلا يظن أن مغزاه هو الإخبار عن حيلة بهيمتين أو محاورة سبع لثور فينصرف بذلك عن الغرض المقصود وقد ارتأى البحث لعرض تلك المادة الضخمة من القيم الأخلاقية إلى تصنيفها وفقا لثنائيات ضدية وذلك كما يلي:

**أ- رجاحة العقل/سفاهة:** يعد موضوع العقل من أكثر المواضيع ورودا في الكتاب لأن الاحتكام إلى العقل من الأمور الضرورية في شتى مناحي الحياة، يكفي أن صوغ هذا الكتاب وتأليفه يرجع إلى فيلسوف يُعرف بالحنكة والحكمة الذي كان يجيب عن أسئلة الملك برصانة عقل ،ومن أمثلة ذلك قوله: «**قال بيدبا إنني وجدت الأمور التي اختص بها الإنسان من بين سائر الحيوان أربعة: الحكمة والعفة والعقل والعدل**»[1]

فكل ما نتحصل عليه لا يكون إلا بحكمة وحسن تدبر في الأمور وهذا كله لا يتأتى إلا باستخدام العقل« **وقد كان يقال إن العاقل يعد أبويه أصدقاء والإخوة رفقاء والأزواج ألفاء والبنين ذكر والبنات خصماء والأقارب عزماء، ويعد نفسه فريدا وحيدا**»[2] فلا بد من الحذر والحيطة في التواصل مع جميع من ذكرهم ابن المقفع فالعقل يعد ضابطا لأموره ولنفسه ولأحوال زمانه فقط.كما أن العقل أصل التحكم في المشاعر وتوجيهها «**فمن كان ذا عقل كان على إماتة الحقد أحر منه على تربيته**»[3] ذلك أن القلب موطن الأحاسيس والمشاعر و هو مصدر التفكير قال تعالى: ( **أَفَلاَ يَتَدبَّرُون القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفالُهَا**)[4] ومن أُوتي عقلا راجحا سيكون أسعد الناس وهذا ما تبيّنه قصة ابن الملك وأصحابه.

---

[1] المصدر السابق، مقدمة الكتاب، ص 14.

[2] ابن المقفع، باب الملك والطائر فنرة، ص 215.

[3] المصدر نفسه، ص 216.

[4] سورة محمد: 24.

**«وإن أسعد الناس في الدنيا والآخر من رزقه الله رأيا وعقلا»**[1]

كما أنه استعمل المنطق العقلي في غرض المسائل، وربط المعاني بعضها ببعض ومزج نزعته العقلية بالعقلية الإسلامية وانتهج أسلوب الملاينة والتعقل في الأخذ بنواصي المسائل.[2] وهذا ما جعل المعاني متوافقة لأجل إفهام الناس، وهذا ما يسهّل قَبولها عند المتلقين فتتحقق مقاصد التواصل اللغوي وكذا يتحقّق الهدف التداولي الذي يظهر من خلال ما ينتجه المتكلم من أثر في النص الحكائي. فيتمكن بموجبه السامع من معرفة المتكلم.

ويمكن تلخيص مفهوم العقل في كتاب كليلة ودمنة في أنه الملكة التي تُكتَسب إما من تجارب الأجيال السابقة أو من خلال الملاحظة الفردية المحدودة في إطار العلاقات الاجتماعية[3]. ويتسم العقل بهذا المفهوم بأنه نفعي، فإما أن يكون في التحايل لأجل جلب المنفعة لصاحبه وإبعاد الأذى عنه، أو في المكر وذلك حصانة من خداع الآخرين والاستفادة من أخطاء الآخرين.

**ب– أخلاق حسنة/ أخلاق سيئة**

يدعو كتاب كليلة ودمنة إلى ضرورة التحلي بالأخلاق الحسنة والابتعاد عن الأخلاق السيئة فيكون بذلك درسا لتأديب النفس وتهذيبها، وابن المقفع بهذا يكون مصلحا اجتماعيا لكَثرة ما يقدمه من أفكار تدعو إلى إقامة نظاميْن اجتماعي وسياسي على أسس صحيحة لأجل أغراض وغايات شريفة ،حتى وإن كان ابن المقفع مترجما لا غير، إلا أنه استطاع تمرير أفكاره الإصلاحية دون أن يلفت انتباه الخلفاء أو السلطة العامة لأنه كان يلمّح دون أن يصرح.

ويمكن تصنيف الأخلاق التي كان يدعو إليها والتي كان يحذر منها، إلى ثنائيات ضدية جاءت كالتالي :

*** التضحية / الغيرة :**

إنّ المواطن التي برزت فيها معاني التضحية والإيثار قول ابن المقفع «**فقالت له المطوقة : ابدأ بقطع عقد سائر الحمام وبعد ذلك أقبل على عقدي...إني أخاف إن أنت بدأت بقطع عقدي أن تمهل وتكسل عن قطع ما بقي....لا عيش مع فراق الأحبة**»[4] وفي قوله «**فقال لهم: الموت خير لي من الحياة... وأني لزاهد في الحياة إذا لم أر إيراخت**»[5]

---

[1] ابن المقفع، باب ابن الملك وأصحابه، ص 268.

[2] ينظر: حكيمة حبي، السياق التداولي في كليلة ودمنة ، ص 128.

[3] ينظر، حامد الطاهر، المضمون الأخلاقي في كتاب كليلة ودمنة، ص 06.

[4] ابن المقفع، باب الحمامة المطوقة، ص 151، 164.

[5] ابن المقفع، باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت، ص 239، 240.

فالحمامة المطوقة والملك بلاذ أحسن مثالين يمثّل بهما لمعنى التضحية بالنفس لأجل إنقاذ الأحباب ولا يجب أن تكون التضحية إلا لأجل من يستحقها وإلا كانت ضربا من الغباوة.

ومن الأمثلة التي تحمل معاني الغيرة والحسد ما كان من غيرة دمنة تجاه الثور الذي صار أقوى أحباء الأسد فأراد دمنة المحتال أن يفرق بينهما وذلك لحسده الكبير «**وحقيقة الحسد شدة الأسى على الخيرات تكون للناس الأفاضل وهو غير المنافسة**»[1] والحسد يؤدي إلى القتل وهذا ما فعله ابن آدم لأخيه وكذلك ما فعله "دمنة" للثور حتى وإن لم يفعل القتل ولكنه كان سببا وراء قتله نتيجة ادعائه الباطل عليه فأمر الأسد بقتله.

ويهدف ابن المقفع إلى ذم الحسد لأنه خلق دنيء يتوجه نحو الأكفاء والأقارب ويختص بالمخالط والمصاحب وهو مضر بالنفس حتى إنه مضر بصاحبه وقد يؤدي به إلى التلف من غير نكاية في عدو ولا إضرار بمحسود، فالحسد يقتل صاحبه قبل أن يصل إلى المحسود وقد تكون الغيرة محمودة إذا لم تضر بالغير وكانت النية منها إظهار المحبة كغيرة إيراخت من الجارية على زوجها «**فلما سمعت إيراخت مدح الملك لحور قناه وثناءه عليها وتجهيلها هي وذم رأيها أخذها من ذلك الغيرة والغيظ**»[2].

*** الصدق/الكذب، الصديق/العدو :**

قيل : من قل صدقه قل صديقه على إثر هذه المقولة تم جمع الصدق /الكذب والصديق /العدو في هذه الرباعية لما لهما من علاقة وطيدة تحكمها، وتظهر ملامح الصدق والكذب والصداقة والعداوة في كتاب كليلة ودمنة من خلال عدة شخصيات حيوانية كانت أو إنسانية ،إلا أن مقصدها واحد، هو الدعوة إلى الالتزام بالصدق والاتصاف به وحسن تخير الصديق المعين على أعباء الحياة، والابتعاد عن الكذب لأنه يؤدي إلى العداوة والبغضاء «**فالكذب جماع كل شر و أصل كل ذم لسوء عواقبه وخبث نتائجه لأنه ينتج الذميمة والنميمة تنتج البغضاء والعداوة وليس مع العداوة أمن ولا راحة** »[3].

وإن من دواعي الصدق العقل لأنه موجب لكبح الكذب لاسيما إذا لم يجلب نفعا ولم يدفع ضررا، ومن أمثلة الصدق في الكتاب صدق الفيلسوف "بيدبا" مع "د.بشليم" وإخباره بظلمه وطيشه فلم يرد لا مجاملته ولا التقرب إليه وإنما أراد مصلحة شعبه فأظهر للملك حقيقته وعلى الرغم من أنه عوقب بالسجن إلا أن الحق قد ظهر وقد أعترف الملك بخطاياه وفاز "بيدبا" الصادق بصدقه كما فاز " ابن آوى" على من أرادوا به سوءا في باب " الأسد

---

[1] الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 278.

[2] ابن المقفع، باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت، ص 246.

[3] الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 271.

وابن آوى" والأمثلة كثيرة في حين نجد أن كل من "دمنة" والغيلم "والصائغ" وغيرهم من الشخصيات التي التجأت إلى الكذب لأجل الوصول إلى غاياتهم المنشودة، وكان مآلهم في النهاية الفشل وسوء العافية بصدق من قال الصادق مصون جليل والكاذب مهان ذليل وليس أدل على ذلك من قوله "صلى الله عليه وسلم : (**تحروا الصدق وإن رأيتم أن فيه الهلكة فإن فيه النجاة وتجنبوا الكذب وإن رأيتم أن فيه النجاة فإن فيه الهلكة** ) صدق رسول الله.

وقد أدلى " ابن المقفع" العناية البالغة بقيمة الصداقة، ونجدها في أكثر أبواب الكتاب، لأهميتها في توطيد أواصر المحبة والمؤاخاة قال صلى الله عليه وسلم (**عليكم بإخوان الصدق فإنهم زينة في الرخاء وعظمة في البلاء**) وأحسن مثال على ذلك ما نجده في باب الحمامة المطوقة وباب السائح والصائغ (ما حدث بين الحيوانات الثلاثة السائح من مودة) وهناك من الصداقة ما كانت مكتسباتها بالاتفاق الجاري مجرى الاضطرار وهو ما كان بين الجرذ والسنور « **رب صداقة ظاهرة باطنها عداوة كامنة وهي أشد من العداوة الظاهرة**»[1] فلم تكن صداقة الجرذ والسنور إلا لاضطرار أي هي صداقة مؤقتة لأجل أن ينجُوَا من الصياد فقط، ولما حدث ذلك أراد الجرذ أن تكون صداقته مع السنور ظاهرة ودائمة ،وهذا ما لم يقبله السنور، لأن أصل الأمر عداوة جوهرية، وما حدوث الصداقة إلا لحاجة انتفع بها كليهما فلما زالت تلك الحاجة زالت معها الصداقة. ومن سنة الحياة الجارية أنه وكما ينتقي المرء أصدقاء وأخوان بالمودة يلقي بالمقابل أعداء ليس سهلا التعامل معهم إلا من أوتي الحكمة والحيلة. ويميز الكتاب بين عدة أنواع من الأعداء هناك الغادر الذي لا يؤمَن عدوه مكره وإذا استمكن من عدوه قتله على غير ذنب ومثاله الثعلب وما فعله مع مالك الحزين، وهناك العدو الحذق الذي لا تنتفع معه حيلة سوى الهرب منه ومثاله الجرذ وما أراد فعله مع السنور، وهناك العدو الضعيف المهين ولكنه ذو حيلة ويقدر على الأعوان ومثاله "دمنة" وما فعله مع الأسد والثور، وأخيرا العدو الذي يُظهر النعومة ويُبطن الخطر كالحية تماما ومثاله الملك وما فعله مع الطائر فترة، قال الفيلسوف بيدبا« **إن المودة والعداوة لا تثبتان على حالة أبدا، وربما حالت المودة إلى العداوة وصارت العداوة ولاية وصداقة ولهذا حوادث وعلل وتجارب، وذو الرأي يحدث لكل ما يحدث من ذلك رأيا جديدا، أما من قبل العدو فبالبأس، وأما من قبل الصديق فبالاستئناس ولا تمنع ذا العقل عداوة كانت في نفسه لعدوه من مقاربته والاستنجاد به على دفع مخوف مرغوب ومن عمل في ذلك بالحزم ظفر بحاجته**» [2]

ومفاد هذا القول أن الصداقة لابد أن تخضع لامتحان قبل وضع الثقة فيمن نريده أن يكون أخا بالمودة وإلا فستثمر المودة ندما شديدا كما قيل: «**مصارمة قبل اختبار أفضل من مؤاخاة على اغترار**»[3].

---

[1] ابن المقفع، باب الجرذ والسنور، ص 210.

[2] المصدر نفسه، ص 205.

[3] الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 180.

وقال الشاعر:

لَا تَحْمِدَنَّ امرىءًا حَتَّى تُجَرّبَـــــهُ وَلاَ تَذُمَنَّهُ مِنْ غَيْرِ تَجْرِيـــــــــبِ

فَحَمْدُكَ المرْءَ مَا لمْ تُبْلِهِ خَطَأً وَذَمُّكَ المرْءَ بَعْدَ الحَمْدِ تَكْذِيبُ

فلابد من خبرة أخلاق الإخوان قبل اصطفائهم وأخلاق الأخوة لا تخرج عن أربعة :عقل موفور يهدي إلى مراشد الأمور، المتمسك بدينه وتعاليمه فإن تارك الدين عدو لنفسه فكيف يُرجَى منه مودة غيره ،كما يجب أن يكون محمود الأخلاق أفعاله مرضية يأمر بالخير يكره الشر وينهى عنه ،لأن مودة الشرير تكسب العداء وتفسد الأخلاق وأخيرا لابد أن تكون الرغبة في المؤاخاة. وفي الأخير لابد من الإشارة إلى أن المادة الأخلاقية في "كليلة ودمنة" غزيرة وحسبنا التوقف عند ما جاز عنده التوقف وذلك بعد محاولة الإلمام بأهم ما يجود به الكتاب من قيم مفيدة للفلاسفة والعامة على حد السواء، استحق بها أن يصمد إلى يومنا هذا بقيمته بين مختلف الشعوب.

ومن خلال ما قُدِّمَ في مبحثيْ التعبيريات الاجتماعية والنفسية يمكننا الخروج بنتيجة مفادها أن النوع الأول من التعبيريات يتميز –تداوليا– عن النوع الثاني بكونه لا يعبر عن مشاعر المتكلمين وعواطفهم فقط بل يتعدى ذلك ليشمل ما يرتبط بالمخاطبين وهذا ما أظهر البحث من خلال استخلاص أنواع من مثل الشكر والامتنان والتهنئة والاعتذار والإهانة وغيرها فكلها أفعال تحتاج إلى أطراف يتلقونها حتى يتحقق التواصل التداولي أما التعبيريات النفسية فشرطها الأساس هو إخلاص المتكلم في أثناء أدائه للفعل اللغوي فلا يقول غير ما يعتقد ولا يزعم أنه قادر على فعل ما لا يستطيع، وهذا شرط توفر في كل ما تم استخلاصه من قصص الكتاب من أفعال المدح والاستحسان والتقدير والفرح والحزن وبعض القيم الأخلاقية وهذا ما حقق التواصل الناجح والتأثر والاستجابة بين أطراف العملية التخاطبية حيث إنّ كتاب كليلة ودمنة قد غدا منهجا وفنا وموضوعا يُحتذي بأساليبه المتنوعة.

## 5– الإيقاعيات ( الإعلانيات Déclarations)

هي الأفعال التي ينشأ عن مجرد التصريح بها إحداث تغيير في الوضع القائم، أي أن القول بأمر ما هو إحداث لذلك الأمر، فإذا أعلن القاضي: "الموظف بريء" يترتب عليه براءة الموظف فعلا[1] ولنجاح إنجاز هذه الأفعال لابد من وجود عرف غير لغوي (كالشريعة الإسلامية، الكنيسة، الدولة والدستور...)

ولابد من مطابقة محتوى قضايا أفعالها الإنجازية للعالم الخارجي حتى يتحقق لها النجاح في الإنجاز [2].

وتنقسم هذه الإيقاعيات ثلاثة أقسام: ما يرتبط بالعقود والعهود، ما يرتبط بالتصرف وما يرتبط بالأحكام[3].

أما ما وُجد في قصص الكتاب فكان ما يرتبط بالأحكام والقرارات وما يرتبط بالتصرف.

---

[1] Voir : g.Leech, Principales of pragmatics, Longman New York ,1983, p 105.

[2] Voir : même source, p 179.

[3] علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 210

**1- ما يرتبط بالأحكام والقرارات:**

تمت تسمية أفعال هذا المجال بهذا الاسم، لأنه يتصل بالأحكام والتصريحات التي يصدرها المتكلم وفق السلطة غير اللغوية أو العرفية التي يستند لها تجاه المتلقي، حيث تعد أفعال هذا المجال أحكاما وقرارات يتم تغيير الواقع بمجرد التلفظ بها، وهي أفعال يجمع بينها خضوعها لمسؤولية المتكلم الذي يكون مسؤولا عنها مسؤولية مباشرة وكاملة ومما جاء منها في كتاب كليلة ودمنة ما تضمن معاني الحكم والقرار، ومثال :

أ- **الحكم:** «**آخذ نفقة وتأخذ مثلها وندفن الباقي في أصل هذه الشجرة**»[1]

وقوله: « **فأمر القاضي بحبسه... فكيف ترى أن أقتل... فقبل الأسد قولهما وأمر بدمنة أن يُقتل**»[2]

ب- **الاتهام:** ومثاله : « **خالفتني إلى الدنانير فأخذتها**»[3]

ج- **الشهادة:** ومثالها: « **فلما شهد النمر بذلك أرسل الفهد المسجون الذي سمع إقرار دمنة... فقال : « إن عندي شهادة فأخرجوه فشهد على دمنة بما سمع من إقراره**»[4] ومثاله: « **فقال الشيخ: المغفل أخذها**»[5]

د- **القرار:** وأمثلته: « **ثم أمره بالتحاق حيث أحب**»[6] وقوله: « **قال "شتربة": ما أرى إلا الاجتهاد والمجاهدة بالقتال... فإننا ذاهبتان عن هذا المكان... سوف أنتقم منه... فما أنا بمقاتل الأسد ولا ناصب له العداوة**»[7] وقوله :« **ورادك إلى منزلتك ... لا ينبغي لي أن أصحبه**»[8].

ما يلاحظ على هذه التصنيفات أنْ أصدرَ المتكلمون -على اختلافهم- مجموعة من الأفعال تضمنت أحكامًا أو اتهاماتٍ، شهاداتٍ وقراراتٍ وما يميز هذه عن تلك هو السياق، وقد خضعت لسلطة غير لغوية تمثلت في قانون الغاب الذي يحكم بين الحيوانات تماما كالسلطة البشرية ،وقد جاءت هذه الأفعال الإنجازية واضحة الدلالة على المراد دون لَبْسٍ، وأزمانها تراوحت بين الحاضر والمستقبل مثل: ( رادك، آخذ نفقة، تأخذ) وبين الماضي الذي جاء لمناسبة السرد ورواية الأحداث مثل :( أمر القاضي بحبسه، أمر بدمنة أن يقتل) وهي أحكام صادرة

---

[1] ابن المقفع، باب الأسد والثور، ص 120.

[2] المصدر نفسه، باب الفحص عن أمر دمنة ، ص 130، 140، 145.

[3] المصدر نفسه، باب الأسد والثور، ص 120.

[4] المصدر نفسه، باب الفحص عن أمر دمنة، ص 145.

[5] المصدر نفسه، باب الأسد والثور، ص 121.

[6] المصدر نفسه نفسه، ص 105.

[7] المصدر نفسه، ص 115، 118.

[8] ابن المقفع، باب الأسد وابن آوى، ص 231، 232.

عن قاضي المملكة. وقد جاءت في أغلبها منسوبة إلى المتكلم مفردا أو جماعة، وتوافرت فيها نية القصد والإبلاغ ما جعل أدائها ناجحا؛ ودليل ذلك وجود تناظر بين المحتوى القضوي( حكم، اتهام، شهادة، وقرار) وبين الوجود الخارجي ومثاله لما أصدر القاضي حكما بقتل دمنة وذلك بعد تقصي الأدلة الكافية قتل فعلا.

وقد وردت أفعال القرارات والأحكام في مجملها بشكل ضمني غير صريح فلم توجد أفعال صريحة مثل ( أحكم، أتهم، أشهد) فأصبحت بذلك مقابلة لظواهر كلامية كالخبر والرواية ويمكن القول بأنها ميزة عامة في قصص الحكاية وهذا ما نَلْحَظه حتى في أفعال التصرف.

**2– ما يرتبط بأفعال التصرف:**

تمت تسميتها بهذا الاسم لأن إنجازها الناجح ينشأ عنه تصرف أو تنفيذ فعل معين، وقد ينشا عنه الكف عن التصرف أي عدم تنفيذ عمل معين[1] وتنقسم قسميْن :أفعال تصرف للإجازة وأخرى للمنع ومن أمثلتها:

أ– **إجازة – إذن** « **فليأكلني الملك ويطعم أصحابه... فقد رضيت بذلك وطابت نفسي عنه وسمحت به**»[2]

**إجازة – إباحة** مثل: « **قال الأسد: لك عليّ ذلك وزيادة**»[3]

يدل التركيب الأول على أن الجمل قد أَذِن للأسد وسمح له بأداء ما نطق به أمامه ظنا منه أنه سينجو كما نجا الثلاثة ( الغراب، الذئب، وابن آوى) فنُطق الجمل بالفعل هو إجازة للأسد والتي تمنح له الحيثية التي تخوّل له القيام بأكله ففعل ذلك مؤذن به مادام الجمل قد تلفظ به ، وإن كانت حيثيات القصة تخبر بأنّ هذا التلفظ لم يكن إلا عملا مصطَنعا أراد أن يشابه به ما فعله الثلاثة ؛إلا أنه قد وقع فيما لا يحمد عقباه، فالفعل الإنجازي يعتبر ناجحا حتى وإن لم يتوافر فيه شرط الإخلاص ( إخلاص الجمل في قوله) لأن هذا النوع من الأفعال ( الإيقاعيات) لا يحتاج إليه حتى يكون ناجحا.

أما التركيب الثاني فيدل على أن الأسد ( الملك ) قد أباح طلب ابن آوى( هذا الأخير الذي أراده الأسد أن يكون وزيرا في مملكته حتى ينتفع من مَشُورته) ويتمثل في التثبت في أمره إن أراد به بقيةُ الوزراء سوءًا فجعل الملك ذلك أمرا مرفوعا عنه الستار لا بل أباح له طلب أكثر من ذلك.

---

[1] ينظر، علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 211.

[2] ابن المقفع، باب الأسد والثور، ص 114.

[3] ابن المقفع، باب الأسد وابن آوى، ص 227.

ب- **منع – تحريم**: ومثاله: « **إن الملك بعد أن اطّلع على براءة ابن آوى حقيق أن لا يرخّص لمن سعى به...**»[1]

يدل هذا الفعل الإنجازي ( لا يرخص) على منع الأسد من عدم إنزال العقوبة بمن أراد إلحاق الأذى بابن آوى الحكيم، فلابد من أن يوقفهم ويسجنهم ويحرم عليهم عيشة الحرية حتى لا يُلحقوا أضرارا بمن حولهم.

لقد كان اتجاه المطابقة في هذا النوع من الإيقاعيات ( المنع- تحريم) من القول إلى العالم؛ فقد جاء قول أم الأسد لمخاطبة ابنها، وقد أحدث هذا تغييرا في واقع الأحداث إذ تم إخراج ابن آوى البريء ومعاقبة من أرادوا به وبالحاكم سوءا ،وقد أكدت المرسِلة ( أم الأسد) إرادتها في وقوع هذا الفعل ( منع وتحريم الأشرار من أن يبقوا في المملكة) وتحقّقه؛ وذلك بالإشارة إلى عِظم شر هؤلاء إن مُنعوا من العقاب .والإيقاعيات في هذه الحالة كالأمريات يكون المخاطَب فيها هو المسؤول عن إحداث المطابقة وليس المراد من الجملة الدالة على الفعل ( وهي ذات صيغة إخبارية) الإخبار بل المراد منها هو إيقاع فعليْ المنع والتحريم.

وأخيرا يمكن القول عن الإيقاعيات بأنها أفعال تؤثر على العالم القانوني؛ فيَصِل تأثيرها إلى ضبط العلاقات الإنسانية، ويترتب عن الإخلال بها مخالفات وعقوبات قانونية، وليس الغرض التداولي منها -كما وردت في قصص الكتاب- إلا الانتقال إلى واقع جديد يهيمن فيه الحكم العادل، وذلك بالتغيير من حال إلى حال أخرى أفضل.

وفي نهاية هذه الدراسة **التداولية التخاطبية** يمكن تمثيل الأفعال الكلامية التي تضمنتها كتاب " كليلة ودمنة" وفق رسم شجري يَظهر في نهاية هذا الفصل(انظروا الصفحة106)،أمّا التعليق عليه فسيكون كالتّالي:

لقد حاول هذا الفصل – قدر الجَهد- أن يقدم دراسة بلاغية جمالية من منظور تداولي لأفعال الكلام في كليلة ودمنة ،وهذا ما يلخصه الرسم الشجري – أعلاه- والذي يبين تجلي البعد التداولي بوضوح في قصص الكتاب فقد اهتمت البلاغة بالمتكلم ووضعت له الشروط والطرائق والوسائل التي باستعمالها يُضمَن له الاتصال الناجح مع المتلقي فيَصل المعنى إلى قلبه وعقله ويؤثر فيهما، ولقد كان الفضاء –بهذا- مهيّئا لتطبيق جل العناصر والشروط التداولية وذلك تحقيقا للهدف البلاغي ألا وهو إقناع المتلقي وتغيير أفكاره والتأثير فيه.

ويُظهر الرسم الذي يصنف أساليب ابن المقفع ضمن تصنيفات "سورل" يُظهر غناها المتميز وفعاليتها كأدوات مؤثرة ومغيرة في العملية التواصلية، فهذا التواصل بين ابن المقفع ( المتكلم) والمتلقين ( سواءً أكانوا حكّاما أو عامة الناس) يؤدي إلى تواصل براجماتي يبقي المتلقي -وكما يُظهر الرسم- في دائرة الاهتمام فيسلك من خلال إقناعه

[1] المصدر السّابق، ص 230

والتأثير فيه طريقا صحيحا في تعاملاته مع من هم حوله من الناس، حتى وإن تميزت خطاباته بأنها كانت على ألسنة الحيوانات إلا أنها تَظهر بخصوصيتها الإنسانية، وذلك لارتباطها بنفسية المتلقين مما يجعل دائرة استعمالها أكبر وأكثر تداولا.

وقد لوحظ تنوع واختلاف كل صنف من الأفعال الإنجازية في حكايات كليلة ودمنة وقد كانت الاختلافات على مستويات كثيرة نوجزها كالتالي:

1- الاختلاف في الغرض الإنجازي للفعل؛ فالتوجيهي من نوع الأمر مثلا غرضه التأثير في المتلقي ليقوم بفعل ما على حين غرض الفعل الالتزامي من نوع الوعد مثلا هو إلزام المتكلم نفسَه بفعل شيء معين للمخاطَب وتجدر الإشارة إلى أن الغرض الإنجازي هو جزء من القوة الإنجازية وليس إيّاها ؛إذ نجد الغرض الإنجازي من الطلب هو نفسه الغرض الإنجازي من الإنكار وهو التأكيد ،لكن القوة الإنجازية في كل منهما تختلف، لأن القوة الإنجازية نتاج عناصر عديدة.

2- الاختلاف في اتجاه المطابقة؛ فبعضها يكون من الكلمات إلى العالم ( الإخباريات) وبعضها العكس (التوجيهيات) ،وقد تتفق هذه الأخيرة مع الالتزاميات إلا أنهما تختلفان في شرط الإخلاص؛ فالأولى رغبة صادقة كي ينجزَ السّامع الفعل، والثانية قصد لإنجازٍ، وقد يكون الاتجاه فارغا (التعبيريات) وقد يكون مزدوجا(الإيقاعات).

3- الاختلاف في درجة عرض الغرض الإنجازي؛ فقد يتفق الأمر والنهي في نفس الغرض ( نصح و إرشاد مثلا) إلا أنه عُرض كل منهما بدرجة مختلفة من القوة، فهو في الأمر أقوى منه في النهي.

4- الاختلاف في طريقة ارتباط القول باهتمامات المتكلم والسامع؛ كالاختلاف بين الشكر والإهانة أو التهنئة والتعزية.

5- الاختلاف في أن يقتضي أداة الفعل عرف غير لغوي أو لا يقتضي؛ فالايقاعيات كالأحكام والقرارات والشهادة تقتضي عرفا غير لغوي يتمثل في المؤسسة القانونية أما أفعال الطلب أو الإخبار فمثلها لا يحتاج إلا إلى العرف اللغوي.

6- الاختلاف في أن تكون الأفعال قابلة للأداء أو لا تكون؛ فمعظمها قابلة للأداء مثل أقرر، أعد، آمر، لكن ثمة أفعال لا تُؤَدّى بالقول فقط فأنت لا تستطيع أن تقنع شخصا بـ: أنا أقنعك، أنا أفزعك.

وجدير بالذكر أن النصوص الواردة في كليلة ودمنة تُظهر نوعيْن من الأغراض (في الإخباريات والتوجيهيات) ينتهي أحدهما إلى الغرض المباشر من القول، والآخر إلى أغراض مجازية ،ويُفضي كلا النموذجين لأفعال إنجازية مختلفة

و في كلا الحالتين يحصل المتلقي أو الدارس على إفادة وعلى وظيفة تداولية وهو ما يكشفه هدف الكاتب من الخطاب الذي يعد أهم المبادئ التداولية.

لقد حقق تنوع الأفعال الإنجازية في حكايات الكتاب التواصل الناجح ؛وذلك بوجود ضوابط جمالية ،لعل أهمها ألاّ يفرض المتكلم نفسَه على المخاطَب (إذا كان الخطاب سرديا فلم يُظهر فيه الكاتب نفسه) ومن ثم يسهم في نجاح التخاطب.

كان هذا غيضا من فيض وقطرة من مطرة، وما ذُكر في هذا الفصل أكثر بكثير مما لم يُذكر ،ولعل فيما ذُكر غُنية عمّا لم يُذكر ،وحسبنا بالعِقد ما أحاط بالعنق وبالسوار ما أحاط بالمِعصم، وسيحاول الفصل اللاحق تسليط الضوء على الجانب الذي يؤكد مساهمة المتكلم –حين يتحكم في لغته– في توضيح أفكاره لأجل التأثير وذلك من خلال الكشف عن جملة من العوامل والأفعال التي تتسبب في إنتاج الملفوظ بما في ذلك التواصل الذي يشكل حالة خاصة من حالات الملفوظية.

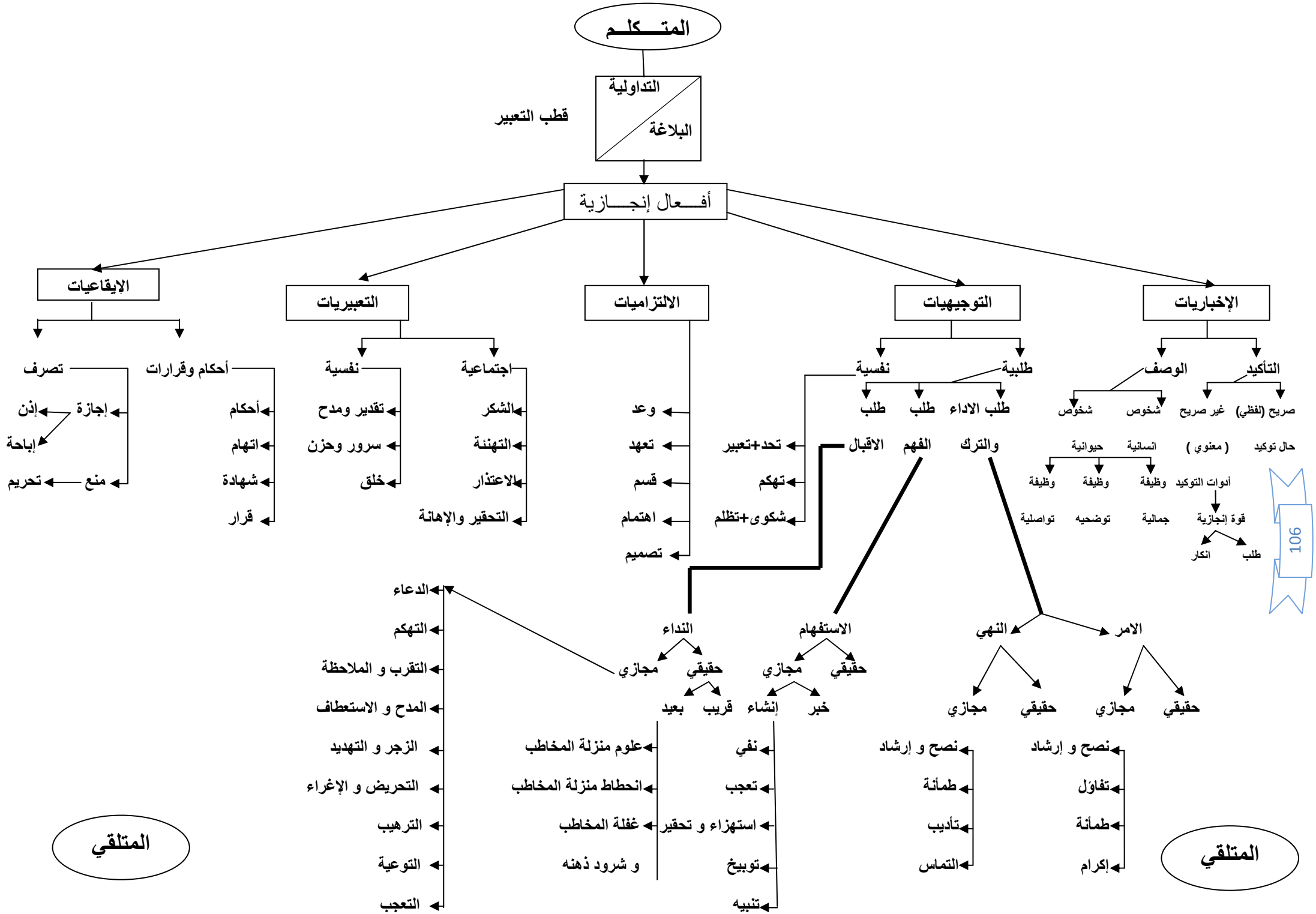
المتـــكلـم
قطب التعبير
التداولية
البلاغة
أفـــعال إنجـــازية
الإخباريات
التوجيهيات
الالتزاميات
التعبيريات
الإيقاعيات
التأكيد
الوصف
طلبية
نفسية
اجتماعية
نفسية
تصرف
أحكام وقرارات
صريح (لفظي)
غير صريح
شخوص
شخوص
طلب الاداء
طلب
طلب
وعد
تعهد
قسم
اهتمام
تصميم
الشكر
التهنئة
الاعتذار
التحقير والإهانة
تقدير ومدح
سرور وحزن
خلق
أحكام
اتهام
شهادة
قرار
إجازة
منع
إذن
إباحة
تحريم
والترك
الفهم
الاقبال
تحد+تعبير
تهكم
شكوى+تظلم
حال توكيد
( معنوي )
أدوات التوكيد
قوة إنجازية
طلب
انكار
انسانية
حيوانية
وظيفة
وظيفة
وظيفة
وظيفة
جمالية
توضحيه
تواصلية
106
الامر
النهي
الاستفهام
النداء
حقيقي
مجازي
حقيقي
مجازي
حقيقي
مجازي
حقيقي
مجازي
خبر
إنشاء
قريب
بعيد
نصح و إرشاد
تفاؤل
طمأنة
إكرام
نصح و إرشاد
طمأنة
تأديب
التماس
نفي
تعجب
استهزاء و تحقير
توبيخ
تنبيه
علوم منزلة المخاطب
انحطاط منزلة المخاطب
غفلة المخاطب
و شرود ذهنه
الدعاء
التهكم
التقرب و الملاحظة
المدح و الاستعطاف
الزجر و التهديد
التحريض و الإغراء
الترهيب
التوعية
التعجب
المتلقي
المتلقي

# الفصل الثاني:تحليل أبواب كليلة ودمنة حسب النظرية التلفظية

**1-معنى الملفوظات**

**1-1الترابط النصي**

**1-2الانسجام**

**2-مرجعيات الملفوظات**

**2-1ضمائر الشخص**

**2-2الزمان والمكان**

❖**مخطط العملية التلفظية**

يتناول هذا الفصل تطبيق عناصر النظرية التلفظية في دراسة حكايات كليلة ودمنة، إذ سيكشف عن مدى ملائمة العملية التلفظية وملاحظة تجلياتها في الخطابات المعالجة من خلال العناصر التي تدخل في معنى الملفوظ (إضافة إلى السياق) من ترابط نصي وانسجام. وكذلك الضمائر، الزمان والمكان والأحكام، والإحالة إلى عنصر الفعالية من خلال البنية التخاطبية ،حتى يتبين أن المخاطِب هو الموجِّه الأول لخطابه، وتتأكد مساهمته حين يتحكم في لغته محاولا توضيح أفكاره.

## 1- معنى الملفوظات:

إن السياق يساهم بشكل كبير في تشكيل معنى الملفوظ إضافة إلى أن هناك عناصر تدخل في معنى الملفوظ [1] كالترابط النصي والانسجام ،وسيتم تفصيلها لتبيين الأبعاد التداولية فيها حسبما يقتضيه المقام دون إطالة مملة ودون إيجاز مخلٍّ.

**1-1 الترابط النصي**: لكي تُستخدم الجملة كملفوظ لا بد أن تكون متلائمة مع ما قبلها في سياق معين ومن أشكال الترابط النصي في خطابات كليلة ودمنة -والتي جعلتها نصا تبليغيا ناجحا يحقق التواصل- ما لي[2]:

**1- المرجعية**: وتسمى أيضا الإحالة أو الإشارة * ؛ والتي تتحدد من خلال العنصر اللغوي والسياق الوجودي أو الخارجي ومن ثم تمثل دراسة البعد المرجعي للعلامة اللغوية [3] وقد تضمنت خطابات الكتاب مرجعياتٍ كثيرةً ومختلفةً، وهنا ارتأى البحث تقسيمَيْن مختلفين وذلك حسب المشار إليه، والمشير فجاءت كالتالي:

**أ-1 إحالة باعتبار المشار إليه وهي نوعان**: [4]إحالة نصية أو إحالة خطابية: والتي يُرجع فيها إلى شيء في الخطاب متقدم أو متأخر، أما الأخرى فهي الإحالة المقامية: والتي يرجع فيها إلى شيء في محيط الخطاب الخارجي، ويذهب هاليداي " (Halliday)ورقية حسن" بهذا الخصوص إلى أن « **الإحالة المقامية تساهم في خلق النص لكونها تربط اللغة بسياق المقام، إلا أنها تساهم في اتساقه بشكل مباشر**» [5] .

---

(1) ينظر جان سيرفوني، الملفوظية، ص 27، 28، 29 .

(2) ينظر، محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب،المركز الثقافي العربي،ط2،بيروت،2006، ص 16، 25

* تسمى إشارة إذا كان مرجعها العالم الخارجي وتسمى إحالة إذا كان مرجعها السياق اللغوي، ينظر محمود أحمد نحلة، الاتجاه التداولي في البحث اللغوي دار الوفاء، 2003، ص 231، 175 .

(3) ينظر، محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، دار الكتب، ط1 ، القاهرة، 2013، ص 231 .

(4) ينظر ، المرجع نفسه، ص 32.

(5) Halliday and. R. Hasan, Cohesion in English, Longman, London , P 37

بينما تقوم الإحالة النصية بدور فعال في اتساق النص ولهذا فقد أولت الدراسة بالغ الأهمية للإحالة النصية ولم تلتفت للإحالة المقامية في هذا المبحث لأنها غير مفيدة، وستكون لها عناية فائقة في الفصل اللاحق.

* **المرجعية الداخلية** : إحالة نصية أو إحالة خطابية: ما يقصد به في هذا النوع من المرجعيات هو الملفوظات التي تحيل إلى السابق أو إلى اللاحق ومن أمثلة ذلك في قصص الكتاب ما يلي :

« **أما الأربعة التي يحتاج إليها ... فاكتساب المال من أحسن وجه يكون، ثم حسن القيام على ما اكتسب منه، ثم استثماره، ثم إنفاقه بصر به قوم من أهل القرية فتواقعوا لإخراجه ... أدخل هذا البيت فأستريح فيه**» [1] .

فالضمائر المتصلة ( الهاء في (منه) واستثماره) تعود على المال و ( الواو في (تواقعوا)) تعود على الرجل، والهاء في (فيه) كلها تشكل مرجعياتٍ سابقةً تعود على كلمات تسبقها في تراكيب الجمل، في حين أن اسم الإشارة "هذا" يشكل مرجعية بعدية لأنه يشير إلى لفظ بعده ( إذا لو توقف الكلام عند (هذا)) لم يفهم المتلقي شيئا ولم يستقل في ذهنه معنى حتى أضاف " ابن المقفع " لفظة (البيت) فحينها فهم المتلقي المقصود بالإشارة إلى مطابق المشار إليه وهو هنا (البيت)، فهذه الإحالة البعدية قد أجبرت على توسيع الجملة مع أنها في الوقت ذاته أوجدت الاختصار بإرسال اسم الإشارة (هذا) بدلا من جملة كاملة فحواها (أشير لك إلى ...).

والأمثلة كثيرة جدا من الإحالتين (القبلية والبعدية)، يكاد النص لا يخلو منها، لأن غيابهما يُفقدان الخطاب خاصيته التبليغية، لأنه دونهما سيكون مجموعة جمل غير مترابطة لا تؤدي أي معنى.

وتكمن جمالية الإحالة في «**أنها تمثل استراتيجية عقلية يستند إليها الناص حين يقوم بعملية الاقتصاد في الفقرة... ويقوم الناص بها عندما يطمئن إلى قدرة المتلقي على فهم العنصر المختصر في ضوء منطق النص**» [2] .

فالإحالة يجتمع فيها أمران الأول الاقتصاد (الإحالة القبلية) والآخر التوسعة ( الإحالة البعدية).

---

[1] ابن المقفع، باب الأسد والثور، ص 78، 79 .

[2] عمر محمد أبو خرمة، نحو النص ، نقد النظرية وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2004، ص 173.

## أ-2- إحالة باعتبار المشير:

**أ- الإحالة الشخصية**: هي ما ذكر في الكتاب من ضمائر سواء أكانت هذه الضمائر **وجودية**؛ والتي تميز أدوار الكلام كضمير المخاطَبِين ( الكاف) في قول ابن المقفع « **إنكن تدرين في ساعة واحدة**» [1] ، فهذا الضمير يحيل إحالة خارجية سياقية (الطير)، وضمير المتكلمين في مثل : « **نحن لك الغداء** » [2] .

والغرض من الإضمار هو أن (الضمير: المسند إليه) موجود في ذهن المتلقي أي أنه معلوم لديه، ولهذا يلجأ المتحدث إلى إضماره لكونه مذكورا أو حاضرا، في ذهن المتلقي، أو أن قرائن الأحوال تساعده على معرفة المضمر.

أو كانت الضمائر **تمييزية** كضمائر الملكية مثل قوله: « **فأرده إلى جحري ... يزيد ذلك في قوتي...**» [3] .

فهذه الضمائر ( وجودية كانت أو تمييزية) تتحدد أدوارها في النص بأنها تفيد تحقيق ترابط الجمل من جهة ،وتحقق الاختصار المطلوب تداوليا من جهة أخرى. إلا أنّ أغراضها البلاغية متباينة، وغير محددة ولا معينة بالقصد وإنما يفهم المراد منها أو المقصود بالتعيين من السياق والقرائن [4] .

ومثال ذلك : « **ما ينفعني الحب والعيش بعدك إذا طلبتك فلم أجدك**» [5] .

فالضمير -كما نعرف- يكون في الخطاب لمشاهد معين، فإذا كان غير مشاهد بالعين ولكنه لا يغيب عن البال والقلب أُنزل منزلة المشاهَد، وهذا ما يوضحه المثال السابق فلقرب منزلة زوجة الطائر إلى قلبه ولأنه قتلها في لحظة غضب وندم على ذلك جعل يخاطبها وكأنه يراها، وقد يعدل بالإظهار في مقام الإضمار لأغراض عديدة نذكر منها ما كان لأجل الاستعطاف مثل : « **إن كان الملك يريد الإحسان إلي فليدعني**» [6] ، فالمقصود إن كنتم تريدون الإحسان إلي...فهذا الإظهار جاء لتوضيح معنى التفاعل النفسي مع ما يُكنه الأسد من ثقة ومحبة لابن آوى ونفسه بالنسبة لابن آوى مع الأسد.

---

[1] ابن المقفع، باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين، ص 237 .

[2] المصدر نفسه، باب إيلاد وبلاذ وإيراخت، ص 243 .

[3] المصدر نفسه، باب الحمامة المطوقة، ص 159 .

[4] منها: خطاب المستحضر في القلب والذهن، العدول باستخدام الضمير، العدولل بالإظهار في مقام الإضمار... ينظر، حسين جمعة، في جمالية الكلمة (دراسة جمالية بلاغية نقدية) منشورات (اتحاد كتاب العرب)، دمشق، 2002، ص 127 .

[5] ابن المقفع، باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت، ص 248 .

[6] المصدر نفسه، باب الأسد وابن آوى، ص 226 .

يقول حسين جمعة:« **إن الضمير في لغة البلاغة ينتصب شامخا كصورة من صور التعريف في مستوى الأداء ...ليدل على دلالات اختزنها فيه الإنسان على مر العصور... وأفرغ فيه أفكارا شتى** » [1] وهذا ما يتيح للمتكلم مجاوزة الزمن، وتكثيف الصورة، فيسمو باللغة الفنية لتغدو لغة بلاغية وجمالية.

**ب– الإحالة الإشارية**: لقد تضمنت حكايات كليلة ودمنة كثيرا من أسماء الإشارة يمكن تصنيفها كما يلي:

– أسماء إشارة ظرفية زمانية : « **وأين قلبك الآن؟** ... » [2] لقد جاءت لفظة (الآن) لتشير إلى مكان تواجد القلب في الوقت الحالي، وقامت بالربط القبلي بينها وبين ما سبقها.

– أسماء إشارة ظرفية مكانية :« **فانطلق ابن الأكّار وسأل هناك عن عمل** » [3].

– أسماء إشارة للانتقاء: « **فمن ضيّع شيئا من هذه الأحوال ... وإنما ضربت لك هذا المثل** ... » [4].

– أسماء إشارة للبعد: « **فلما كثر ذلك ... وشكت ذلك ...جميع من حضر قد عرف ذلك** » [5] .

من المعروف أن اسم الإشارة يوضع لمعيَّن بوساطة إشارة حسية، تعني قرينة اسم الإشارة الحضور عند المتكلم، فلا بد من حضورها عند تداول الكلام، لذا أدرك السكاكي(ت626هـ) أن أسماء الإشارة في التعبير الفني لا تستخدم للإشارة إلى شيء حسي، يمكن إدراكه من خلال " المقام" أو " السياق "، وإنما تستخدم لاستحضار دالٍ سابح في فضاء النص وهو المشار إليه في ذهن السامع، ولذا فهي ذات أبعاد تداولية، واسم الإشارة يحل محل المشار إليه ( المسند إليه) « **ومتى صح إحضاره في ذهن السامع بوساطة الإشارة إليه حسيا، واتصل بذلك داعٍ مِثل أن لا يكون لك ولسامعك طريق إليه سواها، أو أن تقصد بذلك أكمل تمييز له وتعيين** » [6] .

إنه ومن خلال الأمثلة المقدمة يتضح لنا أنه لا يمكن أن تتحقق فاعلية الإشارة إلا إذا تم التواضع على الشيء المشار إليه بين طرفي الخطاب فعندما يقول ابن المقفع: « **وإنما ضربت لك هذا المثل** »، فلا بد أن يكون لهذا المثل (المشار إليه) حضور سابق،وأن السامع على علم به ،وهنا يبرز الدور التداولي الآخر للإشارة كما اتضح لنا –ومن خلال الأنواع الأربعة لأسماء الإشارة– أنها ترتبط بالمقام الخارجي ارتباطا أساسا من خلال الهوامش الإضافية التي تقدمها على مستوى الزمان والمكان في القرب أو البعد ... وتختلف مقاصد أسماء الإشارة

---

[1] حسين جمعة، في جمالية الكلمة، ص 130 .

[2] ابن المقفع، باب القرد والغيلم، ص 194 .

[3] المصدر نفسه، باب السائح والصائغ ، ص 264 .

[4] المصدر نفسه، باب الأسد والثور، ص 78 ، 123 .

[5] المصدر نفسه، باب القرد والغيلم، ص 192 .

[6] السكاكي، مفتاح العلوم، ص 275، 276 .

من مقام إلى آخرَ؛ كأن تدل على تمييز استحضار المشار إليه في الذهن ( هذا المثل) وفي نفس الوقت يفيد التثبّت والتقرير وتخصيص هذا الشيء (المثل) دون غيره، والأمثلة والأغراض كثيرة ولعل التوغل في أعماق التنوع الإشاري لا يتوقف عند مهمة الثراء اللغوي التركيبي وحده،وإنّما يُكسبه ثراءً في الأداء وطبيعة إيقاعه الذي يضاف إلى الدلالة والتأثير النفسي.

### جـ- الإحالة الموصولية:

إن الاسم الموصول مبهَم يستوجب صِلةً تعرّفه مثل : « **ولكني أطالب الذي استودعنيه ... وإخراج نفسه من الشهادة التي لا يكتبها مثله**» [1] وهو يتسع لكثير من المعاني، ومن شروط صلة الموصول « **أن تكون معلومة للمخاطَب في اعتقاد المتكلم قبل ذكر الموصول، لأن القصد من الصلة تعريف الموصول بما يعلمه المخاطَب من حالة ليصح الإخبار عنه**» [2] .

وقد ورد الاسم الموصول في "كليلة ودمنة" بأغراضٍ ومقاصدَ متعددةٍ لعل أهمها * : توضيح أمر للمخاطَب لم يكن على علم به، مثل: « **لا ترحمه أيها الملك فإن العاقل لا يرحم فمن يخافه**» [3] فـ"دمنة" يريد أن يوضح للملك أن تصرفه بقتل الثور "شترية" صائبٌ لأنه كان محل خوف.

وفي قول ابن المقفع: « **ومن ذلك حديث الجماعة الذين ظفروا بالناسك وأخذوا عريضه** » [4] تكشف الصلة للمخاطَب عن أحوال لا علم له بها وهي أخبار الجماعة المتحدث عنهم.

هذه بعض الأمثلة التوضيحية لمعاني اسم الموصول في التراكيب ،إضافة إلى أنه يعمل وصلتَه على الربطيْن اللفظي والمعنوي بين السابق واللاحق. أما عن وظيفته فليس بما يحمله من دلالات سطحية فقط، بل بما يثيره من معانٍ ومقاصدَ تداوليةٍ، يسعى إليها الدارس جاهدا -وبعد مراجعة الصوغ أكثر من مرة وتأملها مليا- فتلك هي المقاصد القائمة في ذهن ابن المقفع والتي انطلق منها لبناء تركيبه اللغوي.ويمكن القول إن الإحالات الثلاثة (الشخصية، الإشارية والموصولية) -والتي تحمل دلالات حرفية- لا تمثل سوى وسيلة لنقلنا من العالم المباشر

---

[1] ابن المقفع، باب الفحص عن أمر دمنة، ص 144 .

[2] عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، ص 30 .

* أغراض الاسم الموصول كثيرة مثل: توضيح أمر للمخاطَب لم يكن على علم به، كشف الصلة للمخاطَب عن أحوال لاعلم له بها، الرغبة عن التصريح بالاسم الحقيقي لتنزيهه عن الفحشاء، قد يأتي للتقدير والتأكيد والتفسير، التفخيم والتعظيم، يكون للتعريض والتقليل والتصغير، توجيه العقل إلى بناء المفهوم الصحيح، تنبيه المخاطَب على غلطه ... ينظر، حسين جمعة ، في جمالية الكلمة، دراسة جمالية بلاغية نقدية، ص 137، 138 .

[3] ابن المقفع، باب الأسد والثور، ص 124 .

[4] المصدر نفسه، باب القرد والغيلم، ص 177 .

إلى عالم أكثر انفتاحا يشير إلى قصد "ابن المقفع" والذي يُظهر –بتنوعه– براعته اللغوية وتنوعه الأدائي البلاغي؛ وهذا ضمن التواصل بينه وبين المتلقين ،إذ أصبح كتابه كليلة ودمنة مثالا يحتذى شكلا ومضمونا.

**2– الوصـل:** يعتبر الوصل إحدى الأدوات التي تثبت اتساق النصوص، ويعرفه السكاكي بأنه:« **ترك العاطف وذكره على هذه الجهات وكذا طي الجمل عن البين ولا طيها** » [1] وبذلك نفهم أن من يستعمل هذا النوع من الربط ليس إلا متكلما خاصا يُشهَد له بالمنزلة البلاغية العليا، إضافة إلى أن الخطاب به لا يتلقاه سوى متلقٍّ ثاقبُ النظر مفكرٌ، وهذا ما يجعل الوصل شرطا تداوليا لأنه يرتبط بفهم المتلقي، ويمكن تقسيمه حسب ما جاء في خطابات الكتاب عدة أنواع منها : « **الوصل الإضافي، الوصل العكسي والوصل السببي** » [2]

**أ– الوصل الإضافي:** منه ما جاء بحرف "الواو" وهو كثيرٌ جدا وروده سواء أكان ذلك بين كلمتين أو بين جملتين ،كما جاء في قوله :« **من الضر والنفع، ... المنافع والمضار**» [3]يلاحظ في هذين المثالين أنّ العطف بالواو ورد مقبولا ، لأن هناك بين المعطوف (النفع) والمعطوف عليه (الضر) جهة جامعة، ونفس الأمر مع (المنافع والمضار) .أمّا العطف بين جملتين فمثاله: « **وهو أشد منك وأكرم على الأسد منك** » [4]، فالعطف بالواو في هذا المثال يؤكد التعالق النحوي للجمل وعدم تمام معناها واكتمال الصور المعبَّر عنها إلا بفضل هذا العطف. كذلك ما ورد من ربط بحرف الفاء في مثل « **قد سمعت مثل المتحابين... فحدثني إن رأيت عن إخوان الصفاء** » [5] **وما ورد من ربط بحرف أم في مثل:« ما أدري أيَّ الأمريْن أعظم في نفسي الهلكة أم قتل أحبائي** » [6] .

**ب– الوصل العكسي:** ويعني على عكس ما يُتوقع مثل: « **اليوم أرجو أن أعود إلى ما كنت عليه** » [7] ومثله: « **واشتد أسفه عليها وجعل يعزي نفسه عنها ... وهـو مع ذلك يستحي أن يسأل إيلاذ** » [8] .

لقد عملت لفظتا (لكن وَمع ذلك) دور الربط بين الجملة اللاحقة والسابقة فإطلاق الحكم في الجملتين السابقتين ليس نهائيا ؛ففيه شيء من الاستدراك والتعديل فجاءت الجملتان اللاحقتان عكس ما كان متوقعا.

---

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، ص 357 .

[2] ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 23 .

[3] ابن المقفع، باب الأسد والثور، ص 94 .

[4] المصدر نفسه، ص 95 .

[5] المصدر نفسه، باب الحمامة المطوقة، ص 149 .

[6] المصدر نفسه، باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت، ص 240 .

[7] ابن المقفع، باب الأسد والثور، ص 94 .

[8] المصدر السابق، باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت، ص 247 .

**جـ- الوصل السببي**: هو علاقات منطقية كالنتيجة والسبب والشرط، كما في المثال:« **تيقنوا أن الذي رزقهم الله سبحانه وتعالى من الخير إنما هو بقضاء وقدر، ...ولا يستطيعا أن يطيرا مما لقيا من الجوع والهزال** » [1] .

فسبب الرزق القضاء والقدر وسبب العجز عن الطيران هو الجوع والهزال، فالوصل السببي من شأنه أن يقوّي الأسباب بين الجملتين المتواليتين وجعلهما مترابطتيْن متماسكتيْن، إذ توجد النتيجة بوجود السبب وتُمتنَع بامتناعه لذا تعتبر عناصر الوصل السببي من محققات الترابط النصي.

إذا كانت وظيفة هذه الأنواع المختلفة من الوصل متماثلة (نقصد بالوظيفة هنا الربط بين المتواليات المشكّلة للنص) فإن معانيها داخل النص مختلفة ؛فقد يعني الوصل معلوماتٍ مضافةً إلى معلومات سابقة ،أو معلومات مغايرة للسابقة أو معلومات (نتيجة) مترتبة عن السابقة (السبب) وذلك بمناسبة المقام لكل مقام، إلى غير ذلك من المعاني ،وإن لم يدل الوصل على إحدى هذه المعاني فإنه سيُوصَف الكلام منه بأنه سخيف لأنه سيكون بعيدا عن مقام الحديث وسيفشل الخطاب.

كما أن الوصل يؤدي وظيفتيْن هما: **الاتساع** (الوصل السببي) ،وَفي الوقت ذاته يعتبر وسيلة من وسائل **الاقتصاد** (الوصل الإضافي أو العطف) وهاتان سمتان تداوليتان سيتم التطرق إليهما في حكمتي الكم والكيف في الفصل اللاحق.

## 3- الحـذف:

تناولنا في المبحث السابق الوصل كأداة من أدوات تحقيق الاتساق النصي، ورأينا كيف يعمل وظيفتي (الاتساع والاقتصاد)، ويهمنا هنا الوقوف بقليل من التفصيل عند صورة من صور البلاغة ينتجها النص –داخليا- من خلال نَظْمه وتركيبه وهي الحذف « **هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة**» [2].

فالحذف بهذا إسقاط جزء من الكلام ولكن ليس إسقاطا مجانيا دون دلالة ووظيفة، كما أنه ليس مجرد عملية لغوية تركيبية شكلية ،بل إنه عملية بلاغية، قد تكون من أجل إحكام التركيب وتسويته، وقد تكون من أجل تجميله وتطريزه، أو من أجل الدلالة على معنى أو إحساس أو ما قد يكون له تأثيره ووقعه

[1] ابن المقفع، باب ابن الملك وأصحابه، ص 268، 269

[2] الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 112 .

في سياق الكلام [1]، وقبل أن يكون ظاهرة بلاغية كان مبحثا لغويا وهو علاقة قبلية داخل النص [2]. والحذف كما يشير إلى ذلك الجرجاني يأتي إلى دواعٍ قولية معينة، فالحذف في الموضع والحال الذي ينبغي فيه كي يؤدي المعاني التي تقتضيها الشروط التداولية، حتى يحصل تأثير القول الذي فيه الحذف إلى تحريك نفس السامع، وسيتم تقديم بعض النماذج القولية التي يتم فيها حذف إحدى مكونات الجملة في كتاب كليلة ودمنة.

**3-1 حذف المبتدأ:** مثل: « **بئس الحيلة التي احتلت**» [3] حُذف المبتدأ على قول من يرى أصل الكلام "بئس الحيلة هي التي احتلت"، فيكون الحذف هنا لاعتبارات تعود إلى "ابن المقفع" وقصده؛ فقد يقصد في تركه المسند إليه لعلة أن السامع يستحضر هذا المحذوف في ذهنه، ومع ذلك ينطلق ابن المقفع مما هو معلوم ومشترك بينه وبين المتلقي « والترك راجع لأن الاستعمال وارد على تركه أو ترك نظائره» [4]. وهو بهذا الترك ينقذ الجملة من الإسفاف والركاكة والضَّعف.

**3-2 حذف المفعول به:** مثلك « **لا يُدرَك غوره**» [5] الغرض من حذف المفعول به إثبات الإدراك للفاعل وليس وجوب الإدراك في الفعل على الإطلاق، فالأصل في القول " **لا يدرك الإنسانُ غورَه**" فالغرض من ذكر المفعول به هو رفع الالتباس في الإدراك الواقعِ من الإنسان للغور ووقوعه عليه ،واجتماعهما يدل على تخصيص المدرَك (الغور). وقد جاء الحذف ها هنا – لتأدية معنىً تداوليٍ يتمثل في الاختصار. أمّا عن مثال ذكر الفعل وحذف المفعول به لأن مكانه معلوم، بدليل الحال عليه، ما جاء في قول " ابن المقفع" : « **فإنه لو وجد بعضهم إلى هلاك بعضٍ سبيلاً لفعلَ**» [6] فالفعل " فعل" متعدٍّ إلى مفعول به ،لكنه حُذف في هذا الموضع بدليل الحال عليه والتقدير " لفعل ذلك الأمر " يقول "الجرجاني"(ت471 ه) « **فنوع منه أن تذكر الفعل وفي نفسك له مفعول ومخصوص قد عُلم مكانه إما أجري ذكر أو دليل حال إلا أنك تُنسيه نفسك وتخفيه وتوهم أنك لم تذكر ذلك الفعل إلا أن تثبت نفس معناه من غير أن تعدّيه إلى شيء أو تعرض فيه لمفعول** » [7]

أي أن المفعول به قد يحذف حين لا تتعلّق بذكره فائدة، لدلالة السياق عليه بقوة. وقد عرض "ابن

---

[1] ينظر، حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي، نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، دار كنوز المعرفة العلمية، ط1، عمان ، الأردن، 20 13، ص233.

[2] ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 21 .

[3] ابن المقفع، باب الأسد والثور، ص 96 .

[4] السكاكي، مفتاح العلوم، ص 265، 266 .

[5] ابن المقفع، باب الجرد والسنور، ص 207 .

[6] المصدر نفسه ، باب الأسد وابن آوى، ص 229 .

[7] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 120 .

جني"(ت392هـ) لحذف المفعول ونص أكثر من مرة على حُسنه لدلالة الكلام عليه وأنه لا يصدر إلا عن فصاحة عذبة « **وحذف المفعول كثير وفصيح وعذب، ولا يركبه إلا من قوي طبعه، وعذب وضعه**»[1].

وفي الأخير يمكن القول إن حذف المفعول به في الكتاب مرتبط بموقف ابن المقفع الذي يتوخى توصيل أغراض بلاغية وجمالية لا تتحقق مع ذكره ،ولأن المقام لا يسعنا لذكر كل هذه الأغراض اكتفينا فقط بذكر غرضين نراهما أهم غرضين وأكثرهما ورودا في قصص الكتاب.

**3-3 حذف الفعل:** أما بالنسبة لحذف الفعل فمن الأحوال المقتضية لترك الفعل ، ولاعتبار تداولي تخاطبي، أن يكون الكلام في مقام تحذير، كما جاء في قول" ابن المقفع "« **وإياك أن يكون مثلك مثل العلجوم**» [2] فقد حذف الفعل من باب الوجوب لأنه أسلوب تحذير بـ " إياك " فذكر الفعل مما لا بُدّ منه لأنه إن ذكر فسيفسد تركيب الجملة إضافة إلى أنه لا يبلّغ المعنى المطلوب.

كما يطّرد حذف الفعل في العطف مثل: « **وخلفت زوجها والغلام** » [3] وذلك تفاديا للتكرار، ويشترط في ذلك وجود دليل لفظي مطابق للمحذوف [4] ، أما غرض الحذف في هذا الموضع فلأنّ النفس البشرية مولعة بالإيجاز والاكتفاء بيسير القول، ولا تلوذ بالإطالة إلا لضرورة بلاغية، كما أن للعطف قيمة كبرى في بيان المحذوف الذي يبنى عليه تغير في المعنى [5] .

ومن مقتضيات حذف الفعل وفاعله –لاعتبار تداولي تخاطبي– ما كان الكلام فيه جوابا لسؤال مثل « ما شأن القمر ارتعد أتراه غضبا ؟ ...قالت فيروزُ الأرنبُ : نعم»[6] وأصل الكلام : " غضب القمر " فالحذف ورد لأن المحذوف عُلم من السياق الكلامي، وكأنّ التركيب وسياق أدائه كفيلان بأن يحددا هذا المحذوف (الفعل والفاعل)، والغاية من حذفه التقليل من اللفظ وتوسيع الدلالة، فالمحذوف – وإن حذف–فهو معلوم، وهذا أبعث على الإقناع وأدعى إلى التأثير.

---

[1] ابن جني، الخصائص، نُقل عن ،محمد مشيال، البلاغة والأصول، دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي، نموذج ابن جني، إفريقيا الشرق، 2007، ص 150 .

[2] ابن المقفع، باب الأسد والثور، ص 96 .

[3] المصدر نفسه، باب الناسك وابن عرس، ص 203 .

[4] ينظر، حسن جمعة، في جمالية الكلمة، ص 105 .

[5] ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[6] ابن المقفع، باب البوم والغربان،ص173

هذه بعض الأمثلة المختلفة في الحذف اتضح من خلالها أن الحذف عنصر بنائي أساسٌ داخل تركيب مشيد قائم بذاته، وبهذا «**يعتبر الفراغ وجها من أوجه البناء ... لكنه يُنقل إلى منظور نسقي واسع يأخذ من منظور تداولي ... وفي كل الأحوال فالحذف ظاهرة بلاغية تمكّن التركيب من أن يقول أكثر مما يبدو أن يقوله حرفيا وسطحيا**» [1] . وقد تم تبيّن دور الحذف من خلال الأمثلة السابقة، في اتساق نصوص ابن المقفع وإن كان هذا الدور مختلفا –من حيث الكيفُ– عن الاتساق بالوصل وبالإحالة ،وما يجعله مختلفا عنهما – في اعتقادنا– هو عدم وجود أثر عن المحذوف فيما يلحق من النص. وتبرز الأمثلة المقدمة للحذف فاعليته في تشكيل المعنى والرفع من الطاقة التوصيلية للكلام، ولا عجب في هذا، فالحذف صورة من الصور التي تقول الكثير وتحمل على التفكير أكثر.

**4– التكـرار:** ليكون النص تبليغيا أكثر فأكثر، لا بد أن يحتوي في تناميه الخطي عناصرَ ذاتَ تكرار ملزم وهذه – الميتا قاعدة– كما أسماها "جاك موشلر" و"آن روبول" تصرح بمظهر اتساق النصوص [2]، وهو يحدث تجانسا بين العبـارات من حيث الوزنين الصوتي والصرفي [3] ، كما أشار " **السجلماسـي**" (ت704هـ ) إلى وظيفتـه في ربط الأجزاء حيث أسماه البناء فقال :« **البناء هو إعادة اللفظ الواحد بالعدد وعلى الإطلاق، المتّحد المعنى كذلك مرتين فصاعدا خشيةَ تناسي الأول لطول العهد في القول** » [4] وفي كليلة ودمنة تكررت كلمة " الملك " كثيرا ومثل ذلك« **ثم إن بيدبا اختار يوما للدخول على الملك ... وقصد باب الملك ... إني رجل قصدت الملك ... فدخل الآذن على الملك ... ذكر أن معه نصيحة للملك... وإن يكن من أمر الملك ... فلما سمع بيدبا ذلك من الملك ... أسأل الله تعالى بقاء الملك ... لأن الملك .. ثم أقبل على الملك... قد عطف علي الملك ... والأمر الذي دعاني إلى الدخول على الملك** » [5] .

يدلّ تكرار كلمة"الملك"في معظم أبواب الكتاب تقريبا،على تنامي النّصوص ،ولم يلجأ " ابن المقفع"إلى تعويضها

---

[1] حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، ص 234

[2] ينظر، جاك موشلر– آن روبول، القاموس الموسوعي للتداولية ، تر مجموعة من الأساتذة والباحثين ، بإشراف عز الدين المجدوب، دار سيناترا، تونس، 1994، ص 503

[3] ينظر، عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة، مطابع الدار العربية، ط1، بيروت، 2010، ص 101

[4] السجلماسي، المنزع البديع، ص 476، نقلا عن، جميل عبد الحميد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 92

[5] ابن المقفع، مقدمة الكتاب، ص 13، 14، 15

بما يحيل عليها كالضمير مثلا، ولكنه فضل تكرارها لأجل استمالة المتلقي، والإفصاح والكشف عن مقاصدَ خطابيةٍ لعل أبرزها جعل الخطاب يتوجه بالدرجة الأولى إلى لملوك الطغاة الظالمين لرعاياهم حتى ينصفوا شعوبهم . وتكررت لفظة " السلطان" وإن كانت لا تختلف عن سابقتها إلا اختلافا طفيفا في مثل قول " ابن المقفع" « **ولست بصاحب السلطان ولا علم لك بخدمة السلاطين ... ويقال إن مثل السلطان ... هو قريب من السلطان ... لا يواظب على باب السلطان ... أخاف عليك من السلطان ... صحبة السلطان ... من علو همة وعظيم خطر منها صحبـــــة السلطان ... إن السلطـــــان لا يقرب الرجال....** » [1].

قد تميز هذا التكرار للفظة " السلطان " أنه جاء في كل تركيب يحذر من صحبة السلاطين لصعوبة التعامل معهم ؛ذلك أن للسلطان قوة اليد في قهر الجمهور الأعظم والجماعة اليسيرة ،كذلك « ألا ترى أنه يقال الخليفة سلطان الدنيا وملك الدنيا وتقول لأمير البلد سلطان البلد ولا يقال له ملك البلد لأن الملك هو من اتسعت مقدرته على ما ذكرناه، فالمُلْك هو القدرة على أشياءٍ كثيرةٍ والسلطان القدرة سواءً أَكان على أشياءٍ كثيرةٍ أو قليلة ... ولهذا يقال هو مسلط علينا وإن لم يملكنا » [2] .

وكما يرى **الزمخشري** (ت538هـ)فإن القيمة الجمالية للتكرار تتعلق بالسياق [3] . ففي بعض السياقات يحسن اجتنابه ولاسيما إذا كان من نوع تكرار المفردات والأدوات قال ابن المقفع : «**وأحب دمنة أن يُري القـوم أن ما نالـه من كرامة الملك ... فقـال : إن السلطـــــان لا يقـرّب الرجال...** » [4] .

حيث استعمل ابن المقفع لفظ (الملك) مرة وبعده مباشرة لفظ (السلطان) وذلك للاختلاف بين اللفظتين المشار إليه سابقا، إذ أراد دمنة المحتال مخاطبة الملك بالسلطان تعظيما له وتنويها بفخامته حتى يؤثر فيه بكلامه المعسول الذي لا يحمل في طياته سوى الاحتيال والخديعة ، ولهذا تجدر الإشارة إلى أن التكرار له مقاماته التي يحسن فيها، وليس يحسن على كل حال وهذا هو سبب أن خولف بين "الملك" و" السلطان ".يقول الزمخشري: « **تكرير اللفظ الواحد في الكلام حقيق بالاجتناب في البلاغة ، إلا إذا وقع لأجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم أو تهويل أو تنويه أو نحو ذلك** » [5] .

---

[1] ابن المقفع، باب الأسد والثور، ص 83، 86

[2] معجم المعاني الإلكتروني Almaany.com

[3] ينظر، الزمخشري، الكشاف، ص 336، نقلا عن ، مسعود بودوخة، مقومات النظرية الجمالية في البلاغة العربية، مع دراسة تطبيقية في تفسير الكشاف للزمخشري، أطروحة معدة لنيل دكتوراه العلوم في الآداب، شعبة الأدب العربي القديم، إشراف ، حسن كاتب، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009، ص 336.

[4] ابن المقفع، باب الأسد والثور، ص 86

[5] الزمخشري، الكشاف3، ص 337

ومن أكثر العبارات تداولا في " كليلة ودمنة" : "قد سمعت مثل كذا ... فحدثني عن كذا ..." أو " قد سمعت مثل كذا .. فاضرب لي مثل كذا ... "

لقد وردت العبارة الأولى مرة واحدة في باب الحمامة المطوقة أما العبارة الثانية فقد تكررت في بدايات بقية الأبواب حيث إنّ الملك **دبشليم** يكرر في كل مرة هذه العبارة طالبا من "بيدبا " الفيلسوف أن يضرب له أمثالا عن مواقفَ اجتماعيةٍ ومعاملاتٍ تنم عن أخلاق حسنة مرة وعن أخرى سيئة مرة أخرى، وقد جاءت هذه العبارة المكررة في بداية كل باب تقريبا لأجل التذكير والتأكيد على طلبه الذي يشكل غرض كتابة "كليلة ودمنة" وهو تأليف خلاصة الحكمة بأسلوب مسلٍّ، وابن المقفع ترجمه لغاية إصلاحية اجتماعية في نفسه.

وتجدر الإشارة إلى أن التكرار في "كليلة ودمنة" كان على مستوى المعاني كذلك (مضامين أخلاقية) نجدها متناثرة بنسب متفاوتة في أبواب الكتاب مثل معاني الصداقة التي نجدها في أبواب مثل ( الحمامة المطوقة، ابن الملك وأصحابه ...) وقد جاءت متكررة بإبداعية ظهرت بكسوة لفظية رائعة فكل نص منها« **هو نظام متكامل من العلاقات بينه وبين النصوص الأخرى الواقعة في مجاله الثقافي**» [1] وفي هذا إشارة إلى أن "كليلة ودمنة" يتناصَصُ مع كتب أخرى تحدثت عن الأخلاق وذلك كله على مستوى الأفكار والمعاني وهذا ما يجعل التكرار «**فعلا ثقافيا توالديا تداوليا يعبر لغويا عن انتقال ممارسات ثقافية إلى مجال الخطابات الإبداعية**» [2]حيث يتحول كل باب من أبواب كليلة ودمنة شاهدا ثقافيا على حال الباب الآخر ولا يمكن بأية حال من الأحوال تفسير إحداهما بمعزل عن الآخرَ أي أنه يصرح بخطاب ليمرر خطابا آخر.

وفي الأخير يمكن القول إن تعدد كل من هذه المراجع في ظل وَحدة المعنى الذي تحيل عليه الأنساق المكررة ينم عن توحد الحدث المشكّل لموضوع الخطاب الذي يؤطره موضوع الحكمة بأسلوب مسلٍّ، وقد استطاع انتشار التكرار في نصوص الكتاب أن يحقق الترابط بين أجزائه الظاهرة من جهة، ويؤكد ثوابت المفاهيم والأفكار التي تكوّن عالم النص موضوع الخطاب من جهة أخرى.

وفي المبحث اللاحق سيتم التعرف على بناء فكري آخر ضمه نسيج نصي متماسك، كما نص "كليلة ودمنة" جمالا وإبداعا وتمايزا –من خلال علاقات متباينة– جعله أكثر قَبولا واستقرارا في نفس المتلقي إنه الانسجام(Cohérence).

---

[1] عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، ص 104 .

[2] المرجع نفسه، ص 107

## 2-1 الانسجـام :

إن الانسجام المقصود، هاهنا ، هو أحد الآليات التي يستقبل من خلالها القارئ النص فهو « **لا يتعلق بمستوى التحقق اللساني، ولكنه يتعلق بالأحرى بتصور المتصورات التي تنظم العالم النصي بوصفه متتالية تتقدم نحو نهاية** » [1] أي أن الانسجام يضمن التتابع والاندماج التدريجي للمعاني حول موضوع الكلام ولهذا فنحن نلحظ تحققه في "كليلة ودمنة"، بفضل تداخل مجموعة من العلاقات الدلالية التي عملت مجتمعةً على حبك مضامين الخطاب، وتحقيق التكامل والتناغم بينهما؛ هذه العلاقات خفية قائمة داخل نصوص كليلة ودمنة، وهي أعم وأعمق من مظاهر الاتساق التي تطلب من المتلقي النظر إلى ما هو شكلي ومعجمي، لعل أهم العلاقات الدلالية ما يلي:

### 1- علاقة الإجمال / التفصيل:

هي علاقة وطيدة الصلة بتحقيق النصية، وهي تقوم على ذكر نصية مجملة في بداية أي نص ، ثم يتم بعد ذلك طرح قضايا أخرى مفصلة لها تحمل دلالاتٍ ومعانٍ مكثفةً تساعد القارئ على الفهم والاستيعاب[2] أما عن علاقة (الإجمال/التفصيل) في "كليلة ودمنة" فيمكن التدرج في رصد هذه العلاقة وفق نمو الخطاب ،وأول ما يمكن البدء به هو العنوان "كليلة ودمنة" فهو يعتبر مجملا لقضايا النص أو لأكثرها لأن المؤلف يحاول اختصار معاني النص كلها في قضيته يدل بها – ما أمكنه ذلك – على محتوى نصه فالعنوان يعد إجمالا للخطابات والخطابات بدورها تقوم بتفصيل الإجمال، ويمكن النظر إلى العنوان "كليلة ودمنة" من زاويتين؛ الأولى داخل السياق والثانية خارجه، وعلينا التأمل أكثر في المستوى السياقي لأنه يشكل وَحدة مع العمل الأدبي، وإذا تأملنا في العنوان في ظل السياق فسنجد "كليلة ودمنة" ثنائية ضدية تنبني عليها قصص الكتاب (الخير/ الشر)، فهذا العنوان هو مركز ثقل المعنى الإجمالي ؛إذ ما تلاه من قصص هو تفصيل لها فكل باب يحكي أمرا معينا يختص بالأخلاق والسلطان والقضاء والقدر ... إذ نجدها تقريبا متناثرة في ثنايا الأبواب كلها.

---

[1] أوزوالد ديكرو، جان ماري سشفايفر (القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان) ترى منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، ط2، المغرب، 2007، ص 541

[2] ينظر،آمنة جاهمي، آليات الانسجام النصي في خطب مختارة من مستدرك نهج البلاغة للهادي كاشف الغطاء، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات والتراث، إشراف، محمد كراكبي، جامعة باجي مختار، عنابة، 2012/2001، ص 89 .

ومثال (الإجمال/ التفصيل) أيضا ما ورد في بداية كل باب لما يطلب الملك دبشليم من بيدبا أن يضرب له مثلا معينا مثل :«**حدثني إن رأيت عن إخوان الصفاء كيف يبتدئ تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض...**» [1] فهذه بمثابة مقدمة تحمل معنًى إجماليا عما سيفصله الفيلسوف " بيدبا " هذا التفصيل الذي يستعين فيه في كل مرة بمجموعة من الأمثال تلعب دور الحجة المقنعة من جهة ودور استمرارية دلالية بين مقاطع النص الواحد من جهة ثانية. كما تجدر الإشـارة إلى أن هذه العلاقة لا تسلك دوما في فضـاء النص نفس الاتجاه فهي تسير وفق اتجاهين: [2]

الإجمال ⟵ ⟶ التفصيل

ويظهر الاتجاه الثاني (التفصيل/الإجمال) من خلال ما يسرده دبشليم من تمثيل ليصل في نهاية كل مثال إلى فكرة عامة مثل : « **قال دمنة : إنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن هذا الصوت الذي راعنا لو وصلنا إليه لوجدناه أيسر مما في أنفسنا** » [3] والأمثلة كثيرة ولعل هذه العلاقة مزدوجة الاتجاه (الإجمال/ التفصيل) و ( التفصيل/ الإجمال) تخرج النص وتنقله من رتابة الوتيرة الواحدة إلى تنامٍ مطردٍ [4] إضافة إلى أنها على حد تعبير" بن عاشور " – تنشئ وقعا على النفوس « **للإجمال بعد التفصيل وقع من نفوس السامعين** » [5] فهذه العلاقة تنجذب لها النفوس وتأنس بها من خلال ما تقدمه تفصيلات على مستوى الألفاظ ومبانيها وبالإيحاءات والمعاني لكل جملة مكونة للنص في علاقاتها بما يفهم من الجمل الأخرى، وهذا ما يجعل الانسجام يتصل بعوالم الدلالة والسياق والتداولية [6] . فالقارئ في هذه الحالة يجسد المرتكز الأساس الذي يعتمد عليه في تحقيق الانسجام النصي من خلال فعل القراءة المراعي للآليات المكونة لهذه البنية داخل النص.

وقد جاءت وَحدات " كليلة ودمنة " الصغرى مترابطة ومتلاحمة من خلال ما بينته علاقات ( الإجمال/ التفصيل) و ( التفصيل/ الإجمال) التي جعلت نصوص " كليلة ودمنة" متتالية جملية خطية متصلة « **فاتصال الفقرات**

---

[1] ابن المقفع، باب الحمامة المطوقة، ص 149 .

[2] ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 272.

[3] ابن المقفع، باب الأسد والثور، ص 88

[4] ينظر، محمد خطابي، لسانيات النص، ص 272

[5] ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط) ، 1984، 302/1

[6] ينظر، دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2008، ص 100

**ضرورة واقعية وليس اختيارا نظريا** » [1] إذ إنّ حكايات الكتاب كلها تشكل هدفا أخلاقيا واحدا يتمثل في إصلاح المجتمع بدءا من السلطة الحاكمة.

وبذلك نكون أمام نص له صورة كليلة متكونة من مجموع الحكايات، وصور فرعية متكونة من كل حكاية مفردة في الوقت نفسه فيما يعرف بالتفرع الحكائي « **وهو خطة سردية واعية تربط بين الحكاية الإطار والحكايات المضمنة، وفيما بين القصص المتوالدة من بعضها دلاليا وبنيويا ووظيفيا ، لإنجاز صورة كلية وصور فرعية مفردة ، في الوقت ذاته**» [2] .

وكأن الحكاياتِ المضمنةَ هي تنويع وإبدال للحكاية الإطار ، تتناسل من رحمها لبناء الصورة الكلية عبر إعادة إنتاج مكوناتها السردية ومضمونها الدلالي، دون أن تفقد خصوصيتها السردية، وهذا ما يجعل الصورة الكلية وعلاقاتِها الداخلية لوحة فنية واحدة لا مكان فيها للتجزئة إلى عناصر خارجة عن سياق الحكي، كأنها الوَحدة العضوية التي تجمع أجزاء الكائن الحي. ولا يتوقف الانسجام – فيما سبق – على العلاقات العرضية ،فهناك علاقات أقوى منها وهي العلاقات السببية والشرطية وهي موضوع المبحث اللاحق.

## 2– علاقة السبب/ النتيجة:

تقوم علاقة السببية على الربط بين قضيتين ، تكون إحداهما سببا من الأخرى، وهي تساهم في التحام أجزاء الجملة الواحدة، أو مجموعة من الجمل ونصوص كليلة ودمنة لا تكاد تخلو من هذا الترابط الفكري، نجد ذلك على سبيل المثال لا الحصر في قول ابن المقفع:

« **فانطلق ابن الشريف لـيأتي المدينة... فأدخلته السجن مخافة أن يكون عينا** » [3]

النتيجة | أداة الربط | السبب | النتيجة | كلمة الربط | السبب

« **غلبني أخي على الملك فـهربت من يده حذرا على نفسي**» [4]

السبب | أداة الربط | النتيجة | لفظ الربط | السبب

---

[1] عمر أبو خرمة، نحو النص نقد النظرية... وبناء أخرى، ص 209

[2] يوسف أحمد إسماعيل، التفريع الحكائي وأنماط التخييل في كليلة ودمنة ، مجلة معابر، دمشق، ص 3

[3] ابن المقفع ، باب ابن الملك وأصحابه، ص 264، 266

[4] المصدر نفسه، ص 267

« **وما كنت أؤمل أن أكون بها لأني قـد رأيت في هذه الأرض من هو أفضل مني** » [1]

النتيجة — أداة الربط — السبب

« **ولكن الذي بلغ بك ذلك وفور عقلك وحسن ظنك** » [2] الرابط منطقي

النتيجة — السبب

« **ولا يستطيعا أن يطيـرا مما لقيا من الجوع والهزال** » [3]

النتيجة — الرابط — السبب

نلاحظ مما تقدم أن النتائج سبقت الأسباب والروابط التي وصلت بين النتيجة والسبب في كل مثال إما أن تكون أدواتٍ لفظيةً ( اللام، لأن ، مما، مخافة، حذرا) أو روابط منطقية تفهم من سياق الكلام.

وتسهم علاقة (النتيجة/السبب) في ربط النصوص بعضها ببعض بالسياق الذي أنتجت فيه فـ"ابن المقفع" في تلك الأمثلة يبين كيفية تسلسل الوحدات اللغوية والتي أنشئت على سبب عكسي ؛فذكرت النتائج أولا ثم تلتها الأسباب، أي أن العلاقة السببية قد ترد بشكل عكسي، والأمر هنا يتعلق بالمتكلم وعلاقته بمستقبلي الخطاب،والذي يحاول من خلاله استمالتهم بشتى الطرائق حتى يبقيهم مشدودين لأحداث القصص، ومتابعين لتفصيلها.

وقد ارتأى البحث أن يأخذ عيناتٍ من الأمثلة –على سبيل المثال لا الحصر– بُغية تحليل الظاهرة وتبيان دورها في تحقيق الانسجام، لأن هذا الأخير « **يبدأ من تكوين النص ذهنيا، إذ ثمة نسيج فكري يتخلل التراكيب النصية، مما يجعل الجمل مترابطة فيما بينها مكونة بذلك تتابعا متماسكا من الأفكار والمفاهيم والمعاني** » [4].

وهذا التتابع المعنوي مرتبط لا محالة ببناء النص وفق سياق معين، وهذا ما أمكن ملاحظته في "كليلة ودمنة" التي عمد فيها "ابن المقفع" إلى ضرورة التسلسل المنطقي للتراكيب اللغوية وفق تسلسل معنوي ودلالي لها.

**3– علاقة الشرط بالجواب:** يتكون أسلوب الشرط من عبارة الشرط وعبارة الجواب وحروف شرطية تؤدي وظيفة الربط والتعليق (لو، لولا، إذَا، إن، مَنْ، إذْ، متى، أمّا ...) ومثال ذلك:

---

[1] المصدر السابق ، باب ابن الملك وأصحابه، ص 268 .

[2] ابن المقفع، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص 269 .

[4] آمنة جاهمي، آليات الانسجام النصي في خطب مختارة من مستدرك نهج البلاغة للهادي كاشف الغطاء، ص 96 .

« **لو أن رجلا كان عالما بطريق مخوف ثم سلكه على علم به، سمي جاهلا**» [1]

حرف الشرط عبارة الشرط عبارة الجواب

« **فمتى كملت هذه في واحد لم يخرجه النقص في نعمته إلى سوء الحظ من دنيا** » [2]

اسم الشرط عبارة الشرط عبارة الجواب

« **فمتى كملت هذه في واحد لم يتأسف على ما لم يعن التوفيق ببقائه** » [3]

اسم الشرط عبارة الشرط عبارة الجواب

« **إذا أتاك ليفعل ما تقولين، فقولي له لا ألقي ... فإذا فعلت ذلك ... طرت عنك** " [4]

ظرف شرط عبارة الشرط عبارة الجواب ظرف الشرط عبارة الشرط عبارة الجواب

لقد تنوعت أساليب الشرط الواردة في "كليلة ودمنة" ولعل تنوعها راجع إلى اختلاف الحروف والأسماء الشرطية المستعملة؛ هذه الأخير التي تحقق شرطا تداوليا ( شرط الكمية) «**فأداة الشرط اسما أو حرفا ما هي إلا رمز لغوي يدل على استغناء الفقرة عن تركيب لغوي كامل من الفعل والفاعل عادة ومتعلقاته**» [5] من مثل (إذا) التي تدل على معنى (أشترط مستقبلا) أو متى (التي تتعلق بالزمن) . وتتعلق عبارة الجواب بعبارة الشرط من حيث الأسبابُ والنتائجُ؛ فعبارة الشرط تمثل سببا وعلة للجواب ، كما ورد في العبارة الأولى: فمن يسلك طريقا مخوفا وهو يعلم ذلك ،يعلّل تسميتنا له بالجاهل إذ إنّ من معاني لو الشرطية « **عقد السببية والمسببية بين الجملتين بعدها، وتفيد امتناع السبب**» [6] حيث أدت "لو" في المثال المقدم دور الربط بين عبارة الشرط وعبارة جوابها ربطا دلاليا منطقيا حين قدّمت الحجة للوصول إلى النتيجة.

---

[1] ابن المقفع، مقدمة الكتاب، ص 60 .

[2] المصدر نفسه، ص 22.

[3] المصدر نفسه، ص 23.

[4] المصدر، باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين، ص 272.

[5] عمر محمد أبو خرمة، نحو النص، نقد النظرية... وبناء أخر، ص 188، 189.

[6] ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح، عبد اللطيف محمد الخطيب، ج3، ط1، السلسلة التراثية 21، الكويت، 200 ص 367 .

رأينا كيف تم انسجام خطابات كليلة ودمنة وذلك عبر هذه العلاقات الدلالية (الإجمال/ التفصيل) و (السبب/النتيجة) و (الشرط/ الجواب) والتي أفادت كلها في بناء مواضيع كليلة ودمنة من خلال ما حققته من ربط بين مجموعة من الجمل أسهمت إسهاما بالغا في استمرار معانٍ ودلالاتٍ سابقة في جزء أو مقطع نصي لاحق وهذا ما حقق الترابط المعنوي والمضموني على مستوى الخطابات على اختلاف مضامينها.

في آخر هذا المبحث يمكن القول :إنّ مرحلة اكتشاف الاتساق والانسجام في "كليلة ودمنة " كانت مرحلة أساسة لا بد منها للكشف عن معاني الملفوظات التي تضمنها الكتاب، والتي جعلت من نصوصه خطاباتٍ تبليغيةً حيث أسهم الاتساق وبصورة واضحة في تحقيق مبتغى "ابن المقفع" من طريق الإحالة بأنواعها والوصل والحذف والتكرار، وقد لوحظ أن توفر النص على وسائل الاتساق غير كافٍ لتحقيق النصية، إذ لا بد من وجود آليات الانسجام التي تعمل على تشكيل البنية الدلالية للنص حيث أظهر البحث والدراسة انسجام خطابات "كليلة ودمنة" عن طريق العلاقات المنطقية والإجمال والتفصيل، السبب والنتيجة والشرط والجواب حيث عملت كلها على الربط بين أجزاء المدونة على وجه جعلها تكون تبليغية تواصلية ،وهذا ما يبرز إحدى جوانبها التداولية نحو تحقيق أغراض تخاطبية تثير مسائل جمالية ونفسية واجتماعية وحضارية تعبر عن انسجام الخطابات المختلفة "لكليلة ودمنة" مع السياق والموضوع العام .

عرفنا في هذا المبحث كيف يتجلى كل ملفوظ في شكل ومعنىً (ظواهر لغوية) وكيف يتبلور في نصوص تبليغية ، وسيتم التعرف في المبحث اللاحق ، على الظواهر غير اللغوية التي تشكل مرجعياتٍ لهذه الملفوظات والتي تتمثل في الزمان والمكان وضمائر الشخص .

## 2- مرجعيات الملفوظات: Deixis

تعرفها "جان سيرفوني"(Jean Cervoni) على أنها « **علامات تحيل إلى ملفوظيتهـــا ويقال أحيانا إنهـــا تعكسها (الملفوظية )**» [1] ويقصد بذلك أنها تطرح إشكالية العلاقة بين الخطاب والعالم الواقعي، «**فالملفوظية تفرض وجود متحدث (locuteur ) ومخاطَب (Allocutaire) وهي تتموضع في الزمن عند لحظة محددة ... وعاملا الملفوظية (المتحدث والمخاطَب) يقعان في الفضاء ( Espace) أي في مكان معين لحظة حصول الملفوظية** » [2] أي أن الملفوظية تتكفل بدراسة المبهمات ( ضمائر الشخص، الظروف الزمانية والظروف المكانية) وهذا ما يسمح للمتكلم بالارتباط بالواقع.

---

[1] جان سيرفوني، الملفوظية، ص 26

[2] ينظر، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

## 1- ضمائر الشخص:

رأينا في مبحث سابق الضمائر وعلاقتها باتساق النصوص التبليغية،أما الضمائر المقصودة في هذا المبحث فهي بشكل عام الإشاريات الدالة على المتكلم أو المخاطَب أو الغائب. وقد دلت الضمائر عند العرب على معنى التخفي والاستتار « **الإضمار بمعنى الاستتار ليس سوى علاماتٍ يشار بها إلى ما لم يُصرَّح بذكره، وهو بهذا قريب من معنى الحذف**» [1] وهذا يعني أن هناك قدرة لغوية (عبارة لغوية معينة) تشكل مرجع الأشياء المشار إليها تقول أوركيوني"(**C.K.Orecchioni**«**الضمائر هي تلك الوحدات اللغوية التي يستلزم عملُها المرجعي الدلالي** (**Semantico-référentiel**) **الاهتمام ببعض العناصر المكونة لحال الحديث بالإضافة إلى الدور الذي يؤديه فاعلوا الخطاب والحالة الزمانية والمكانية للمتلقي**»[2] ويمكن أن نكتشف من خلال "كليلة ودمنة" طريقتين من طرائق التلفظ لتعيين الأشخاص في خطاباتها جعلتنا نحددهم عن طريق الخطاطة التالية:[3]

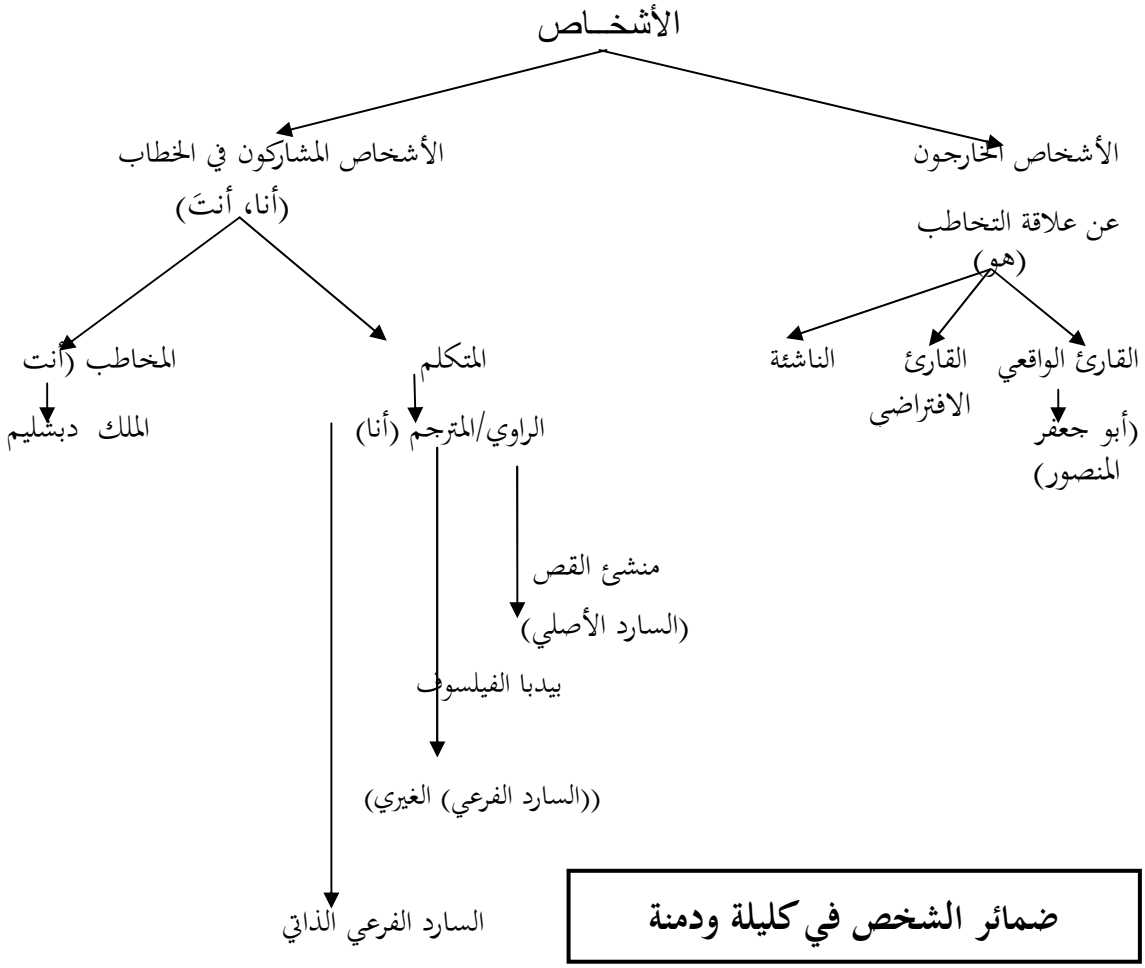


[1] محمد عبد الله جبر، الضمائر في اللغة العربية، دار المعارف، مصر، ص 12 .

[2] جان سيرفوني،الملفوظية،ص26

[3] ينظر، ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 160

لقد تداخلت خطابات "كليلة ودمنة" إلى درجة صعوبة معرفة المتكلم الحقيقي؛ إذ تعددت الأصوات المتحدثة، وكأننا أمام نص بوليفوني Polyphonie مثلما يُطلق ذلك تودوروف(Tisivitan.todorov) على أي نص سردي متعدد الأصوات [1] وهذا ما يجعل النموذج التلفظي لكليلة ودمنة معقدا، يقتضي علينا تتبع الممارسة التلفظية من خلال الأشخاص المشاركة في عملية التخاطب وغير المشاركة فيه.

فالمتكلم في "كليلة ودمنة" متكلمون؛ فهناك " منشئ القص" (السارد الأصلي) وهو على حسب اعتقادنا "بهنود بن سحوان" مثلما نقل إلينا ذلك مترجم كليلة ودمنة، إلى العربية ، وهو "ابن المقفع" حيث قال في مقدمة الكتاب « **قدمها بهنود بن سحوان ويعرف بعلي بن الشاه الفارسي ذكر فيها السبب الذي من أجله عمل بيدبا الفيلسوف الهندي رأس البراهمة لدبشليم ملك الهند كتابه الذي أسماه "كليلة ودمنة"**» [2]

ثم يضيف مترجم الكتاب أن " بزرجمهر" قد وضع بابا مفردا يسمى " باب برزويه الطبيب"، وذلك على لسان علي بن الشاه الفارسي، ودليلنا على ذلك أنه يقول (المترجم ابن المقفع): « **قال علي بن الشاه الفارسي كان السبب الذي من أجله وضع بيدبا الفيلسوف لدبشليم ملك الهند** ... » [3] ويستمر علي بن الشاه الفارسي في سرد وقائع وحيثيات كتابة كتاب "كليلة ودمنة" دون التعبير عن نفسه بضمير الأنا، وكأنه لا يشارك في أحداث الحكاية، إنه متعالٍ عن عالمه التخيلي الذي ينشأ بعملية السرد أين يذوب السارد بالمسرود أو بتعبير "تودوروف" الرؤية المصاحبة ( La Vision avec) وهو ما يسمى السارد الغيري لأنه يقص حكاية غيره [4] إذ نجده يتحدث عما قاله " بيدبا" الفيلسوف لتلاميذه « وقال: **أتعلمون ما أريد أن أشاوركم فيه** ... » [5] ولهذا يتفرع عنه سارد آخر هو الفيلسوف " بيدبا " نفسه الذي نجده يتكلم بصيغة " الأنا " مرة ويسرد على "دبشليم"الملك حكايا غيره في العديد من المرات ،ومن أمثلة حضور الأنا في خطابات " بيدبا " « **إني وجدت الأمور التي اختص بها الإنسان من بين سائر الحيوان أربعة أشياء ... كان أولى ما أبدأ به من الأمور** ...» [6] ، وعندما تكفل " الأنا " هنا بالخطاب السردي (الملفوظ) نجده قد قدم حكما شخصيا

---

[1] تيزيفيتان تودوروف، باختين، المبدأ الحواري، فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دار الفارس ،ط2 ، عمان، الأردن، 1996، ص 17 .

[2] ابن المقفع، مقدمة الكتاب، ص 3

[3] المصدر نفسه، ص 4

[4] ينظر ، عبد المالك مرتاض، أدبية الحكاية المثلية في كليلة ودمنة، ص 99.

[5] ابن المقفع ، مقدمة الكتاب، ص 8

[6] المصدر نفسه، ص 15 .

وأثبته في قوله ( إني وجدت، ما أبدأ به) ولعل ضمير " الأنا " يؤدّي دورا مهما في تحويل اللغة إلى ممارسة ونشاط فردي لما تستعمل، بحيث إن المتكلم حين يملك اللغة ويتحكم فيها فهو يجعلها من إمكاناته، وينصّب نفسه في مرتبة عالية ضمن العملية التخاطبية، وكما لاحظنا في خطابات "كليلة ودمنة" فالضمير " أنا " لا يُتحدَّث به إلا لشخص ينصّبه أمامه مثلما تحدث" بيدبا "الفيلسوف لتلاميذه، يقول ما نغينو " (D.Mangeneau)عند استعمال " أنا " و " أنت" «... **فكل متكلم يرجع نظام اللغة لفائدته، فـ"أنا" و "أنت" ليسا علامات لغوية لنمط خاص من المبهمات ( الضمائر) إنها قبل كل شيء عوامل تحويل اللغة إلى الخطاب** » [1]

وليس شرطا أن نجد ضمير " الأنا" حاضرا في كل حين « **لأنه يعول على وجوده بالقوة في كفاءة المرسل إليه، وهذا ما يساعده على استحضارها لتأويل الخطاب تأويلا مناسبا**» [2] فلما يتلفظ المتكلم "بيدبا" بقوله: «**كان بأرض ( دستاوند) رجل شيخ** ...»فإن قوله يتضمن بعدا إشاريا هو:« **أنا أقول كان بأرض دستاوند** ...» ما يدل على حضور الأداة الإشارية (أنا) في ذهن المرسل إليه هو إحالته لفظاعلى المرسل عندما ينقل هذا الخبر إلى غيره من الناس. وقد يتحدث المخاطِب بضمير الجمع (ويمكن تسميته أنا الجمع) رغبة منه في جعل خطابه (ملفوظه) أكثر شرعية كما ورد في قول " إيراخت " للملك " بلاذ" « **أيها الملك لا تجزع فنحن لك الفداء** » إذ يشير الضمير إلى بعد ثقافي بإحالته لغويا، على جمع، رغم أن المرسل مفرد (إيراخت).

ويمكن تلخيص أشكال ورود ضمير الأنا في خطابات " كليلة ودمنة" بالشكل التالي:

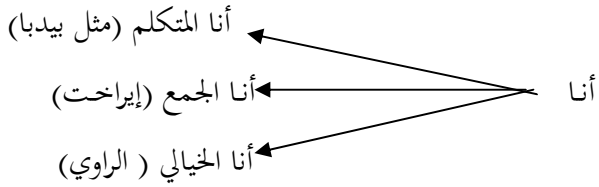


يظهر الشكل السابق اختلاف توظيف ضمير الأنا إذ إنه يحيل على شخصية المتكلم نفسه، ويمكن أن يحيل أنا على متخاطبين آخرين، فيمكن أن أتحدث ولكن باسم آخرين قصد تمثيلهم لأن القضية المطروحة مشتركة، وأخيرا يمكن أن يحيل أنا على المتكلم الذي يتخذ بإزاء شيء ما مسافة وبعدا فيتخذ موقع الراوي الخيالي،وغير بعيد عن السارد الفرعي الغيري، نلتقي بسارد فرعي ذاتي تقوم فيه شخصيات الحكاية بدور تسيير أحداثها من خلال قص إحدى تلك الشخصيات حكاية قامت بدور في تسيير أحداثها ونذكر على سبيل المثال شخصيات مثل الناسك واللص الذي ضربه" كليلة" لأخيه "دمنة"، «**قال كليلة: زعموا أن ناسكا أصاب من بعض الملوك كسوة ... فأتى الناسك وقال له: إني أريد أن أصحبك فأتعلم منك وآخذ عنك**» [3].

---

[1] Maingueneau, Approche de l'énonciation en linguistique francaise, Hauchette,Paris, 1981 ; P34

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 82 .

[3] ابن المقفع، باب الأسد والثور، ص 90 .

يعتبر كل من الناسك واللص ساردا ذاتيا لأنه يحرك أحداث القصة ويفعل فيها مباشرة على عكس" كليلة " الذي يعتبر ساردا فرعيا غيريا لأنه يسرد حكاية غيره.

هذا وتنسجم عبارة (زعموا) مع التسلسل الزمني للأحداث المسرودة أين يصطنع الراوي ضمير الغائب فكأنه يقابل ما يطلق عليه " تودوروف " الرؤية من الخلف" La vision par derrière" أين « **يكون الراوي عارفا أكثر مما تعرفه الشخصية الحكائية، إنه يستطيع أن يصل إلى كل المشاهد عبر جدران المنازل، كما أنه يستطيع أن يدرك ما يدور في خلد الأبطال**» [(1)] ولأن الحكمة تنبع من الماضي، نجد السارد الفرعي الغيري يستشهد بأقوال العلماء والحكماء ممن سبقوه يقول: « **وقد قالت العلماء ... أفضل خلة العلماء السكوت ... قال ملك الروم ... قال ملك الصين ...**» [(2)].

«**ولا يدل ضمير الغائب في (زعموا) إلا على نفي الوجود التاريخي، لأجل إثبات الصفة الخيالية الخالصة للعمل الأدبي عامة والسردي خاصة**» [(3)]

أما عن الشخص المعني بالحديث والذي يخرج عن علاقة التخاطب فيدعى بالضمير الغيبي ( Absent ) ووجوده ضروري ومفروض « **نتعرف عليه ضمنيا تارة، وبتصريح المخاطِب به تارة أخرى**» [(4)] ويتكفل السياق اللغوي بترجمته إن كان ضمنيا، فمَا كليلة ودمنة وغيرها من الشخوص –حيوانية كانت أو إنسانية– إلا أقنعة لبيدبا الحكيم، وابن المقفع، فعموما يمكن القول إن " ابن المقفع" يشاطر بيدبا في كل ما ذهب إليه على اعتبار أن الظروف السياسية والاجتماعية متشابكة لكليهما وعليه كان يشاطره في مقاصده.

وهذا يقر بأن ضمير الغائب يقتضي في الأمر الاستعانة بمرجعيته عكس (أنا وأنت) اللذان يستغنى فيهما عنها يقول "بنفنست"(Beneveniste) « ... **إن الفرق بين " أنا" و" أنت" و"هو" يكمن في أن هذا الأخير (هو) يحتاج إلى محتوى مرجعي يحدد التحديدات المصاحبة للنص، التي قد تستغني عنها "أنا" و"أنت"** » [(5)]

---

(1) حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، بيروت، 1991، ص 47 .

(2) ابن المقفع، مقدمة الكتاب، ص 14، 15 .

(3) ينظر، سارة قطاف، الخطاب السردي في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع، مقاربة تداولية، ص 82 .

(4) ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 159.

(5) Beneveniste, Problème de linginstique générale, Tome 2,Gallimard, P233 .

وقد يُلجأ إلى انتخاب الاستراتيجية الإيحائية في مثل مواقف " بيدبا" و" ابن المقفع" رغبة في التهرب من مسؤولية الخطاب والتي شكلت ازدواجية احتواها خطاب بيدبا التي تبناها ابن المقفع بجدارة وجعلها تخدم مقاصده على ألسنة الحيوانات أو القارئ الواقعي (أبو جعفر المنصور).

إذن يتضح من تداخل مختلف علامات الشخص في خطابات كليلة ودمنة تشكل ما يدعوه " مانغينو" نقطة القوة التخاطبية coup de force discurative وهي التي تجعل حكاياه (الكتاب) خطابا موجها مثيرا لردود أفعال مختلفة قد تكون ناجحة مثلما حدث مع " بيدبا " الذي تبوأ مكانة رفيعة عند الملك " دبشليم" أو فاشلة مثلما حدث مع " ابن المقفع" الذي قُتل، ورغم ذلك يبقى كتاب "كليلة ودمنة" محافظا على غايته الإصلاحية لأوضاع سياسية واجتماعية سائدة تنتفع منه الناشئة على مر الأزمنة والعصور.

## 2- الزمان والمكان:

إن الحديث عن مفهوميْ الزمان والمكان وتجلياتهما في كليلة ودمنة سيندرج ضمن الحديث عن علاقة المتكلم بالسياق الذي يجري فيه الخطاب . وتحديده سيخضع لشروط ترتبط بالمتكلم وقد أشار " بنفنست" إلى الزمن في إطار حديثه عن علاقة المتكلم بالزمن [1] .

فلا يمكننا فهم أي نوع من الخطابات بين متكلم ومستقبل إلا بالعودة إلى ظروف إنتاجها وهي الظروف الزمانية والمكانية ويمكن اعتبار لحظة التلفظ هي المرجع الأساس لفهم النصوص « **ومن أجل تحديد مرجع الأدوات الإشارية الزمانية، وتأويل الخطاب تأويلا صحيحا يلزم المرسل إليه أن يدرك لحظة التلفظ، فيتخذها مرجعا يحيل عليه** » [2] ولمعرفة لحظة التلفظ في "كليلة ودمنة " ارتأى البحث ربطها بالزمن التاريخي لتأليفه ،هذا الأخير يعد غامضا لتعدد واختلاف الآراء حول أصل الكتاب، فيؤدي هذا بالضرورة إلى تعدد الأزمنة التي أُلّفت فيها الملفوظات، ولعل المخرج المناسب من هذه المتاهات الزمنية هو الأخذ بمقولة إن "ابن المقفع" هو المترجم للكتاب إلى العربية وكان ذلك سنة 750 م [3] وقد أضاف إليه زيادات من أصل عربي حيث إنّه عدل بعض الأبواب في أثناء ترجمتها ، فبدت مخالفة لأصلها مثل "باب برزويه الطبيب" و"باب الفحص عن أمر دمنة" بما فيها من روح إسلامية إضافة إلى " باب الناسك والضيف" ومثل " الفيل والقنبرة" [4] إلا أن هذه التغييرات

---

[1] Beneveniste, Problème de linginstique générale, P70 .

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 83 .

[3] ينظر، رمضان عزيز نجاد، كليلة ودمنة وأنوار السهيلي، دراسة مقارنة، بيروت ، 1967، ص 43 .

[4] ينظر، عبد الله بن المقفع، كليلة ودمنة، ت ح، محمد أمين فرشوخ، دار الفكر العربي ، ط1، بيروت، 1990، ص 17 .

لم تكن وليدة العبث، بل كانت لها مقاصدها المستوحاة من السياق التاريخي الذي عاش فيه "ابن المقفع" فقد كان يدرك من جبروت المنصور ما لا يدركه غيره ،وقد صَعُبت عليه مواجهته بالحقيقة ونقده نقدا صريحا لا تلميحا. وقد كان العصر يروي أحداثاً تميزت بسقوط الدولة الأُموية (192 هـ) وتنافسِ الهاشميين والعباسيين على الاستئثار بالحكم والسلطة، وانتشر الظلم في الأوساط. فترجم "ابن المقفع" " كليلة ودمنة" وأراد من خلاله تبني فلسفة " بيدبا" الفيلسوف نظرا لما وجده فيه من حكمة هو بحاجة إليها لتهديم الوضع السائد في زمانه والناتج عن فساد الحكم .

ذاك كان الزمن الخارجي المرتبط " بابن المقفع"، أما زمن النص الداخلي فهو زمن ماضٍ يمكن أن تلخصه عبارة "زعموا" التي هي صيغة تدل على غياب صوت المؤلف الحقيقي، أو بالأحرى أسند الراوي ذلك الزّعم إلى ضمير الجمع الغائب، يكشف زمنيا عن جماعة عاشت قبل "بيدبا"، لأننا نجد الحكمة دائما تنبع من الماضي. وقد تؤدي هذه العبارة " زعموا" إلى نفي الوجود التاريخي وإثبات الصفة الخيالية الخالصة للعمل الأدبي وهذا يدل على احتمال الأحداث المذكورة للصدق والكذب فالزمن الذي حدثت فيه يكون موجودا أو غير موجود.

ولعل ربط الزمان بالفعل والتعبير عنه يعني تموقع الحدث السردي على محور الزمن ، هذا الحدث الذي لا يحدد ضمن الزمن الطبيعي ولا ضمن الزمن الداخلي، ولكن ضمن زمن الحديث أو الزمن اللغوي انطلاقا من خطابات "كليلة ودمنة" وتجلى هذا الزمن في الحاضر الذي يشكل مرجعيته، فكلما استعمل "ابن المقفع" الصيغة النحوية الدالة على الحاضر كان هدفه جعل الحدث متزامنا لحال الخطاب مثل : « اليوم أرجو أن تزداد منزلتي عند الأسد ... ولكن ألتمس أن أعود إلى ما كنت عليه ...» [1] ، أما الماضي والمستقبل فمتعلقان به *.

أما أغلب الأحداث التي رواها "ابن المقفع" على لسان راويها الأصلي فقد صاغها في الزمن الماضي، إلا أن صفة المثل فيها تجعلها ممكنة الحدوث في أي زمان ومكان.

وحتى نستخرج المبهمات الزمانية من "كليلة ودمنة" لا بد من البحث عن القرائن الدالة عليها، والتي يكون الزمن الذي يتحدث فيه المتكلم هو محور ترتيبها. ويمكن تصنيفها حسب ما وردت في " كليلة ودمنة " حسب الجدول الآتي [2] :

---

[1] المصدر السابق، باب الثور والأسد، ص 94 .

* زمن الحديث كما يسميه " بنيفنست" هو الحاضر أما الأزمنة الأخرى (الماضي بتفرعاته والمستقبل ) فتحديدها يتم من خلال علاقتهما بالحاضر ، ينظر :

Beneveniste, Problème de linginstique générale, P 73

[2] ينظر، عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف ، ط1،الجزائر، 2003، صر82

| | الظروف المبهمة | الظروف غير المبهمة |
|---|---|---|
| **التزامنية** | " الآن جاء الجد " ص 209<br>" ليومنا هذا " ص 264 | " في ذلك الزمن " ص 258 |
| **القبلية** | / | " في ذلك اليوم " ص 226<br>" قبل ذلك" ص 182 |
| **البعدية** | فلما كان من الغد (ص227)<br>" بعد اليوم " (ص128)<br>" سبعة أيام" (ص238) | "وفي اليوم الموالي" ص 267 |
| **الحيادية** | إذا كان يوم من الأيام (ص214)<br>فبينما هو ذات يوم (ص192)<br>عمل يوم واحد (ص264)<br>وأنا اليوم شريكك (ص207) | " في يوم آخر " ص 183 |

يلاحظ من الجدول توفر مجموعة من المبهمات الزمانية في قصص كليلة ودمنة ، والتي يُرجع فيها المتكلم اللغة لنفسه فيتضح من خلاله معالم بعض الشخصيات ونعرف كذلك مدة سير أحداث كل قصة مثلما يقول ابن المقفع: «**عمل يوم واحد**» في قصة ابن الملك وأصحابه إذ اختبر الأصدقاء بعضهم بعضا في البحث عن قوت يوم واحد وذلك باختلاف مصادر الرزق (عمل، جمال، جاه وقضاء وقدر ) . فهذا المؤشر الزماني يخبرنا عن مدة وقائع القصة وذلك بربطه بالسياق يقول : "أوبر سفيلد"(**U.Bersfeld** ) « **إن الحديث عن التحديدات النصية للزمن لا معنى له إذا كانت معزولة ... فما معنى أن تقول : إنها السادسة أو هذا الصباح : إن الدال الزمني لا يأخذ معنىً إلا بارتباطه بدال آخرَ** » [1]

إذن تحديد هذه الأزمنة لا يمكن أن يكون سوى اللحظة ذاتها لإنتاج الملفوظ، لاسيما أن الحاضر هو منبع الأزمنة، وتجدر الإشارة إلى أن الحاضر في هذا النمط من الكلام ليس هو الحاضر الذي تتحدث فيه الشخصية. بل هو الحاضر الذي يُقرأ فيه نص "كليلة ودمنة"، أين يكون في وضعية تداولية مقيدة بسياق قصصي، حيث إنه –وعلى حد تعبيرِ– "جاك موشلر"(**J.Moeshler**) و " آن روبول"(A.Reboul) :« **فيما يخص القصة فثمة فضاءان ذهنيان تربط بينهما وظيفة تداولية هما فضاء الكون المروي (فضاء زمني) والفضاء المسار (فضاء مكاني)، ففضاء الكون المسرود هو الفضاء الذي تتحرك فيه شخصيات الحكاية بينما الفضاء المسار هو الفضاء الذي ينتقل فيه السارد والقارئ».** [2] يُظهر لنا القول بأن وظيفة الفضاء المكاني هي تمكين القارئ من تبيّن موضعه من الحكاية وذلك لما

[1] Anne, U.Bersfeld, lire le théatre, éme édition, Edition, editions sociales, Paris, P 205 .

[2] جاك موشلر، آن روبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص 487 .

يشارك في الخطاب فتكشف حقيقته النفسية عن وجود عدد كبير من الاستعارات الفضائية التي تنظر إلى الحكاية على أنها مسافة ، وهذا ما يوضحه قول ابن المقفع على لسان الغيلم : « **وأين قلبك الآن ؟** »[1] .

فلفظة "الآن" في القول السابق تمكن من المرور من فضاء الكون المروي إلى الفضاء المسار؛ لتشير إلى مكان تواجد القلب في الوقت الحالي وهذا ما يكشف عن وجود علاقة بين الفضاء المسار والمكون المسرود وذلك من خلال إمكانية إدراج مشيرات مكانية في مجريات الملفوظ السردي.

وإن ما قيل عن زمن الخطابات في "كليلة ودمنة" والذي يتأسس من اللحظة التي يتكلم فيه شخص من شخوص القصص، ينطبق على المكان في أثناء التعبير الخطابي . إذ إن دلالته المرجعية لا تتجلى إلا من خلال تلك النقطة في الفضاء الذي يتحقق فيه الملفوظ، حيث لا يكاد يبدأ المؤلف في سرد أية حكاية إلا يوصف المكان الذي تجري فيه وقائعها، وتسميته وإما أن يكون المكان نسبيا غامضا مثل: منزل، شجرة، جبل، أرض كثيرة المياه والعشب، رأس نخلة ... ولعل هذه العمومية في ذكر الأماكن هي ما تصف كليلة ودمنة بالإبهامية حتى تكون توجيهاتها صالحة لكل زمان ومكان.

وأحيانا نجد " ابن المقفع " يذكر أسماء بعض الأماكن تتراوح في الأصل بين الفارسية والهندية ومثال ذلك : «**زعموا أنه كان بأرض سكاونتجين ...كان منزلي أول أمري بمدينة (ماروت) ...**»[2]. وقوله :«**فلما قربوا من مدينة يقال لها مِطرون**»[3]

عند مدينة داهر.

ولعل هذه الأماكن الفارسية والهندية توحي بأن المكان الأصلي لتأليف كليلة ودمنة هو الهند وبلاد فارس لأن ابن المقفع فارسي الأصل وقد أضاف وعدل بعض الأبواب ، لأنه كان يود من ترجمته للكتاب تضمينه ببعض التوجيهات للحكام والسلاطين الجائرين على رعاياهم في العصر العباسي.

وقد يكتفي الراوي بذكر المكان على وجه العموم فيقول على سبيل المثال: « **فقال لها هذا المكان لي... في مكان كذا** »[4] تقول " أوركيوني" ( Orechioni ) « **يمكن النظر إلى الإطار المكاني من خلال**

---

[1] ابن المقفع، باب القرد والغيلم، ص 194

[2] المصدر نفسه، باب الحمامة المطوقة، ص 149، 155

[3] المصدر نفسه، باب ابن الملك وأصحابه،ص264

[4] المصدر نفسه، باب البوم والغربان، ص 174

**مظاهره الفيزيائية البحتة، تحديد المكان من حيث كونُه مغلقا أو مفتوحا، عاما أو خاصا، واسعا أو ضيقا... وكيف يتم التخاطب وجها لوجه، جنبا لجنب، والمسافة الفاصلة بينهما»**[1].

وهذا ما يمكن إسقاطه على عالم الشخوص الحيوانية التي كانت تمارس خطاباتها في أماكنها التي تختلف باختلاف صنوفها (ساحل، بحر، جحر، أجمة...) .

وقد أمكن استنتاج أن : "ابن المقفع" يستند في تحديده للمرجع المكاني في أثناء التلفظ إما إلى التسمية أو الوصف من جهة أولى، وإما بتحديد أماكنها من جهة أخرى، وهذا لا يكفي ( بالرغم من اكتمال الخطاب لغة وبالرغم من معرفة المرسل إليه (الأسد في مثال: هذا المكان لي)) –على حد تعبير "عبد الهادي بن ظافر الشهري"– لأنه يصعب على المرسل إليه تحديد موقع المرسل[2]. ولذا وجب معرفة مكان التلفظ واتجاه المتكلم ولا يُعوَّل على إشاريات المكان فقط لأنه قد يقود استعمال هذه الأخيرة في غياب الدقة في التحديد عند التلفظ إلى اللَّبس.

وفي الأخير يمكن القول إن عنصريْ الزمان والمكان هما شيئان داخليان في أي نص إبداعي، وهما شكلان من أشكال الروح الإبداعية التي قد يختفي ملمحها ويضمحل صداها ويتيه ،ولكنها تبقى تتجدد كالعود الأبدي في كل ذرة من ذرات كيان القارئ ، فالمكان حامل لدلالات ثقافية ولغوية مرجعية نسقية ،أحيانا، وتخيلية معرفية أحيانا أخرى ،ولذا يُستنتج أن الوظيفة الجمالية للزمان والمكان تعد في جوهرها معرفة جمالية إذا ما بحثنا في علاقاتها بالعالم العام الذي أنتجها والعالم الخاص بخيال المؤلف الذي نَظَمَها .

وفي نهاية هذا الفصل يمكن الخروج بمخطط مختصر لكل ما ورد من تفصيلات تخص معنى الملفوظات في "كليلة ودمنة" ومرجعياتها التي تساهم في تحقيق العملية التلفظية الناجحة :

---

[1] C.K Orechioni, Les interactions verbales, P 68.

[2] ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب، ص 84 ، 85

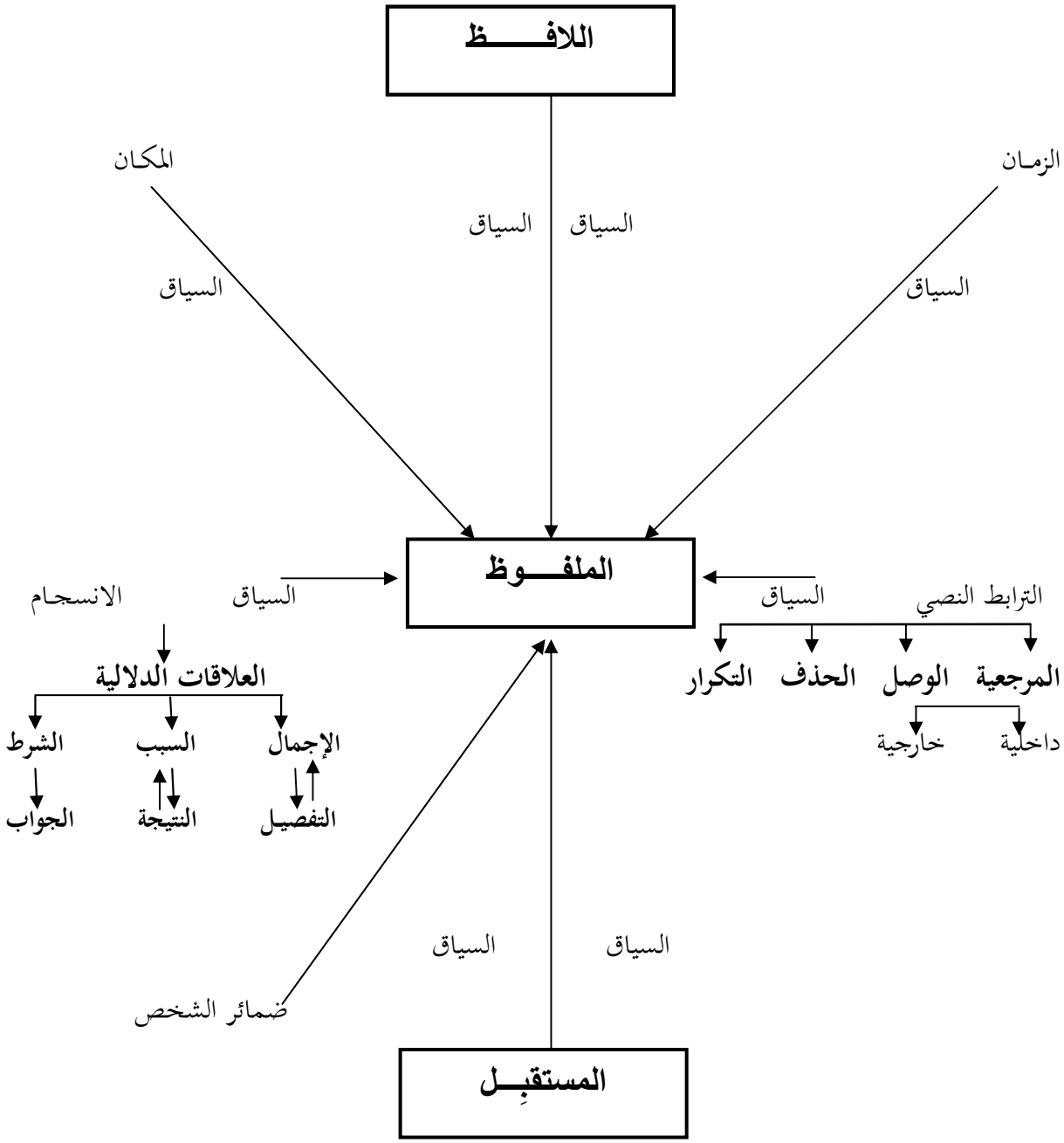


## مخطـــط العمليـــة التلفظيـــة

يظهر المخطط البيانـي السابق أن عملية التلفظ في "كليلة ودمنة" تنطلق من اللافظ ( ابن المقفع / بيدبا) الذي يتدخل كطرف في العملية التي شكل فيها الملفوظ (خطابات كليلة ودمنة ) المصطلح المركزي لنجاح العملية التلفظية، وقد رأينا كيف توفرت خطابات الكتاب على ترابط نصي وانسجام جعلها تكون نصوصا تبليغية بالدرجة الأولى. وكان هذا كله في سياقات تلفظية متعددة تشكل ما يسمى بمقام التلفظ. أما المستقبل (دبشليم،

أبو جعفر المنصور أو القارئ الافتراضي) فهو الطرف الثاني في العملية التواصلية التلفظية يمكن أن يصبح متكلما بفضل الخاصية التناظرية للخطاب، وبتوافر الشروط أو الظروف التي تتحقق ضمنها العملية التلفظية وهي الزمان والمكان وضمائر الشخص.

ويبين المخطط كذلك أن العملية التلفظية لم تُغفل دور السياق، فبتتبعه كعنصر يساعدنا على الوصول إلى أغراض ومقاصد "ابن المقفع" الذي عاش في فترة زمنية لا تخلو من وجود أوضاع اجتماعية وسياسية خاصة تدفع منشئ الخطاب (ابن المقفع) إلى إجادة تخير الاستراتيجيات الناجحة للتعبير عن هذه الأوضاع دون التصريح والمساس بأصحاب الحكم.

والمتكلم لا يكتفي بالمبهمات (ضمائر، زمان، ومكان) حتى ينجز عملية تلفظية ناجحة ومستمرة بل لابدّ من الاستناد إلى بعض الآليات المنظمة للخطاب من افتراض مسبق وأقوال مضمرة واحتجاج ووظائف تداولية والتي يلجأ إليها المتكلم عندما يأخذ الكلمة معلنا عن مرتبته كمتكلم منصّبا في ذات الوقت شخصًا آخرَ أمامه وهذا ما سيتم تقديمه في الفصل الأخير.

# الفصل الأخير:تحليل أبواب كليلة ودمنة حسب نظرية التداولية التحاورية

**I-أبرز عناصر الخطاب التواصلي التحاوري في كليلة ودمنة**

**1-المرسِل**

**2-المرسَل إليه**

**3-السياق**

**II-مبادئ وآليات الإجراء التداولي لتحليل خطاب "كليلة ودمنة**

1- القوانين ( المبادئ)
2- الأدوات التداولية الإجرائية في خطاب كليلة دمنة
3- الوظائف التداولية
4- آليات الحجاج البلاغية في كتاب كليلة ودمنة

**تحليل خطابات كليلة ودمنة حسب النظرية التحاورية:**

إنّ المقارباتِ الخطابيةَ باختلاف أطيافها البحثية تشير إلى علاقة وطيدة متعددة الأبعاد بين العبارة والخطاب وطُرحت في ظل هذه العلاقة مجموعة من المحددات والمفاهيم،التي تشير إلى أبعاد هذه العلاقة والمؤثرات التي تحكمها ويتحدد التوجه التحاوري للتداولية بوصفها المسار الذي يدرس المعنى في ضوء علاقته بموقف الكلام حال استخدامه وتلقيه، وتبحث عن الفعل المنجَز من الكلام وعلاقته بالمستخدم في إطار تواصلي ويتمثل الاشتغال النصي التداولي في "كليلة ودمنة" بقضية البحث عن المعنى ومعرفة قضية المتكلم (ابن المقفع) وأفعال الكلام في إطار خطابي تواصلي، ويمكن تحديد أهم ما ساهم في تحقيق الهدف التبليغي التواصلي لكليلة ودمنة تداوليا وحسب النظرية التحاورية من خلال جملة من العناصر أسهمت في نجاح العملية التواصلية، وسيتم الاشتغال على عناصر لعل أهمها: **المرسِل** وذلك من خلال وسائله اللغوية التي استخدمها استخداما ملائما آل من خلالها إلى النجاح في التبليغ، **المرسل إليه** وما له من دور كبير في إنتاج الخطاب لأن المرسل يضعه في الحسبان في أثناء تأليفه للخطابات إن لم نقل يأخذ الاهتمام الأوفر في العملية الإنتاجية وهذا ما يحقق الحركية التواصلية ،كما سيدرس هذا الفصل مدى التفاعل الناتج بينهما ( المرسل والمرسل إليه) والذي لا يمكن أن يتم إلا بوجود " **قدرة تواصلية**" تُمكّن من معرفة قواعد الاستعمال بين طرفي العملية التحاورية وتطبيقها تبعا لمتطلبات السياق وللمرامي التي يريد بلوغها المتكلم، وهذا ما تهتم به النظرية السياقية ( la théorie contextuelle )، فهي تهتم بكل ما يحيط بالحدث اللغوي من ظواهر غير لغوية ( المقام، المتكلمين، وحيثيات الاستعمال ) وأثر ذلك في استخلاص المعنى من النص، في حين أن النظرية التي تهتم بالقدرة التواصلية (la compétence communicative) كوسيلة لاستقصاء المعنى في شكله المطلوب؛فهي نظرية الاستلزام الحواري (conversationnel Implicature) ، ذلك أن أصل الخطاب حسب ما تفترضه هذه النظرية وجود قوانين خاصة يلتزم بها المتكلم بالكيفية التي يتطلبها الغرض، متسما بذلك الإبانة قدر المستطاع لتحقيق المقصود الحواري، غير أن المتكلم عادة ما يخرق محاور هذه المحادثة ويتوسّل لإدراك المعنى بغرض أداءٍ لغوي غير مباشر، أو مستلزَمٍ من مقام خطابي آخرَ يتقصّده المتكلم سعيا نحو خلق الدلالة المتضمّنة من القول فيما يعرف بالأدوات الإجرائية للتحليل التداولي (متضمنات القول، الافتراضات المسبقة، الأقوال المضمرة) فضلا عن مبادئ وقوانين التحليل التداولي لـ"دومنيك مانغينو"(D.Mangueneau) هي مبدأ التعاون،وقانونيْ الصيغة والتفاعل وبعض الوظائف التداولية لأحمد المتوكل ( وظيفة المبتدأ، الذيل...)

وسنحاول في هذا الفصل الإجابة عن تساؤلات تتعلق بما نقدم من محاور تشكل صميم التداولية التحاورية ،وذلك من خلال نماذج مقدمة من تحليل قصص "كليلة ودمنة" وسنكشف من خلالها عن جمالية وبلاغة كل مبدأ تداولي.

## I- أبرز عناصر الخطاب التواصلي التحاوري في كليلة ودمنة:

إن التواصل في أبسط مفاهيمه هو عبارة عن إلقاء جانبين لأقوال،بغرض إفهام كل منهما الآخر مقصودا معينا ،وقد تمت الإشارة في الفصلين السابقين إلى أن هذا الإلقاء للأقوال لا ينفك عن أفعال مخصوصة يأتي بها الجانبان،بغرض إنهاض أحدهما الآخرَ للعمل وفق هذا المقصود ،وهذا ما يشكل -على حد تعبير- "عبد الهادي بن ظافر الشهري" محاور ثلاثة هي: « **أن الخطاب يجري بين ذاتين، وأنه يعبر به المرسل عن قصده، وأنه يحقق هدفا**[1]» وهذه المحاور الثلاثة هي التي تشكل معايير تصنيف الاستراتيجية التي يراعيها المرسل عند إنتاج خطابه وغرضنا في هذا المبحث أن يُنظر في الضوابط التبليغية التي تخص طرفي التحاور وعناصر العملية التواصلية ككل ،وذلك في نماذجَ من قصص كليلة ودمنة.

### 1-1- المرسِل:

إن للمتكلم ( المرسِل) دورا بارزا في العملية التواصلية، بوصفه منتج الخطاب وباعثه، ولأن حضوره يتطلب حضور مكونات العملية التواصلية الأخرى، وهو الوحيد المحدد لدلالات الخطاب لأن المعنى في الكثير من الحالات مرتبط بما ينويه وما يقصده، وإننا لنجد البلاغة تركز في وظيفتها الأساسة( وهي الإقناع) على المتكلم « **فهو طرف أساس في عملية الكلام، وعنصر فعال في تحديد خصائص النص، إذ يقع على عاتقه كلفة إخراجه على سمت يستجيب لمقتضيات الوظيفة والإبانة والوضوح**»[2] فكثيرا ما يختار المتكلم الآليات التي يوظفها في خطابه لأجل إنجاح ما يريد إيصاله إلى السامع، وذلك بتنظيم المتكلم للمعلومات التي يريد أن ينقلها إلى المتلقي، بحيث يثري هذا التنظيم الحالة الإدراكية للمتلقي وفق طرحه لمجموعة من التصورات أو الوضعيات التي يريد معالجتها في سياق اتصالي محدد. ونص كليلة ودمنة يعتبر خطابا مزدوجا تتداخل فيه أقوال "بيديا" الفيلسوف بأقوال "ابن المقفع" فتندمج فيه مقاصدهما، ولذلك نعد كلا من "ابن المقفع"-كمترجم للكتاب-و"بيدبا" الفيلسوف-المجيب عن تساؤلات دبشليم- المرسِلَيْن لخطابات كليلة ودمنة، فهذه الازدواجية تنال القَبول لأن "ابن المقفع" يتبنى استراتيجية بيدبا في الإقناع والتأثير على الملك " دبشليم" ،تلميحا دون اللجوء إلى التصريح

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 86.

[2] رشيد بلحبيب، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى، ص 10.

لاختلاف بيئتيْهما؛ فـ"ابن المقفع" كان في وضع لا يحسد عليه في عصر الخليفة المنصور، أما "بيدبا" فقد نجا من ورطة كادت تودي بحياته لولا تَفكّر الملك "دبشليم" في كلام "بيدبا" الحكيم وإعادة النظر فيه وإقراره بخطئه معه ودعوته إلى أن يكون فيلسوفه وحكيمه المقرب ،لما وجده عليه من رجاحة عقل وسداد رأي ويمكن القول إن إسداء "بيدبا" للنصيحة لم يكتب له النجاح لو لم يبنِها على أساس استراتيجية محكمة، وسيبين البحث الوسائلَ اللغوية وغير اللغوية التي استطاع بها "بيدبا" تحقيق حركية تواصلية ناجحة، وما الأسباب التي حالت دون نجاح "ابن المقفع" في تحقيق مقاصده مع حكام عصره على الرغم من تبنيه للاستراتيجية التلميحية، إلا أنه يحقق نجاحا تواصليا مع مخاطَبين آخرين، نظرا لطبيعة الكتاب الأخلاقية التهذيبية من جهة ،والترفيهية المسلية من جهة أخرى، فالكتاب موجه للحكام والسلاطين على مرّ العصور، ولمحبي اللهو ممن تستهويهم الحكاية الخرافية، وهذا ما يجعله يؤتي ثماره على أصعدة واسعة.

ولأن اللغة لا يمكن أن تمارس دورها الحقيقي إلا من خلال المرسل الذي يعتبر الذات الناطقة في المواقف التواصلية فعلينا تبيّن الطاقات المخصوصة التي أهّلت متكلميْ "كليلة ودمنة" وهما "ابن المقفع" و"بيدبا" إلى تحقيق المقاصد المرجوة وذلك بتقسيمها وسائلَ لغوية وأخرى غير لغوية .

- **الوسائل اللغوية للمرسِل:**

يتمتع المتكلم في "كليلة ودمنة" بطاقة لغوية مكنته من إنتاج وتأويل عبارات لغوية إنتاجا وتأويلا صحيحيْن وسنعتمد في ذلك على تقسيم " محمد العبد"[1] للوسائل التي يجب على المتكلم استخدامها وفهمها فهما ملائما وقد شاءت الدراسة أن تكون مقسّمة كالتالي:

## 1- وسائل التشكيل الصوتي (Prosodic devices)

إنّ من المسلَّم به أن هذا النوع من الوسائل يظهر بوضوح في الخطابات الشفوية، غير أن ورودها في خطابات "كليلة ودمنة" المكتوبة كان كمحددات صوتية سياقية مهمة في تفسير المعنى، وليس كمن يرى أن الصوت لا يستحق العناء الذي ينفق في دراسته إذ يُدرَك بحاستي السمع والبصر، وإنّ الأمر لَكَذلك إذا اقتصر البحث على إحصاء الأصوات بطريقة يدوية ساذجة، ولم تتجاوزه إلى تلمُّس معانيها وإيحاءاتها وإسهامها في المعنى العام «**فالصوت يقع في سياق وهو يكتسب معناه فيه**» [2]

---

[1] ينظر، محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 310، 322

[2] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، الدار البيضاء، ط3، المغرب، 1992، ص 32.

وأيا كانت حالة ظهور الأصوات (مكتوبة على صفحة تُرى بالعين أو متعلقة بما يُنتجه المتكلم من أصوات في أثناء تلفظه) فهي ستُستثمر كمواد كتابية أو صوتية تحقق غاية تداولية معينة ،وذلك بربطها بسياقاتها الواردة فيها.

والواقع أن دلالة الصوت وقيمته التعبيرية الإيحائية في المادة اللغوية(الكلمات) من القضايا التي شغلت اللغويين القدامى، فهذا "السيوطي"(ت911هـ) يؤيد فكرة المناسبة بين الصوت والمعنى« **إن لفيفا من علماء العربية وأهلها كادوا يُطْبقون جميعا على إثبات المناسبة بين اللفظ والمعنى**» [1] ولعل من بينهم "ابن جني"(ت392هـ) الذي تحدث عن علة استعمال بعض مواد الكَلِم دون بعضها الآخر، والحكمة الكامنة وراء الاختيار، مفسرا ذلك بمبدأين: أولهما مراعاة حسن التأليف والآخر مراعاة العلاقة الطبيعية بين الصوت والمعنى[2].

وعلى هذا التصنيف لـ "ابن جني" سيحاول البحث رصد أهم الظواهر الصوتية في "كليلة ودمنة" التي تمثل إمكاناتٍ تعبيريةً ذاتَ طاقة بلاغية يتمتع بها مرسل الخطابات.

**أ– حسن التأليف**:يرى "ابن جني" أن "الاستخفاف" هو الوسيلة التي مكنته من تفسير قَبول اللغة العربية لبعض الألفاظ ونفورها من بعضها الآخر تحت ما أسماه بـ: "حسن التأليف"[3] والمقصود بهذا أن العربية تميل إلى كراهية اجتماع الأصوات المتقاربة في الكلمة الواحدة، ذلك أنها تخلق صعوبة في النطق، وبهذا المبدأ الصوتي ينشأ مفهوم الفصاحة ؛وهي الإبانة والظهور والإيضاح والبراعة والبلاغة في اللفظ المفرد والمؤلف[4] ولعل من أبرز مظاهر حسن التأليف اللفظي في "كليلة ودمنة" ما يمكن إجماله في النقاط التالية:

**أ–1– الميل إلى التخلص من توالي الأمثال:**

عرّف علماء العربية التماثل فقال أحدهم:« **التماثل أن يتفقا مخرجا وصفة**»[5] أي أن يتحد الحرفان مخرجا وصفة كالبائيْن والتائيْن والثائيْن، ولعل "ابن جني" قد وضع أساس هذا المعيار الجمالي بقوله ،مفسرا إيثار تباعد الأصوات «**إذ كان الصوت مع نقيضه أظهر منه مع قرينه ولصيقه، ولذلك كانت الكتابة بالسواد في السواد خفية وكذلك سائر الألوان**»[6] فهذا القول يكشف عن طريقة من طرائق التخلص من توالي الأمثال وهي المخالفة بين

---

(1) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه محمد جاد المولى بك،وآخران، المكتبة العصرية صيدا بيروت،لبنان، 1987، ص 48،49.

(2) ينظر، محمد مشبال، البلاغة والأصول، دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي، نموذج ابن جني، أفريقيا الشرق، ط1، 2007 ، ص 77.

(3) ينظر، ابن جني، الخصائص، ص 220.

(4) ينظر، اللسان والقاموس المحيط والمعجم الوسيط فصح، وينظر، العمدة 129/1 وسر الفصاحة 58 وجواهر البلاغة 6-7.

(5) ابن الجرزي، النشر في القراءات العشر، تح، علي حسن البواب، مكتبة المعارف، ط1، الرياض، ص 278.

(6) ابن جني، الخصائص ، ج1، ص 55.

الأصوات المتماثلة فقد لا تشتمل الكلمة على صوتين متماثلين كل المماثلة، فيُقلب أحدهما إلى صوت آخرَ لتتم المخالفة بين الصوتين المماثلين، ومن مظاهر التخلص من توالي الأمثال في "كليلة ودمنة" ما تم تصنيفه كالتالي:

✓ **المخالفة بالحذف بين أمثال الصوامت المماثلة:**

من مظاهر التخلص من توالي الأمثال بالحذف **إنّ،لكنّ**، و**كأنّ** ،إذا وَلِيَتهن نون الوقاية وذلك قبل ياء المتكلم أو ضمير المتكلمين المنصوب، والحذف مع هذه الحروف في "كليلة ودمنة" كثير الشيوع ومن أمثلة ذلك قول "ابن المقفع": « **وإني قد افتقدت الأعدال... وإني لا أشك في تهمتك... وإني قد وطنت نفسي..**»[1] وقوله :« **فإني لم أردد أحدا... لم تقل إني وجدت الجرذ...**»[2] وقوله:« **لأني ذكرت أن زوجتي...**»[3] وقوله:« **وإني إنما صحبتكن... ولكني غير معفيك**»[4] .

والحذف في هذين الحرفين ( إنّي، لكنّي) في مقابل ( إنّني، لكنّني) ، والسبب في المخالفة الصوتية من الناحية الفيزيولوجية كما يحدده "رمضان عبد التواب" هو أن الصوتيْن المتماثليْن يحتاجان إلى جَهد عضلي في النطق بهما في كلمة واحدة، لتيسير هذا المجهود العضلي يُحذف أحدهما.[5]وتعد **النون** إلى جانب **اللام والميم والراء** وأصوات العلة،من أكثر الأصوات ارتباطا بالمخالفة[6]، ومن الناحية الجمالية فيمكن أن نستشف دور المخالفة الصوتية بالحذف في تحقيق الانسجام الصوتي بإضفاء سمة الخفة والسهولة في نطق الكلمة، فيكون التشكيل الصوتي للمتكلم ( ابن المقفع) في أرقى صوره خاصة وأن العربية تحرص على المخالفة نظرا لما تقوم به من تفريق بين الأمثال والمتقاربات، وإضفاء تناغم موسيقي في الكلام بحيث تأخذ الأصوات حقها من الناحية النطقية والسمعية، فكل صوت يبرز على حقيقته ناهيك عن انسجام فونيمات السلسلة الكلامية.ومن مظاهر المخالفة بين المتماثلات المتوالية، اختزال الحرف المشدد، ومثال ذلك في قول "ابن المقفع":« **قال فنزة: إن الأحقاد مَخُوفة... الطريق المَخُوف...**»[7] حيث يظهر الحذف للحرف المشدد في ( مخوفة، مخوف) والأصل (مخوِّفة، المخوِّف) تخفيفا للنطق، ذلك لأن « **الصوامت تطول بشديدها فالتشديد مد للحروف الصامتة نظير لمد الحروف الصائتة، أي الحركات**»[8]

---

(1) ابن المقفع، عرض الكتاب، ص 53.

(2) المصدر نفسه، باب الحمامة المطوقة، ص 153.

(3)المصدر نفسه، باب القرد والغيلم، ص 193.

(4) المصدر نفسه، باب الأسد وابن آوى، ص 224،225.

(5) ينظر، رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخفاجي، ط1، القاهرة،1982، ص 64.

(6) ينظر، إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 27.

(7) ابن المقفع، باب ابن الملك والطائر فنزة، ص 216، 218.

(8)برجشتراسر جوتلف، التطور النحوي للغة العربية، تر: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي بالرياض، 1982، ص 53.

وهذا يعني أن الصوت المشدد تطول معه المدة الزمنية حين النطق به مقارنة بصوت من جنسه ( مَخُوفة، مخَوّفة) فالواو الأولى يستغرق نطقها مدة زمنية أقصر من الواو الثانية المشددة، وهذا ما يوضحه الدكتور" رمضان عبد التواب" في قوله :« **ليس أمر الطول والقصر خاصة بالأصوات المتحركة وحدها، بل عن الصوامت تطوّل وتقصّر كذلك وإنّ ما نعرفه باسم المشدد، أو الصوت المضعّف، ليس في الحقيقة صوتين من جنس واحد، الأول ساكن والثاني متحرك، كما يقول نحاة العربية ،وإنما هو في الواقع صوت واحد طويل يساوي زمنه زمن صوتين اثنين**»[1] وعن كراهة العرب لثقل المشدد وطلبهم الخفة قال "**الرضي**"(ت**365**هـ):« **اعلم أنهم يستثقلون التضعيف غاية الاستثقال، إذ على اللسان كلفة شديدة في الرجوع إلى المخرج بعد انتقاله عنه ولهذا الثقل لم يصوغوا من الأسماء والأفعال رباعيا أو خماسيا فيه حرفان أصليان متماثلان متصلان لثقل البنائيْن وثقل التقاء المثليْن ولاسيما مع أصالتهما فلا ترى رباعيا من الأسماء والأفعال ولا خماسيا من الأسماء فيه حرفان كذلك إلا وأحدهما زائد**»[2] والمقصود من قول "الرضي" أن التخلص من اجتماع الأمثال في كلمة واحدة التضعيف يؤدي إلى الاقتصاد في الجَهد العضلي الذي يبذله المتكلم للنطق بالأصوات المتماثلة لأن في هذا الأخير كلفة شديدة.

✓ **المخالفة بالزيادة بين الأصوات المتماثلة:**

إن الحروف أصوات تجري من السمع مجرى الألوان من البصر، فتقارب مخارج اللفظ يبعده عن الجمال[3] وذلك لأنه يُستقبح لفظها في النغم والإيقاع للمشقة التي يتكلفها المتكلم في أثناء الأداء الفعلي للكلام ،ولهذا فإننا نجد أن من سنن العربية استعمال المخالفة بين الصوامت المتماثلة والمتتابعة في السلسلة الكلامية بإطالة حركة الصامت الأول، وهذه الإطالة تكون بحروف المد الطويلة ( أ.و.ي).ومن الأمثلة المعززة لهذا النوع من المخالفة إبقاء الحركة الطويلة في صيغة ( فعيل) ففي قول "ابن المقفع" :« **إن الريح الشديدة، لا تأبه بضعيف ... وعظيم ... أصابه جوع شديد**»[4] وقوله:«**الملك حقيق أن ينظر في حاله... فإن الملك حقيق بالحرص على مراجعته...** »[5] فهذه الياء التي تفصل بين الصامتيْن المتماثليْن في(الشديدة، حقيق) –على سبيل المثال لا الحصر والأمثلة على ذلك كثيرة –تمثّل فاصلا زمنيا في تخفيف الثقل الناتج عن توالي هذه الصوامت المتماثلة

---

(1) رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخفاجي، ط1، القاهرة، 1986، ص 99.

(2) الرضى الاسترابادي، شرح الشافية، تح محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف وغيرهما، ط2، بيروت، 1975، ج2، ص 238.

(3) ينظر، حسين جمعة، في جمالية الكلمة دراسة بلاغية دلالية ونقدية، ص 34.

(4) ابن المقفع، باب الأسد والثور، ص 90،95.

(5) المصدر نفسه، باب الأسد وابن آوى، ص 223.

قال سيبويهِ(ت180هـ):«**وسألته عن شديدة فقال لا أحذف لاستثقالهم التضعيف، وكأنهم تنكبوا التقاء الدالين وسائر هذا من الحروف**»[1] هذا يعني أنه أُوتي بزيادة "الياء" تخفيفا من حدة الثقل التابع من التضعيف إن توالت المتماثلات، وكأنّ اللسان العربي يرغب في إخفاء التكرار في الأول لأنه غير مرغوب فيه، ويرى أن الصائت الطويل هو خير فاصل بين الأصوات المتماثلة.

وما يمكن قوله مما سبق تقديمه في حسن التأليف أن المخالفة بالحذف أو بالزيادة بين الصوامت المتماثلة، هي ما يُظهر نجاعة طريقة المتكلم ( ابن المقفع) في نسجه للأصوات والتي اعتمد فيها على التجانس والانسجام والتقليل من الفروق بين الأصوات الضرورية لأغراض المحادثة على حد تعبير "مالمبرج"(Malmberg): « **يمكن القول إنّ نزعة المماثلة تمثل قوة سَلبية في حياة اللغات، ذلك أنها تقتضي تقليل الخلافات بين الأصوات كلما كان ذلك ممكنا، ومن الواضح أنه إذا تمكنت هذه النزعة من أن تعمل بحرية ستنتهي إلى تقليل الفروق بين الأصوات إلى الصفر، تلك الفروق الضرورية لأغراض المحادثة التي تقتضي خلافاتٍ صوتيةً**»[2]

وعليه يمكن القول إن ظاهرة المماثلة أو المخالفة تهدف إلى الاقتصاد في الجَهد العضلي دون أن يشعر بذلك صاحب الخطاب، إلا أن له تأثيرا في المحادثة وذلك حسب قانونيْ الكم والكيف اللذان سيُفصل فيهما لاحقا.

**أ-2 الإدغـــــــام:**

يعتبر الإدغام من أبرز ظواهر التشكيل الصوتي التي تميزت بها لغة "ابن المقفع" في "كليلة ودمنة" ويعرفه "إبراهيم أنيس" بقوله« **قد يترتب على تجاور صوتين متجانسين أو متقاربين أن أحدهما يفنى في الآخر وهو ما اصطُلح على تسميته في كتب القراءات بالإدغام**»[3] وهذا يعني أن تجاوز الأصوات المتجانسة أو المتقاربة يُنتج تأثرا فيما بينها ويؤدي إلى انسجامها، وهذا ما ينجم عنه اقتصاد للجَهد العضلي في أثناء النطق بهذه الأصوات وهذا تبعا لخفتها وسهولتها ،ومن أمثلة الإدغام في "كليلة ودمنة" ما كان للمتقاربين من الأصوات ومن صور ذلك إدغام لام التعريف الشمسية في جملة الأصوات التالية لها مباشرة وهي أصوات مقاربة لها من حيث المخرجُ، ومثال ذلك « **الشّر، السَّبُعُ، الثّور، النّفور، الطّير، الضّفادع، التّمساح، الدّخول، الرّوم، الصّادق، اللّبيب، الزّمان الظّن**»[4] وهذه الأمثلة مستوحاة من مقدمة كتاب " كليلة ودمنة" وقد ذكرت على سبيل المثال اللام الشمسية في الحروف التي تلتها، عددها ثلاثة عشر حرفا، وقد قال "سيبويه" في شأن إدغامها « ولام المعرفة تدغم في ثلاثة

---

(1) سيبويهِ، الكتاب، تح، عبد السلام محمد هارون، دار الجيل،ط1، بيروت ، ج3، ص 339.

(2) Malmberg.B.Phonetics,Neweyork, 1963,p62.

(3) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية،مكتبة نهضة مصر، ص115.

(4) ابن المقفع، كليلة ودمنة، مقدمة الكتاب، ص 3.

عشر حرفا لا يجوز فيها معهن إلا الإدغام لكَثرة لام المعرفة في الكلام، وكَثرة موافقتها لهذه الحروف، واللام من طرف اللسان وهذه الحروف أحد عشر حرفا، منها حروف طرف اللسان، وحرفان يخالطان طرف اللسان، والحرفان اللذان يخالفان اللام، هما الضاد لاستطالتها والشين لتفشيها»[1] فما إدغام لام التعريف في هذه الأصوات بالتحديد إلا للتقارب المخرجي بينها واللام أضعف هذه الأصوات لأنها ساكنة مثلما يؤكد ذلك "ابن جني" بقوله:« **وإنما المذهب أن تدغم الأضعف في الأقوى**»[2]

ومها تكن ظاهرة الإدغام فهي لا تخرج عن تأثير مطلق بين الأصوات سواءً أكان التأثير كاملا ينتج عنه فناء الصوت المتأثر، أو جزئيا يفقد معه عنصرا من عناصره ،وهي تهدف تداوليا إلى تحقيق الانسجام الصوتي للمتكلم والاقتصاد في الجَهد العضلي الذي يبذله للنطق بها، ما يُظهر نجاح "ابن المقفع" صوتيا في إيصال ما يريده إلى السامعين ( المتلقين.)

كما أن الصوت اللغوي يحمل طاقة تشكيل المعنى ، غير أن ذلك لا يتم إلا بوجود حسن تأليف من فئة وكأن القيمة التعبيرية التي تختزنها مجموعة الأصوات اللغوية وصيغتها الصرفية تمثل أحد أبعاد جماليتها.

ويلعب السياق دورا هاما في تشكيل بلاغتها، وهذا ما سيكون موضوع بحث المبحث الموالي فيما يعرف بفصاحة اللفظ وحسن التأليف .

**ب- فصاحة اللفظ وحسن التأليف:**

الفصاحة كما قال "ابن سنان الخفاجي"(ت466هـ) نعت للألفاظ إذا وجدت على شروط عدة، وكلها تكسبها جمالا وبهاءً وتأثّرا في النفس[3] وهذا ما يعدو إلى الحديث عن فصاحة اللفظ في أمثلة من أبواب "كليلة ودمنة" وذلك في إطار جمالية الكلمة واستخدامها وحسن تأليفها الذي وضعه البلاغيون في ثمانية شروط ،وعرض له "ابن سنان" في"سر الفصاحة"[4] ولعل من أهمها ما يمكن جمعه في ثلاثة عناصر: تنافر الحروف، الغرابة، والسمع[5] فعلى المتكلم أن يتجنب هذه العيوب في كلامه حتى يضمن نجاح اتصاله مع الطرف الآخر.

فلو تفحصنا الشرط الأول تنافر الحروف وضرورة تجنب المتكلم لهذا العيب نجد ذوق "ابن المقفع" يحاول الابتعاد عن هذه الظاهرة « **لأن إيثار العرب للكلمات المتباعدة الأصوات مبدأ يفسر ميل العربية**

---

[1] سيبويه، الكتاب، ج4، ص 547.

[2] ابن جني، المصنف، تح، إبراهيم مصطفى،ط1، 1954،ج2، ص 328.

[3] ينظر، حسين جمعة، في جمالية الكلمة، دراسة جمالية بلاغية نقدية، ص34.

[4] ينظر، سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي ت 466هـ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت، لبنان، 1982، ص 64.

[5] ينظر، أحمد المراغي، علوم البلاغة والبيان والمعاني والبديع، د.ط، دار القلم، لبنان، ص17.

**إلى استعمال بعض الألفاظ دون أخرى، ذلك أن الأصوات المتجاورة المخرج تخلق صعوبة في النطق»**[1] فالأصوات تجري من السمع مجرى الألوان من البصر، وتقارب مخارج اللفظ يبعده عن الجمال، والمتصفح لكليلة ودمنة لا يجد ما يدعو إلى خروج الكلمات –في بنائها الصوتي– عن حدود منطقة الفصاحة، وذلك لأن ألفاظ "ابن المقفع" جاءت متباعدة المخارج تحقيقا لمفهوم الفصاحة وحسن التأليف، وفي ذلك نستشهد بنص قصير "لابن المقفع" من باب الثور والأسد يقول فيه:« **قال شتربة": فأراني قد استلذذت الحلاوة إذا ذقتها وقد انتهيت إلى آخرها الذي هو الموت ولولا الحَيْن ما كان مقامي عند الأسد وهو آكل لحم... كالنحلة تجلس على نور النيلوفرْ**[*] **إذ تستلذ ريحه وطعمه فتحبسها تلك اللذة فإذا جاء الليل ينضم عليها، فتتلجلج فيها وتموت»**[2] فألفاظ هذه الفقرة متباعدة المخارج، والتباعد في مخارج الحروف– كما تمت الإشارة سابقا– يعطيها جمالا بلا شك، ولكن لا بد من تأليف مخصوص لها يمنحها مزية التصور والتأثير النفسي، فلفظة نحلة مثلا من الألفاظ المتباعدة المخارج ولكن تقديم اللام على الحاء يفسدها وما قيل عن لفظة (نحلة) يقال عن باقي الألفاظ التي تضمنها النص –السابق الذكر– فقد جاءت كلها حَسَنة الوقع، إلا أن الملاحَظ في كلمة ( تتلجلج) رغم فصاحتها من حيث إنها متباعدة المخارج إلا أنها يمكن اعتبارها مما وقع من الألفاظ غير حسنة التأليف لكراهيتها في النفس فالأجدر أن يُؤتى بما يرادفها في المعنى ( ترتبك) والملاحَظ أيضا في كلمة ( استلذذت) أنّه لم يُدغم فيها المثلان وقد امتنع فيها الإدغام وجوبا لتأخر ساكن المثلين وهذا ما لا يبطل حسن تأليف حروفها لنفس السبب السابق الذكر.

ومن الملاحظ في كلمة ( يتلجلج) توالي مثلين إلا أنه لم يجز الإدغام فيهما لأن الكلمة من المزيد الرباعي وهذا أيضا ما يبين فصاحة الكلمة وبُعدها عن سوء التأليف لأن "ابن جني" يقول في "الخصائص":« **إذْ كان الصوت مع نقيضه أظهر منه مع قرينه ولصيقه، ولذلك كانت الكتابة بالسواد في السواد خفية، وكذلك سائر الألوان»**[3] وفي هذا دعوة إلى التزام شرط فصاحة اللفظ المتمثل في تباعد مخارج المفردة، لأن تقاربها يؤدي إلى تنافر منبوذ، لأنه يُثْقل لسان المتكلم ويُعسِر نطقَه بها، مما يسبب خللا في العملية التواصلية.

أما الشرط الثاني في فصاحة اللفظ فهو الابتعاد عن الغريب منها ،يقول "الباقلاني" ( ت 403 هـ) في ذلك « **على المنشئ أن يوقع اختيارَه على ألفاظ قريبة في دلالتها على المراد وواضحة في إبانتها على المعنى**

---

[1] محمد مشبال، البلاغة والأصول، دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي، نموذج ابن جني، ص 78.

[*] نور النيلوفر: ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة ومتى ساوى السطح الماء أورق وأزهر ،وموطنه الأصلي أوروبا.

[2] ابن المقفع، باب الأسد والثور، ص 110.

[3] ابن جني، الخصائص، ج2، ص 227.

**المطلوب مع ملاحظة ألا يكون اللفظ مستكره المطلع على الأذن ولا مستنكر المورد على النفس حتى يأبى بغرابته عن الإفهام، أو يمتنع بتعويض معناه عن الإبانة** »[1] وهذا ما يُظهر أن الغرابة تقع في الاستعمال وكَثرته أو في بنية الكلمة، أو بيئتها أو موضوعها أو ثقافة أهلها، فما يمكن اعتباره غريبا وحشيا في عصرنا ،لجهلنا بمعناه أو لثقله على أسماعنا، قد يكون فصيحا في عصر مستعمليه في الخطابات المتنوعة إذ نجد "ابن المقفع" في القول السابق يستعمل لفظة ( نور النيلوفر) وهي تبدو قبيحة رديئة لكَثرة حروفها ولعُجمتها فهي زهرة ذات أصول أوروبية تنبت عادة في البرك والمياه، فابن المقفع خرج إلى الشاذ النادر في تركيب لفظ من حروف كثيرة، لذا «**فلا شك أن اعتدال حروف الكلمة يقربها من أذن السامع فلا يحس بثقل نغمها الصوتي... ومسألة الاعتدال نسبية بين الأشخاص والأماكن**»[2] وهذا يدل على أن مسألة الغرابة مرجعها المتلقي وثقافته وصلته باللغة ومعرفة عصرها وبيئتها وغيرها من العوامل التي تحكم تطور الدلالة اللغوية وتعقب تاريخها ،والغرابة تبقى منبوذة ومخلّة بالفصاحة لما تحدثه من انفصال بين منشيء الكلام ومتلقيه، إذ يبعد المعنى عنه مما يؤثر في نجاح العملية الاتصالية ،وهذا ما لم يكن متردَّدا في خطابات كليلة ودمنة ما جاء شاذا للعوامل المذكورة آنفا. وعن مزية الفصاحة في معنى المتكلم نجد "عبد القاهر الجرجاني" ( ت147ه) قد ربط الفصاحة بالمتكلم والكلام « **الفصاحة فيما نحن فيه، عبارة عن مزية هي بالمتكلم البتة**»[3] معنى ذلك أن أداء المتكلم يجعله يمتلك اللغة في الاستعمال فيكسب القول مزية في التواصل وإيصاله إلى درجة الفهم والإفهام.

لعل كل تلك الأمثلة المقدمة سابقا والتي تبين فصاحة ألفاظ ابن المقفع تظهر ملكته التي يقتدر بها على التعبير عن المقصود وهذا ما يعرف بالكفاءة التداولية والتي سيُتحدث عنها في مباحث لاحقة.

كما نجد "الجرجاني" قد تفطن إلى الإنجاز الذي يتعلق بالمتكلم وذلك من منطلق استعماله اللغة المتواضع عليها استعمالا يجعله ينطلق من المعنى كبنية داخلية– معاني نفسية وتخرج إلى الظاهر في نَظم للكلم[4] وهنا تحصل مزية الفصاحة في القول بخروجه من سطحيات اللفظ إلى أعماق المعنى ،وهذا ما نلحظه في فصاحة ألفاظ "ابن المقفع" والتي كان منطلقها أعماق النفس باعتبارها منشئة القول .وفي مضمار الحديث عن الفصاحة نجد ملمحا تداوليا يتعلق بالإنجاز الذي تتواشج وتتعلق به الفصاحة، ذلك أن الفصاحة تقع في الكلام والكلام هو ممارسة

---

(1) الباقلاني أبو بكر بن محمد، إعجاز القرآن، تح، السيد أحمد صقر، د.ط، 1963، **القاهرة**، ص 117، 118.

(2) حسين جمعة، في جمالية الكلمة، ص40.

(3) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 302.

(4) ينظر، ثقبايث حامدة، قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف ذهبية حمو الحاج، قسم اللغة العربية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو،2012، ص 88.

اللغة في الاستعمال، وفي هذا يبين "الجرجاني" أن الفصاحة لا تقع في أوضاع اللغة وإنما تقع من طريق المعاني التي تنطلق من نفس المتكلم وتمر عن الكلام المنجز، مقصدية "ابن المقفع" قد قورنت بأبعاد سياقية مختلفة تاريخية وثقافية، وكل ما يمكن للكلام أن يحتويه من أغراض سواءً أكانت الاستراتيجية الناقلة لها تلميحية أو تصريحية والأكثر فيها تلميحية لأن "ابن المقفع" يقبل على ذلك ليراهن على ذكاء وفطنة ويقظة المتلقي وحده وسرعة فهمه لدلالات الألفاظ المختفية وراء دلالتها الظاهرة.

وإلى جانب المبادئ اللغوية للمتكلم التي تُظهر إمكانية التأويل الجمالي لصور الاستخدامين الصوتي والصرفي، تضاف إليها مبادئ لغوية أخرى لها صلة بالجانبيْن النحوي والدلالي.

**2- خصائص التشكيل النحوي ( الوسائل التركيبية)**

*** نظرية النظم :**

لقد عمد "ابن جني" إلى استصفاء مجموعة من الإمكانات التعبيرية النحوية للمتكلم واكتشاف ما تحمله من طاقات بلاغية[1] وكأنّ التحليل البلاغي يسير على سمت التحليل النحوي، ولكنه لايتوقف حين ينتهي التحليل النحوي، بل يواصل مساره لكونه « **يُدخل معطياتٍ معرفيةً لا يعيرها التحليل النحوي النظامي في العادة اهتماما فإذا كان التحليل النحوي يحدد استقامة الشكل القضوي (forme propositionnelle) للجملة أو الملفوظ فإن التحليل التداولي يتدخل عبر آلياته المختلفة ( جهازه المفاهيمي) كمبدأ الإفادة مثلا فينظر في كل لحظة من لحظات تكوين الشكل القضوي إزالة الغموض (désambiguisation) وإسناد المراجع وإلغاء الكلمات المبهمة**»[2] أي أن معرفة الخصائص التركيبية النحوية لا تكون من جهة بنيتها الخالصة فقط، بل من حيث مدى ارتباطها بمبدأ التداول عموما، وسيتم البحث في الخصائص التي تجعل من تراكيب "كليلة ودمنة"، تراكيبا موجهة لغرض ما أو لقصد معين، بعيدا عن الوصف الظاهري للتراكيب النحوية إذ سيُبحث عن الجوانب التداولية للتراكيب، وذلك من خلال تبني نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني في الكشف عن الأبعاد التداولية في التشكيل النحوي للغة "ابن المقفع".

---

[1] ينظر، محمد مشبال، البلاغة والأصول، ص 91.

[2] Jacque Moeschler et Anne Reboul ,Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, paris, Editions du seuil, 1994, p 146.

لقد وجدت نظرية النظم في هذا البحث ما يصرّ على حضورها رغم صروف الدهر معها؛ فهي نظرية لا يمكن تجاوزها، وإذا كان الجرجاني قد وضع نظريته ليؤكد على أن ترتيب الكلام في أي إبداع إنما يكون حسب الأهمية وهذا ما أوضحه في التقديم والتأخير، ونجد أن الجرجاني يشدد على ضرورة الترابط النحوي بين التراكيب في قوله: « **قد علمنا علم ضرورة أنّا لو بقينا الدهر الأطول نصعّد ونصوّب ونبحث وننقب، نبتغي كلمة قد اتصلت بصاحبة لها، ولفظة قد انتظمت مع أختها، من غير أن نتوخى فيما بينهما معنى من معاني النحو**»[1] ويختم الجرجاني رأيه في النظم حاصرا وظيفته الأساسة في النحو قائلا:« **هذا وأمر النظم في أنه ليس شيئا غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم، وأنك ترتب المعاني أولا في نفسك، ثم تحذو على ترتيب الألفاظ في نطقك، وإنا لو فرضنا أن تخلو الألفاظ من المعاني لم يتصور أن يجب فيها نظم وترتيب**»[2]

وما يفهم من هذا القول: إنه لا فصل بين النحو والبلاغة في التأليف هذا الأخير الذي يتلخص في كونه الطريق إلى معرفة العناصر المكونة للكلام ودلالة هذه العناصر، لأنه كلما كانت هذه العناصر مركبة تركيبا صحيحا كلما كانت دلالته أكبر، فكأنه جسر يربط بين المعنى والصوت.

وستقوم الدراسة بمعالجة بعض النماذج للبنى التركيبية التي وردت في خطابات "ابن المقفع" في " كليلة ودمنة" بحيث ستُبرز دور بعض المكونات والآليات اللسانية التي تقوم عليها نظرية النظم ،وهي لا تخرج عن أربعة هي: التقديم والتأخير، الحذف، الفروق والفصل والوصل[3] وسيقتصر هذا المبحث على المكونين الأولين فقط أما المكونين الأخيرين فقد تمت دراستهما في مبحث إظهار اتساق خطابات كليلة ودمنة.

- ✓ **التقديم والتأخيـــــــر**: يذكر "عبد القاهر الجرجاني" أن التقديم في الكلام المركب على وجهين: تقديم على نية التأخير، وتقديم لا على نية التأخير[4] أما الأول فإنه لا يخرج المتقدم إلى ما كان عليه قبل التقديم، كخبر المبتدأ إذا قدم عليه مثل: قول"ابن المقفع"« **أين قلبك الآن؟... كان معه ابن آوى مالي حيلة... ليس له دواء... مالي حيلة للهرب... أين قلب الحمار؟**»[5]

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في معاني النحو، ص 269.

[2] المصدر نفسه، ص 289.

[3] ينظر، بيان شاكر جمعة ومهند شبيب، قراءة في نظرية النظم، بحث مقدم من التدريس في كلية التربية بجامعة الأنبار، قسم اللغة العربية ، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، المجلد الأول، العدد الأول، أذار، 2009، ص 04.

[4] ينظر، أم الخير سلفاوي، البعد التداولي في البلاغة العربية من خلال مفتاح العلوم للسكاكي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف أحمد بلخضر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب واللغات، 2009، ص 55.

[5] ابن المقفع، باب القرد والغيلم، ص 194، 195، 196.

لقد تقدمت في هذه الأمثلة الأخبار ( أين، وأشباه الجمل: معه، إلى، له) على المبتدآت لورود الخبر اسم استفهام (أين) وهو مما يُوجَب أن يحتل الصدارة كما تقدمت الأخبار الواردة أشباه جمل من باب الجواز، إذ يجوز تقديمها أو تأخيرها وهذا النوع من أكثر أشكال التقديم والتأخير التي استوقفت الدراسة لتشير إليها محاولة استكناه الدلالة التي يوحي بها تقديم الجار والمجرور، ويعد الاختصاص والعناية بها هو الجامع لمعاني هذا التقديم على العموم إذ يذكر الجرجاني ذلك في قوله:« **واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئا يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام**»[1] ومن أمثلة تقديم الجار والمجرور أيضا قوله « **وقد جعل الله لكل مسبب علةً... أنّ ما كان من علم انتساخ هذا الكتاب إلهامٌ وصفت له الدنيا... فصلت له غرائب... مما يحتاج إليه فضلاء الملوك... مما ليس في خزائننا منه شيء... أمرنا أن يطلق لك من أموالنا ما تختار... فليرمي بي الملك... يعقد لي مجلسا. ما الشخصي به الملك...**»[2]

ولا يكون التقديم للعناية والاختصاص فحسب ،بل قد يكون للتعظيم مثل ( يعقد لي مجلسا، ما استخصني به الملك) أي لا يمكن أن يعزل تراكيب التقديم والتأخير عن المعاني والدلالات التي يفيدها السياق، ويمكن اعتبار تقديم الخبر عن المبتدأ وجها من أوجه الانزياح ذا أغراض يجمعها الاهتمام والعناية به، ثم قد يتفرع هذا المعنى إلى معانٍ جزئية تتعلق بالسياق.

وعن أمثلة تقديم المفعول به قول ابن المقفع:« **لقد أدركني الحرص فأصاب الأسدَ جربٌ... ما يطعمني صاحبي... سبقه ابن آوى... فلا يدركنك الضعفُ... يفسده الحلمُ**»[3] إن من أسباب تقديم المفعول به على الفاعل في هذه الأمثلة هو وروده في أكثر الأمثلة ضميرا متصلا وتقديم المفعول به لا يخلو هو كذلك من معانٍ وأسرار ،لعل أهمها :الاختصاص يقول "الجرجاني"« **قال صاحب الكتاب ( يقصد سيبويهِ) وهو بذكر الفاعل والمفعول : كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم بشأنه أغنى**»[4] وبهذا لا يأتي التقديم لإبراز فائدة الكلام أو عدم الفائدة فقط، وإنما لتمييز المعاني المختلفة التي تدور في ذهن المتكلم والتي يريد إيصالها إلى السامع.

ويبقى التقديم للكلمة يعني أول ما تقع العين عليها، وتتأثر فيها النفس، وتعجب به«**فحين تتأخر لعلة ما وتتقدم كلمة أخرى تحدث في النفس تأثيرا آخر، وتستحوذ من جديد على اهتمام المتكلم والمخاطب** »[5]

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 84.

[2] ابن المقفع، باب بعثة برزوية، ص 30،29،28،27.

[3] المصدر نفسه، باب القرد والغيلم، ص 194، 195، 196، 197.

[4] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 84.

[5] حسين جمعة، في جمالية الكلمة، ص 148.

أي أن التقديم والتأخير إنما هو لتحقيق المعاني المقصودة والتي هي طاقات تعبيرية تلحق المعاني الظاهرة فتزيد تأكيدا وقوة في المتلقين.

أما التقديم الذي لا نية فيه على التأخير، فإنه يقوم على نقل الشيء من حكم إلى حكم، بحيث يجُعَل في باب غير بابه، وفي إعراب غير إعرابه[1]

ومن هنا فإن ما يُتوخَّى –في مادتنا هذه– ألاّ ندرس كل أنواع التقديم الذي لا نية فيه للتأخير، وإنما يتم منه قطف ما يلبي حاجة البحث، ومنه قول"ابن المقفع" « **رأسُ الأدب حفظُ السر**»[2] ويمكن صوغه هكذا: حفظ السر رأس الأدب، لتساوي الخبر والمبتدأ في التعريف، فكلاهما ورد معرفا بالإضافة وبهذا فتقديم ( حفظ السر) لا يترك على حكمه الذي كان عليه مع التأخير، فيكون خبرا للمبتدأ كما كان، بل على أن تنقله عن كونه خبرا إلى كونه مبتدأ، وكذلك لم يؤخر رأس الأدب، على أن يكون مبتدأ كما كان، بل على أن يخرج عن كونه مبتدأ إلى كونه خبرا.

كذلك قوله :« **هو أمر، جسيم**»[3] وقوله : «**أحدهم ابن مالك والثاني ابن تاجر والثالث ابن شريف ذو جمال والرابع ابن أكار**»[4] فهذه الأمثلة قد يحدث معها ما حدث مع المثال السابق، وهذا كله يدل على أنّ تبادل الكلمات لمواقعها يتركز في الحكم وفائدته، وفي التأثير ودلالته، فالخبر لم يكتفِ بأنه انتقل إلى صوتية الصدارة وشغل الذهن وحرك النفس بانتقاله، بل تجرد عن صفاته ليمنحها للمبدأ وليصبح مسندا إليه في الآن نفسه[5]. وهذا ما يجعل الإسناد أحد الأسس المكملة للعملية التواصلية في بعدها التداولي، لتوقف تمام الفائدة عليه من جهة، ولحاجة المخاطَب في وضعه الانتظاري إعلامه بما تتوقف عليه الفائدة من جهة أخرى[6].

ومن الناحية الجمالية يجب فهم أنّ أمر تقدم أية معرفة على الأخرى في التركيب الفني، إنما مدارها على المعنى، ولابد من مراعاته، فالتقديم لا يكون عبثا وإنما لأمر بلاغي يريد المتكلم إفادته للسامع، ويفهم أن لتشويش المرتبة إذن نتائج معنوية تداولية، ترجع إلى حركة النفس التي تصبو إلى مقاصد بلاغية تستشرف روح الكلام وذوق المتكلم هذه المعاني التي تنظم ألفاظها تبعا لتراتبها "المعاني" في النفس ونَظمها في الفكر.

---

[1] ينظر، المرجع السابق، ص 149.

[2] ابن المقفع، بعثة برزويه، ص 37.

[3] المصدر نفسه، ص 393.

[4] ابن المقفع، باب ابن الملك وأصحابه، ص 263، 264.

[5] ينظر، حسين جمعة، في جمالية الكلمة، ص 149.

[6] ينظر، مقبول إدريس، البعد التداولي عند سيبويه، مجلة عالم الفكر، العدد1، سبتمبر،2004، ص 24.

وما يمكن استخلاصه مما قيل حول المتكلم (ابن المقفع) ومما تبين من دراسة وسائله اللغوية أنه قد راعى أوضاعا غير لسانية لا تظهر على مستوى البنية السطحية للكلام ،وإنما يتم الوصول إليها على مستوى البنية العميقة ذلك أن "ابن المقفع" قد استشرف نفسية متلقية و راعى حاله غير الظاهرة في المقام ( الاستراتيجية التلميحية) ليصل إلى إخراج كلامه على مقتضى تلك ، وإن كانت على خلاف مقتضى الظاهر، و هذا ما يعني أن هناك علاقة متينة بين قصد "ابن المقفع" و مقام متلقيه ونفسياتهم ، وهذا ما يُظهر الأبعاد التداولية في كليلة و دمنة ،كان يحملها "ابن المقفع" في ذهنه قد عملت على تسيير أفكاره ومباحثه، تمثلت في وسائل التشكيل الصوتي والتشكيل النحوي التي أبرزت كفاءة " ابن المقفع" اللغوية لتشكيل التفاعل التواصلي بين أطراف العملية التواصلية، وقد نجح ابن المقفع في إيصال رسالته لأنه اعتمد قواعدَ صحيحة جعلت المتلقين يتفاعلون معه (هذا إن استبعدنا موقف أبي جعفر المنصور الذي كان ظالما للرعية ويرفض أية نزعة إصلاحية) فاتسم كلامه بالبهاء و البلاغة فلم يعرف لُكنة و لا تنافرا ولا غرابة ولاوحشية ،وكان تأليفه منسجما يراعي فيه –في كل مرة– مقتضى الحال، و قد أظهرت تركيباته و ألفاظه و تهذيب بلاغته تداوله الهادف عبر مختلف مواقعه من العملية التواصلية و قد ظهرت سماته البلاغية من خَطوات النظم وحسن تخير الألفاظ لتلائم المواقف الخطابية المتعددة في "كليلة و دمنة" إذ كان التوازن الذي حرص عليه "ابن المقفع" بين اللفظ و المعنى لا يوصل الأول(اللفظ) إلى مقره وهو السمع قبل أن يصل الثاني (المعنى) إلى مستودعه وهو القلب.

والدراسة ترى أن التركيز على الوحدات التشكيلية ـ الصوتية و النحوية ـ للمتكلم أو أساليبه المتنوعة لا تكفي لوحدها لأجل وصول الخطاب التواصلي إلى أهدافه التداولية المرجوة بل لابد أن تتوفر ضرورات أربعة للحديث وهي المعرفة بالموضوع والإخلاص والحماس والممارسة.

- **الوسائل غير اللغوية للمرسِل(ضروريات الحديث الأربعة للمرسِل):**

**1– المعرفة:**

حتى ينجح المتكلم في الإخبار و الإبلاغ –من خلال التحاور –عليه أن يكون على دراية بالموضوع المتكلَّم فيه ومن المعروف أن الرموز الثقافية لا تنفصل عن الخطابات؛ لأنها ـ أي الرموز الثقافية ـ تتبع قواعدَ وتقاليدَ ومعتقداتٍ يجب صوغها لغويا حتى يتم تداولها من ناحية ،و المحافظة عليها من ناحية أخرى "فالموروث الثقافي إذا (القوانين ـ السلوك ـ الممارسات ـ العادات) هو مجموعة من الأفكار والطقوس والشعائر والممارسات يتم تداولها باللغة وتستجيب اللغة في هده الحالة لشروط الموروث و ضروراته ، لما له من سلطة و هيمنة على الإنسان الذي ينطق

باللغة[1] وهذا ما يظهر جليا للقرّاء في "كليلة و دمنة" إذ يعكس معرفة "ابن المقفع" وتمكنه من مزج عدة حضارات وثقافات في ترجمته للكتاب؛ إذ نقل للقراء معارفَ متنوعةً سواءً أ كانت هندية أم يونانية أم فارسية وقد كانت الثقافة الفارسية تدخل في الثقافة العربية لتشكل نسيجا جديدا يُظهر بصمة "ابن المقفع" في إظهار الجوهر الإسلامي وتعاليمه السمحة.

ولقد كان "ابن المقفع" يستشعر كل ما يجري من أحداث في تحول الخلافة من بني أُمية إلى بني العباس، ويرى الأثر الذي يتركه في النفوس فأدرك أن الحرية ليست كاملة ؛ فهي بعيدة عن السياسة و مراكز الحكم و ملصقة بغيرهما؛ فالحرية متاحة و حيوية في الجوانب الفكرية و الاجتماعية، ولهذا كله بدأ تفكيره بإعادة كتابة تاريخ البشرية ،ووضع مشروعه التاريخي الفكري الإصلاحي ظنا منه أن يستطيع إصلاح السلطات قبل الرعية فانبرى لترجمة " كليلة ودمنة" ،هذه الأخيرة التي تعتبر نتاجا لغويا لفكر "ابن المقفع" ـ و إن كان مترجما ـ و فكره نتاج للثقافة؛ وهو يُكسب –بسعة معرفته واطّلاعه على الثقافات –مصداقية العبارات المكونة للنص لدي المتلقين بما يؤدي إلى تداولها.

### 2– الإخلاص و الحماس:

إن شرطيْ الإخلاص و الحماس لابد من توفرهما لدى مرسِل الإبداع ،و "ابن المقفع" من خلال خطابه يبدو مخلصا للقيم الأخلاقية ، فقد كان شابا طموحا متقنا لصنعة الكتابة، هذا الإتقان والحرص على محاربة الحكام الطاغين بأسلوب تلميحي؛ جعله يدفع حياته ثمنا لذلك، لكنه ظل على مدى التاريخ عملاقا في مهنة الكتابة وهو يقوم بأعظم فعل حضاري في حياة الأمة ،التي أمن بها إيمانا لا يشوبه شك، إيمان الرجل المسلم المخلص لكل قيمها ومبادئها ، لهذا حمّل همَّه الكلمةَ الناصحة التي يمتلكها ،وجعلها مادة صَهرٍ حقيقي لثقافة قديمة تستمد منها الأمة العربية و الإسلامية الناهضة ،كثيرا من الدروس والعبر.

### 3– الممارسة:

إن الكاتب الجيد المتمرس هو من يتحسس بأسلوبه الفروقَ الدقيقة في تأديته للمعاني، فيصور معانيه العظيمة بما يماثلها من أساليب جليلة، وبمعانٍ لا يستطيع أن يكشف عنها، فيلجأ إلى ما يُماثلها من أساليبَ رمزيةٍ، وهذا هو التناسب بين المعاني و الأساليب الذي هو أساس الكلم البليغ الذي يتميز به فحول الكتاب[2]

---

[1] عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، ص76

[2] ينظر،نوير بنت ناصر محمد عبد الله الثبيتي،تنوع الأداء البلاغي في أدب ابن المقفع ،رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم البلاغة و النقد ، إشراف محمود صيام 2002جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية، ص06

و "ابن المقفع" على الرغم من أن معانيه أخلاقية عامة مطروقة لدى الجميع ومعهودة، إلا أنه "صنع فيها ما يصنع الصانع الحاذق إذا هو أغرب في صنعة خاتم، وعمل شُنن وغيرها من أصناف الحلي"[1]

وقد أُثر عن "ابن المقفع" العديد من الكتب التي تبرز ممارسته لفن النثر،حتى إنه عُدّ مدرسة من أهم مدارس النثر في العصر العباسي ، إذ كان يؤثر العناية بالمعنى مع توخي السهولة في اللفظ ، والبعد عن وحشي الكلام وغريبه ثم يصب هذا كله في قالب الإنجاز و الإرسال[2] ومن هذه المؤلفات نذكر أهمها: "الأدب الصغير" ، "الأدب الكبير" ، "رسالة الصحابة" ،"الدرة اليتيمة" و ترجم كتاب "كليلة و دمنة" ترجمة فنية عن بيدبا (الفيلسوف) إلا أنه يمكن عدّه من أدب "ابن المقفع" لما بثّ فيه من الكثير من أفكاره، ألبسه ثوب تعبيره وأدائه البلاغي المتميز.

فالأدب الصغير يهدف إلى صقل العقول وإحياء التفكير والتوجيه لمكارم الأخلاق، ويتوجه لمن هم في مقتبل العمر، والأدب الكبير يرتقي إلى أصول الأدب وأسس الأخلاق ويتوجه به إلى خواص الناس ،أما رسالة الصحابة يتوجه فيها إلى أصحاب الكلمة و الولاة[3] ، أما كليلة و دمنة فإن التوجه الفكري فيه كان بقصد جعله رياضة لعقول الخواص، وحملهم على طاعة أولي الأمر فكانت الغاية الأساسة التي طلب من أجلها الملك و"دبشليم" من الفيلسوف "بيدبا" تأليف هذا الكتاب واستخلاص الحكمة بأسلوب مسلٍّ؛ يجد فيه العامة ما يحتاجون إليه من سياسة أنفسهم في أمور دينهم و دنياهم ،وكله على ألسنة البهائم، بأسلوب متأدب طَوَّع لفصاحته ألسنتَها وألبسها الكثير من آرائه ،وكل هذا يكشف عن ممارسة"ابن المقفع" الفعلية في الأدب من خلال ما ذُكر من كتب تكشف عن أدائه البلاغي لأغراض متنوعة .

في آخر هذا البحث يمكن القول إن "ابن المقفع" توافرت لديه قدرات تواصلية لغوية تداولية ؛ لغوية تمثلت في قدرته على تأليف تراكيب بليغة لغويا (صوتيا ،صرفيا، تركيبية و دلالية) ، وقدرة تواصلية تمثلت في حسن استعماله للغة وفق قواعد الاستعمال ذات الطابع الاجتماعي الثقافي ،و التي تمثلت في إحاطته بثقافة و أحوال مجتمعه ومعرفة كل صغيرة و كبيرة فيه ، كما تمكن من الخوض في أدوار اجتماعية اتجاه الآخرين ،إذ تعتبر خطاباته صدى لكل إنسان منزوع اللسان ،لا يمكن له الخوض في مثل هذه الخبايا السياسية التي تختص بالحكام الظالمين لرعاياهم.

---

[1] عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص481

[2] ينظر،محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، دراسة تحليلية نقدية لتطور ،ط2، 1406، ص134

[3] ينظر، نوير بنت ناصر ، تنوع الأداء البلاغي،70

وكل هذه القدرات أسهمت بشكل كبير في تقوية قوة منطوق "ابن المقفع" الإنجازية، من أجل عملية تبليغ ناجحة و تحقيق التأثير في المخاطَبين ، و يمكن تلخيص مراحل تشكل الكفاية التداولية "لابن المقفع" بالمخطط التالي:

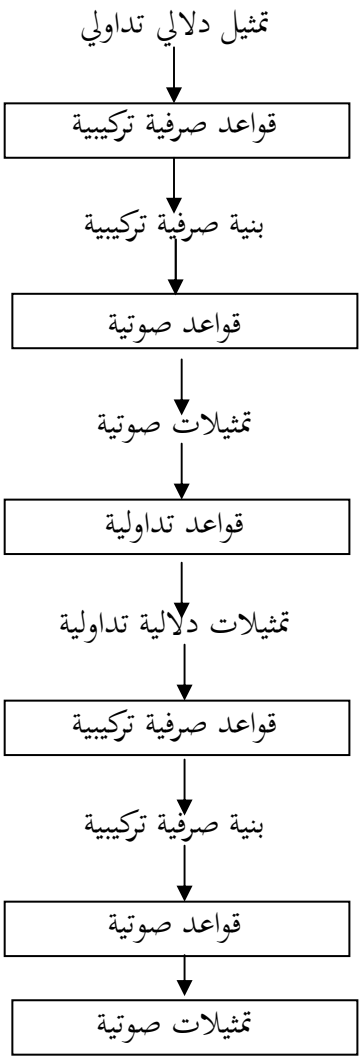


**مخطط يمثل تشكّل الكفاءات التداولية للمرسِل**

يُظهر المخطط تفعيل الكفاءتيْن التواصلية و التداولية ؛وذلك بتشغيل كل العناصر اللغوية و تعبئة مظاهرها من أجل إنتاج خطاب حواري يستطيع التأثير على المتلقين ،وبالتالي إحداث تغيير فيهم ،يمكن أن يسير وفق ما يرومه "ابن المقفع" كمرسِل للخطاب .ويُظهر المخطط رصد الخصائص التداولية للظواهر اللسانية (الصرفية، التركيبية والصوتية) لأنه يفرض أن يكون المكوّن التداولي في بنية النحو أوليا لا غنى للمرسِل عنه.

ومن مظاهر الأثر الحواري في كليلة ودمنة تعدد الأصوات (تمثيلات صوتية polyphonie) الذي يضطلع به "ابن المقفع" في خطاباته ،حيث ينبثق من صوته أصوات متعددة: في مقدمتها صوت المتلقي ، فهذا أكبر دليل على أن المرسَل إليه دائم الحضور في ذهن المرسِل ،وهذا ما سيُتطرق إليه في البحث الموالي.

### 1-2المرسَل إليه:

وإذا انتقلنا إلى المرسل إليه ، فستظهر أهميته مما سبق(المرسِل) ؛ فهو الشريك في عملية التواصل و هو لا يقل أهمية عن الطرف الأول (المرسِل) ، و لأن المرسِل و المرسَل إليه يشكلان بؤرة العملية التواصلية فهما المسؤولان عن نقل اللغة في مجال الموجود بالقوة إلى مجال الموجود بالفعل، إذ يعتبر المرسل إليه شريك المرسل في التصور العام للرسالة الإبداعية ؛إذ يحتل مركز الصدارة حينما يفكر المنشئ للخطاب بصوغ كلامه ، يقول "الجاحظ"(ت255هـ) «**ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني و يوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، و يقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات**»[1] ، ونجد "ابن المقفع" -استنادا لقول الجاحظ- يصنف المرسل إليه ثلاثةَ مستويات: "**قارئ بَدائي**" الذي يتوقف عند السرد بأسلوب الهزل و اللهو ،و يمكن أن نطلق على هؤلاء القراء بالبسطاء و هواة التسلية ،لما يجدون في الكتاب من جوانبَ ترفيهيةٍ فقط،"**القارئ العاقل**" الذي يستوعب الحكمة التي أُلّفت في قالب هزلي ترفيهي ،فيخضع هذا القارئ سلوكه لخلاصة الحكمة و يستخلص منه أسرار النفس وآداب الحياة الاجتماعية بين طوائف الشعوب المختلفة و هناك "**القارئ المتعلم**" الذي يجد في الكتاب المعلوماتِ الكثيرةَ ، و تروقه لغته الصافية و أسلوبه البلاغي المتين و عن غرض تأليف الكتاب وتصنيف قرّائه يقول"ابن المقفع":«**وينبغي للناظر في هذا الكتاب أنه ينقسم إلى أربعة أغراض أحدها ما قصد فيه إلى وضعه على ألسنة البهائم غير الناطقة ليسارع إلى قراءته أهل الهزل من الشبان فتستمال به قلوبهم له لأنه الغرض الوارد من حيل الحيوانات، والثاني إظهار خيالات الحيوانات ليكون أنسا لقلوب الملوك ... والثالث أن يكون على هذه الصفة فيتخذه الملوك السوقة فيكثر بذلك اتساخه، والغرض الرائع وهو الأقصى مخصوص بالفيلسوف خاصة.**»[2]ويعتبر المرسَل إليه عند البلاغيين ذا أهمية تفوق أهمية المرسل الذي لولا وجود وجهة لخطابه ما كان ليكون ،وعلى المتكلم أن يراعي أقدار وطبقات المستمعين من الناحيتيْن : السياسية والاجتماعية « **فلا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة، لأن ذلك جهل بالمقامات، وما يصلح في كل واحد منهما من الكلام**»[3] وهذا ما نجده عند "ابن المقفع"،وإن كان مترجما، فقد راعى لكل

---

[1] الجاحظ، البيان و التبيين، ج1، ص138،139.

[2] ابن المقفع، كليلة ودمنة، غرض الكتاب، ص 56،57.

[3] ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح، جنني محمد شريف مكتبة السياب، مصر، دط، دت، ص 37.

مقام مقاله؛ ففي حديث "بيدبا" الأول للملك "دبشليم" نجده قد هيأ له ظروفا تليق بمقامه كملك، ويظهر ذلك من تصرفه الأول عند دخوله من الباب «**فدخل ووقف بين يديه وكفر وسجد له، واستوى قائما وسكت**»[1] وفي هذا إظهار للاحترام والتقدير للملك ،لأن مقامه يستدعي ذلك وسنرى كيف استطاع "بيدبا" أن يؤثر بتصرفه هذا في الملك لما نطلع على ردة فعل "دبشليم" « **ثم رفع رأسه إلى بيدبا وقال له: نظرت إليك يا "بيدبا" ساكتا لا تعرض حاجتك ولا تذكر بغيتك... فإن الحكماء لا يبشرون إلا بالخير والجهال لا يسيرون بضده، وأنا قد فسحت لك في الكلام، فلما سمع "بيدبا" ذلك من الملك أُفرج عنه روعه** »[2]

وقد بين لنا أسلوب"بيدبا" المتأدب إحراز المنفعة من "دبشليم" المرسل إليه وتجنب الغضب منه.

ثم تكلم "بيدبا" المرسل:« **أول ما أقول إني أسأل الله تعالى بقاء الملك على الأبد... لأن الملك قد منحني في مقامي هذا محلا جعله شرفا لي... والأمر الذي دعاني إلى الدخول على الملك وحملني على المخاطرة في كلامه والإقدام عليه نصيحة اختصصته بها، دون غيره... قال الملك: تكلم مهما شئت فإني مصغٍ إليك... قال بيدبا:... إنك أيها الملك السعيدُ جدُّه الطالعُ كوكبُ سعده قد ورثت أرضهم وديارهم وأموالهم ومنازلهم التي كانت عدتهم فأقمت فيما خولت من الملك ... فلم تقم في ذلك بحق ما يجب عليك بل طغيت وبغيت وعتوت وعلوت على الرعية وأسأت السيرة وعَظُمت منك البلية وكان الأولى والأشبه بك أن تسلك سبيل أسلافك وتتبع آثار الملوك قبلك... وتحسن النظر برعيتك... فلما فرغ "بيدبا" من مقالته... أوغر صدر الملك فأغلظ له في الجواب استصغارا لأمره ثم أمر به أن يُقتل ويُصلب...**»[3] .لقد جسدت هذه الخطابات التي أرسلها "بيدبا" لـ"دبشليم" –بتدرجاتها– نوع العلاقة بين طرفي الخطاب، والملاحظ أنه كلما كانت العلاقة رسمية، كلما كان الخطاب أكثر مباشرة على قصده[4] ونلاحظ أن المرسل "بيدبا" كان من الشجاعة بمكان أنْ لم يُراعِ نفسية المرسل إليه دبشليم ،وذلك حرصا منه على تحسّن أحوال الرعية، يقول "ابن وهب"(ت197هـ) « **وإذا رأى الخطيب من القوم إقبالا عليه وإنصاتا لقوله فأحبوا أن يزيدَهم، زادهم على مقدار احتمالهم ونشاطهم، وإذا تبين منهم إعراضا وتثاقلا عن استماع قوله خفّف عنهم فقد قيل من لم ينشُط لكلامك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك**»[5] .وهذا ما حدث مع "بيدبا" الذي انصرف

---

[1] ابن المقفع، كليلة ودمنة، مقدمة الكتاب، ص 12.

[2] المصدر نفسه، ص13.

[3] الصدر نفسه، ص 16، 17.

[4] ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص49.

[5] ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص 95.

عن سماعه الملكُ لأنه صارحه بظلمه وجوره على الرعية، فأدى ذلك إلى حدوث قطيعة في العملية التواصلية، وهنا يبرز دور المرسل إليه في التأثير في نشاط المتكلم وقدرته على الاستمرار ،خاصة وإن كان المرسل إليه من أصحاب السلطة .يقول "عبد الهادي بن ظافر الشهري":« **وعليه فالعلاقة هي التي تحدد الاستراتيجية المناسبة لتجسيدها وردة الفعل المتوقعة، ... ومن حق المرسل إليه أن يرفض الرد، في حالة عدم امتلاك المرسل للسلطة التي تخوله أن يأمر**»[1] لكن رفض المرسل إليه "دبشليم" لخطاب "بيدبا" المرسل، لم يدم طويلا فبعد أن أمر بزجه في السجن، تفكّر في نفسه في قول "بيدبا" واستدرك الخطأ الذي وقع فيه، فرجع عن رأيه واعترف بكلام الفيلسوف"بيدبا" وأمر بإطلاق سراحه، وعلم أن "بيدبا" يصبو إلى صلاح أمور الرعية لا أن يقلل احترامه للملك. وتعد المعرفة المشتركة من العناصر المؤثرة، وهي الرصيد الذي يشترك فيه طرفا الخطاب، ويعتمدان عليها في إنجاز التواصل، إذ ينطلق المرسل من عناصرها السياقية في إنتاج خطاباته كما يعول عليها المرسل إليه في تأويله، وذلك حتى يتمكنا من الإفهام والفهم[2] ومثال ذلك اشتراك الطرفين في الحكمة ؛فالفيلسوف "بيدبا" حكيم ويظهر ذلك في مثل قوله:« **إني وجدت الأمور التي اختص بها الإنسان من بين سائر الحيوان الحكمة والعفة والعقل والعدل، والعلم والأدب والروية دخلت في باب الحكمة، والعلم والصبر والوقار داخلة في باب العقل**...»[3] والملك دبشليم أيضا فيه من الحكمة ما يجعله يفهم كلام الفلاسفة والأدباء والعلماء ،حيث قال: « **لقد أسأت فيما صنعت بهذا الفيلسوف... وحملني ذلك بسرعة الغضب، وقد قالت العلماء أربعة لا ينبغي أن تكون في الملوك: الغضب فإنه أجدر الأشياء بصاحبه مقتا**...»[4] وهذا ما يظهر التفاعل بين مستعمليْ الخطاب "بيدبا ودبشليم" بما يحقق القيمة الاستعمالية للغة، فينصهر كل منهما في تحقيق المرجعية التداولية التي يحددها الاستعمال التواصلي بين أفراد المجتمع ،الذين يتواصلون –بعضهم ببعض– لإنجاز أفعال لغوية مع إقامة الاعتبار لأُطر المجتمع العامة: الدينية ،الثقافية ،الاقتصادية والاجتماعية.وإضافة إلى المعرفة المشتركة بين "بيدبا" و"دبشليم" يتوجب أن يكون لهما مقدار متقارب من المعرفة اللغوية، لأن ذلك يعتبر عنصرا مهما في السياق لذا يرى "أبو هلال العسكري"(**ت395هـ**):« **أن أول ما ينبغي أن تستعمله في كتابتك مكاتبة كل فريق منهم على مقدار طبقتهم وقوتهم في المنطق**»[5]

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 49.

[2] ينظر، المرجع نفسه ، ص 49.

[3] ابن المقفع، كليلة ودمنة، باب مقدمة الكتاب، ص 14.

[4] المصدر نفسه، ص18.

[5] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 172.

ويحرص أبو هلال العسكري على المعرفة اللغوية المشتركة بين الطرفين لإحراز المنفعة والفائدة من جهة ،ونيل الرضا والقَبول من المتلقي من جهة ثانية، وذلك تحقيقا للتفاعل الاجتماعي، وهذا ما حدث بين " بيدبا ودبشليم إذ عبر "بيدبا" عن المعنى المراد إيصاله إلى "دبشليم" بقدر ما كان منطوقا، أي بقدر ما هو موجود في المجتمع، وهو بهذا أحسن استعمال الأشكال اللغوية وفق توظيفاتها التداولية، بالطريقة التي تؤثر في الملك على الرغم من أنه لم يتجنب ذكر ما لا يحبه أيّ ملك يصفه وزيره وفيلسوف عرشه بأنه ظالم لنفسه ولرعيته، فالسر في نجاح " بيدبا" في إقناع "دبشليم" حتى وإن أخذ ذلك فترة من الزمن هو اشتراكهما في المعرفتين اللغوية والثقافية ،لما لهذه الأخيرة من أثر في الهيمنة على المعاني المتداولة في ذهن المتلقي ،إذ نجد "دبشليم" قد رأى نفسه أنه مخطئ في حكمه على "بيدبا" وأنّ عليه أن يستعمل خلفيته المعرفية ليتمكن من تحقيق الانسجام مع الفكر الجمعي، فما حدث معه هو مساءلة نفسه وتصحيح فهمه لقضايا جوهرية بائنة للعَيَان، ولا يختلف فيها اثنان ،ذلك أن "بيدبا" قد تكلم بالحكمة وسداد الرأي، قال دبشليم :« **يا بيدبا قد استعذبت كلامك وحسُن موقعه في قلبي وأنا ناظر في الذي أشرت به وعامل بما أمرت**» [1]

### 1-3 سياق الخطاب:

لقد تجاوزت التداولية التعامل البنيوي مع النص باعتباره مستقلا عن السياق، حيث اعتبرت أي خطاب أدبي خطابا في سياق، أي لا بد من وضع ما يتحدث عنه مرسِل معين من موضوعات في سياق ،ويمكن القول كذلك بأنه الموقف الذي يجب أن يضع " المتكلم" كلامه على صورته « **فلكل رسالة سياق معين مضبوط قيلت فيه، ولا نفهم مكوناتها الجزئية أو تُفك رموزها السّننية إلا بالإحالة على الملابسات التي أنجزت فيها الرسالة، قصد إدراك القيمة الإخبارية للخطاب**»[2] فدون السياق لا يمكن فهم مقاصد المرسل التي يريد إفهامها للمرسل إليه، ويؤكد "دي بوجراند"(De Bogrand) أهمية السياق للنص « **إذ ينبغي للنص أن يتصل بموقف يكون فيه موقف حدوث situatio of occurrence تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات والتوقعات والمعارف وهذه البيئة الشاسعة تسمى سياق الموقف«context of situation** »[3] والسياق بهذا –وفي نظر "بوجراند"– يشمل المحيطيات الثقافية ،الاجتماعية ،المعرفية والتاريخية، وهذا ما نلاحظه عند "جون دوبوا" (Jhon Dubois)الذي قد ركز كثيرا على العناصر خارج لسانية في تحديده للسياق ألا وهي

---

[1] الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، منشورات الاختلاف، ط1، 2007 ، ص30.

[2] ديبوجراند روبرت، النص والخطاب والإجراء، تر، تمام حسان، عالم الكتب،ط1، القاهرة، 1998، ص 91.

[3] Jhon Dubois, Dictionnaire de linguistique, Larousse, paris 1973, pp 120 ;121.

الشروط الاجتماعية التي يتحقق فيها الخطاب بين المرسل والمتلقي في زمان ومكان معينين يقول "جون دوبوا" معرفا السياق« **جملة الشروط الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي واستعمال اللغة... وهي المعطيات المشتركة بين المرسل والمتلقي والوضعية الثقافية والنفسية والتجارب والمعلومات الشائعة بينهما**»[1] ويبين هذا القول أن السياق يسهم إلى حد بعيد في إزالة اللَّبس الذي يكتنف الخطاب وذلك بعوامل لسانية وتداولية ،ومن هنا يمكن الأخذ بتصنيف " بريت" (parret) للسياق إذ قسمه خمسة أنواع: السياق التاريخي ،السياق الاجتماعي، السياق المقامي، سياق الفعل والسياق النفسي[2]

وسيتم اتباع هذا التقسيم في تحليل أبواب "كليلة ودمنة" لأجل الوصول إلى أغراض ومقاصد "ابن المقفع" التي يريد من القارئ أن يُلزم نفسه بحسن النظر فيها والغوص في أغوارها، لتحصل الفائدة كاملة، لأنه من لم يفهم ما فيه ولم يعلم غرضيْه الظاهر والباطن لم ينتفع بما فيه من دُرَرٍ وجواهر.

### 1-3-1 السياقان الاجتماعي والتاريخي:

يتضمن السياق الذاكرة التي تعتبر واقعا تاريخيا وذهنيا، كما أن السياق يفقد وجوده خارج الذات،«**فالتفاعل اللغوي أو الخطابي يتوقف على ذاكرة التفاعلات والأقوال السابقة ويسعى إلى بناء ذاكرة جديدة تكون قاعدة لتفاعل لاحق**»[3]، فالذاكرة تكتفي –بهذا- بالمعارف الجاهزة منذ زمن قريب، وتسمى هذه المعارف التي يشترك فيها المتخاطبون شعوريا "بالذاكرة النصية" أو "الخطابية" وهي التي تسمح بحدوث التفاعل وتهدف إليه، وتعمل الأحداث المقامية الخارجة عن اللغة بتغذيتها باستمرار، بالعناصر اللغوية التي تحيل على تلك الأحداث أو أنها تجسدها.[4]

يفيد السياق الاجتماعي" لكليلة ودمنة" التعرف على راهنية الأحوال السياسية والاجتماعية التي رافقت حياته إذ إنه ولد في عصر كانت فيه الخلافة الأُموية في أعز أيامها كما شهد حكم أبا جعفر المنصور في العهد العباسي فكان "ابن المقفع" من بين الأدباء الذين اشتغلوا عنده بالكتابة والترجمة والتأليف، وكان يدرك من حقيقة جبروت المنصور ما لا يدركه غيره وقد صعبت عليه مواجهة المنصور بالحقيقة ونقده نقدا صريحا لا تلميحا مثلما فعل "بيدبا"مع "دبشليم"، وعليه يصعب علينا التكهن بنفس النتائج إذا تبنى الاثنان الاستراتيجية نفسها، فبيدبا

---

[1] ابن المقفع، كليلة ودمنة، مقدمة الكتاب، ص 18.

[2] ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 42.

[3] Adam G.M, lingiustique textuelle, typologie (s) et séquentialité in Apprendre, Enseignera produire des textes écrits, colloque international, Université de namur, Belgique, 1986, p126.

[4] ينظر، عمر بلخير، معالم لدراسة تداولية وحجاجية للخطاب الصحفي الجزائري، ص 149.

قد حظي بمكانة مرموقة نتيجة ما حققه باستراتيجية الخطابية، أما "ابن المقفع" فقد قتل رغم احتياطه في التعبير عن مقاصده إذ كان يتخفى وراء الاستراتيجية التلميحية واستنطاق الحيوان، لأجل الاحتياط في التعبير عن حاجة المجتمع بالنقدين الاجتماعي والسياسي، وفي هذا الشأن يقول "علي آيت أوشان:" «**من الواضح أن تأثير النص على المقام الاجتماعي، وكذلك تأثير المقام الاجتماعي على النص يمارَسان بواسطة الاستعداد الإدراكي للمستعمل، ذلك أن تفسير هذا الأخير للواقع، مهما كان اصطلاحيا هو الذي يمارس تأثيرا على توجيه الإنتاج النصي وفهم النص من خلال آرائه ومواقفه ورغباته ومصالحه**»[1] ، هذا ما يدل على أن الكلام يكاد يكون فعلا اجتماعيا، وإن الكثير من الاختلاف بين المتكلمين يمكن رؤيته على أنه متعلق بالظواهر الاجتماعية الأخرى فالأفراد مثلا لا يختلف أحدهم ببساطة يمكن رصدها فحسب، ولكنهم يختلفون كأعضاء في المجتمع على أساس من الجنس والدين والمهنة...ولهذا نجد "ابن المقفع" في كليلة ودمنة قد صاغ مواضيعه على مختلف طبقات المجتمع ،نذكر على سبيل المثال ضرورة تهذيب النفس وما ينبغي على الإنسان أن يراعيه من الواجبات في سلوكاته المختلفة في المجتمع الذي يعيش فيه، كما بيّن به الخصال التي تليق به حسب مكانته في المجتمع، وانتقل إلى النظر في سيرة الملوك وإلى ما يجب عليهم أن يتحلوا به من خصال وأخلاق، لأنهم يعتبرون قدوة الشعوب، ولما كان "ابن المقفع" يرغب في أن يكون لملفوظه تأثير أفضل على مخاطبيه في المقام التواصلي، لجأ إلى استراتيجيات عدة تؤدّي دورا في التفسير الاجتماعي « **يمكن أن تكون بعض النصوص فعالة على مستوى ما يمكن تسميته بالسياق الاجتماعي الكبير Micro- contexte Social أي على مستوى المؤسسات ولا تقوم العلاقة التفاعلية بين المؤسسات فقط، إنما أيضا بين المؤسسات والأفراد**»[2] وهذا ما نجده لدى "ابن المقفع" الذي ألح إلحاحا كبيرا من خلال خطاباته الفاعلة على تبيين كيفية إقامة العلاقات بين الأفراد في المجتمع كعلاقة الملك بالرعية، علاقة الفيلسوف بالملك، وكيف يجب أن تُبنى على أسسٍ وقواعدَ ولاشك أن التواصل اللغوي في خطابات "كليلة ودمنة" كان له مستواه الفاعل في تنظيم هذه العلاقات الاجتماعية وذلك عبر اختيار الكلمات التي تكافئ كل طبقة، والأكثر وجاهة أو الأقل، وهذا ما يتضح لنا من خلال الحوار الإطار الجامع بين الفيلسوف "بيدبا" والملك "دبشليم" وكيف أن الفيلسوف يبدي احترامه للملك وولاءه«**أيها الملك الناصح، الشفيق الصادق الرفيق... وقال له دبشليم: يا بيدبا إني قد استعذبت كلامك وحسن موقعه في قلبي، وأنا ناظر في الذي أشرت به وعامل بما أمرت**»[3] وهي كلها حيثيات استعمالية تتعلق بذوات المتحدثين، فتتطلب الصيغ المؤدبة في الطلب والجواب، حيث نجد "بيدبا" قد أحسن الصوغ مظهرا

---

[1] علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ص 46.

[2] المرجع نفسه، ص 88.

[3] ابن المقفع، كليلة ودمنة، مقدمة الكتاب، ص 18.

احترامه ووقاره ما جعل الملك صاحب المركز الاجتماعي المشع نفوذه يتكافئ معه مرتبةً من حيث الأداءُ التخاطبي فتكون بذلك الصورة التواصلية عادية وغير مبالغ فيها.

وليس ببعيد عن ذلك ما شهده "الثور" من "الأسد" مالك الغابة من حسن صحبة ورفعة منزلة « **فقال له الأسد: اصحبني والزمني فإني مكرمك، فدعا له الثور وأثنى عليه، ثم إن الأسد قد ربه وأرمه وأنبش به وائتمنه على أسراره وشاوره في أمره**»[1] وفي هذا تضامن بين من يملك السلطة وعلو المنزلة مع من يدنوه مكانة وهذا لأن "الأسد" لديه استعداد لذلك، لأجل أن يتكافئ مع المخاطب الثور ولكن بالمقابل قد لا يتضامن المتكلم ولا يرغب في ذلك، عندما تعلو سلطته عليه وتبرز وتغلب وجاهته، فيتعامل من هو أعلى مرتبة اجتماعية مع من يدنوه بأسلوب رسمي، وهذا ما لم نجده في خطابات "كليلة ودمنة" لأن كل ملك من ملوك القصص على ألسنة الحيوانات كالأسد مع الثور، ومع ابن آوى، أو الملوك البشرية كبلاذ مع إيلاذ أو الملك مع الطائر فنزة، حتى وإن كان يتعامل مع من يقله مكانة اجتماعية برسمية، إلا أن هذه الرغبة لا تدوم أحيانا مع الملوك، ولا يميلون إلى الحفاظ على استمرارها وإطلاقها، إذ سيعودون رغم سلطتهم إلى التضامن مع رعاياهم فتغيب بذلك استراتيجية الوجاهة اللغوية بينهم.

### 1-3-2 السياق النفسي:

يعود هذا النوع من السياقات إلى دمج الحالات الذهنية والنفسية في نظرية تداولية اللغة، لتصبح مقاصد المتكلم ورغباته حالات ذهنية مسؤولة عن الفعل والتفاعل[2] وتقوم مؤشرات لغوية عدة في "كليلة ودمنة" بوظيفة وصف نفسية "ابن المقفع" المتأثرة باستراتيجية "بيدبا و"دبشليم" للكشف عن جبروت الملوك وظلمهم لرعاياهم ومن هذه المؤشرات اللفظية تكراره للفظة "يا نفس" في قوله:« **يا نفس أما تعرفين نفعك من ضرك... يا نفس أما تذكرين ما بعد هذه الدار فينسيك ما ما تشرهين إليه؟... يا نفس أنظري في أمرك، وانصرفي عن هذا الشفة ... يا نفس لا تغتري بصحبك أحبائك وخلانك... يا نفس لا يحملنك أهلك وأقاربك على جمع ما تهلكين فيه إرادة صلتهم ... يا نفس لا تركني إلى هذه الدار الفانية... يا نفس لا تملي من عيادة المرضى ومداواتهم... يا نفس لا يبعد عليك أمر الآخرة فتميلي إلى العاجلة في استعجال القليل وبيع الكثير باليسير**»[3]

---

[1] المصدر السابق، كليلة ودمنة، باب الأسد والثور، ص 90.

[2] ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 44.

[3] ابن المقفع، كليلة ودمنة، باب برزويه، ص 63، 64.

ففي هذا النص جعل "ابن المقفع" من نفسه شخصا آخر يحاوره ويقدم له الحجج فمُلئ النص بالمعاني النفسية كاللوم والتفريع والتوبيخ والإنكار والعجب الذي يجعل النفس تحذر الوقوع فيما جاء بعدها من معانٍ وأوامر، والملاحظ أن هذه اللفظة يا نفس قد سبقت بنداء متجرد مع كل تكرار للفظة، وهذا يدل على انبعاثها من أعماق النفس وفي هذا توجيه لنفسه نحو المعاني المقصودة[1] وهي كثيرة ومتنوعة جاءت في قالب حواري يزيد حيوية الخطاب ويؤثر في المتلقين و"ابن المقفع" في كل مرة ينوع فيها المعاني، يزيد من عنصر التشويق ما يضمن انتباه المتلقين ،وقد أعقب هذه المعاني بالتمثيل حيث مثل الجسد وهو مملوء بالأخلاط الفاسدة، وموجود للآفات التي تعقدها الحياة وأن الحياة ستنتهي لا محالة كالصنم المفصلة أعضاؤه التي لا يجمعها إلا مسمار واحد ،وهنا هو يثبت قيمة الروح والحياة للجسد، وهذا من أجل أن يثبت أن فعل الخير بمثابة الروح والحياة للجسد.

كما أشار إلى النهاية التي تؤول إليها الصحبة والصداقة وهي الفراق، بعد الرفاق، وصور تحذيره من جمع ما يهلك في سبيل القرابة والأهل بالدخنة ذات الرائحة الطيبة، التي تحترق ليذهب آخرون بريحها وذلك لأجل التحذير من هلاك النفس من أجل منفعة الآخرين وصور الميل إلى الدنيا الفانية والبعد عن الآخرة فيبيع بذلك كثيرا بقليل، بالتاجر الذي تعجل فباع ما عنده من الصندل دفعة واحدة بأرخص الأثمان.

إن كل هذه المعاني صورها "ابن المقفع" من خلال التمثيل لها وذلك كله لأجل التأثير في النفس وإقامة الدليل على صحة القول ،فيستميل بذلك السامعين فيثبت المعاني في نفوسهم ومن ثم يربط بين مد القول وبلوغه الإقناع الذي تصبو إليه التداولية في جوهرها، ودرجة الاستمالة تكون حسب مقدار الحجج التي يرسلها "ابن المقفع" كمترجم لمتلقيه –على تنوعهم– أو ما يرسله "بيدبا" من عواطف تظهر بمظهر الصدق والأخلاق الرفيعة والطيبة فيترتب عن ذلك بث الارتياح في الأنصاب من قبل المستمع الأول "دبشليم" وبقية أنواع المتلقين.

### 1-3-3 السياق المقامي:

المقام شرط تداولي يُعنى بضرورة موافقة أفعال القول لمقتضى الحال والموقف الخاص به، ومفهوم الحال لا يختلف عن مفهوم المقام « **الذي يشمل مجموعة الاعتبارات والظروف والملابسات المحيطة بالنشاط اللغوي وتؤثر فيه، بحيث لا تتجلى دلالة الكلام إلا في ظلها**»[2] فالرسالة اللغوية قصدية يتم توجيهها من متكلم يعني بها شيئا ما إلى مرسل إليه معين ،والكل يُسيّره النظام العام الذي تندرج تحته أنظمة خاصة أساسها

---

[1] ينظر، نوير بنت ناصر، تنوع الأداء البلاغي في أدب ابن المقفع، ص 91.

[2] التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، وضع حواشيه أحمد حسن ثبج، منشورات دار الكتب العلمية، ط1،بيروت، لبنان، 1991، مج3، ص 574.

الفعل اللغوي ،ومنه فكل علامة قابلة للظهور في استجابة واحدة بناءً على سياق معطى، كما يمكنها أن تكون قابلة للظهور في واحدة من الاستجابات الممكنة، وهي استجابة يمكن أن تتوافر لدى مؤول واحد أو عدة مؤولين.

والسياق المقامي يوفر—جزئيا- بعض المحددات التي تسهم في تحديد معاني التعبيرات اللغوية[1] وأغلب هذه المحددات تكون اجتماعية، يقول "السكاكي" محددا بعض المقامات مشيرا إلى ضرورة تنوع الكلام بتنوعها « **لا يخفي عليك أن مقاماتِ الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنئة يباين مقام التعزية... ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار، جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر**»[2] وفي هذا يتجلى التوجه التداولي إذ من الضرورة مناسبة الكلام للمقام وقصد المتكلم وحاجاته مما يعكس الجانب النفعي في الخطاب وهذا بالضرورة يقتضي من المتكلم أن يمتلك كفاءة تداولية تخوله لجعل كلامه مطابقا لمقتضى الحال.

وربما أن مقام "كليلة ودمنة" واضح، إذ يندرج ضمن آداب النصح السياسي، أو الآداب السلطانية وإن دراسة المقام كمكون حواري تقتصر دراسة "النظام القولي" بما يضمه من قرائن، والتي تشمل أحوالا أربعة: حال المتكلم، حال السامع، البناء الداخلي أو الصوغ اللغوي والمقام الخارجي ويمكن تقسيمها قسمين: قرائن القول ، قرائن التنظيم [3].

**أولا: قرائن القول:** تظهر وضعية "ابن المقفع" المتكلم على مستوى اللغة من خلال:

1- السمات الذاتية: تنقسم إلى أسماء إشارة تحيلنا على المتلقين أو ما يعرف بضمائر الشخص الأول ( المرسل): أنا والشخص الثاني ( المتلقي) إنك، نظام الزمن: وهو زمن وقوع الأحداث والإلقاء ( زعموا) ذات ليلة...

2- المخصصات: تعمل على تقوية القوة الإنجازية للمتخاطبين ويمكن تقسيمها قسمين[4] مقومات موجهة إلى المتكلم: تشير إلى صدقه وثقته بما يعلم وهي التي يؤثر بها "ابن المقفع" في سامعيه مثل: أنا أعلم، أعتقد وهناك مقويات موجهة إلى المستمع مثل: فهذا مثلك، إنك يا دمنة قد غلب عليك... وهي تشير ضمنيا إلى معرفة المستمع أو المعلومة التي تضع خلفية مشتركة بينه وبين المتكلم.

---

[1] ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 43.

[2] السكاكي، مفتاح العلوم، ص 256.

[3] ينظر، هاجر مدقن، المثل في كتاب "كليلة ودمنة" بين الإخبارية والتوصيلية، تقريب تداولي، مقال مجلة الأثر، العدد الخاص، أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب، الجزائر، ص 248، 249.

[4] ينظر، محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 322.

3- الأفعال الذاتية: هي الأفعال أو الصفات التي يظهر بها "ابن المقفع" ردة فعله بألفاظ شعورية أو تقييميه لشيء ما مثل قوله: فهذا مثلك في قلة انتفاعك بالأدب والموعظة، قد غلب عليها الحب والعجز.

**ثانيا: قرائن التنظيم:** الغرض منها تبيان وتوضيح مدى تناسق الأقوال والحجج وترتيبها على الصعيدين الداخلي والخارجي

الصعيد الخارجي: يظهر في شكل تقديم النص، ومن خلال العناوين، أما الصعيد الداخلي فيركز فيه "ابن المقفع" على الروابط الحجاجية حيث جاءت "كليلة ودمنة" مجموعة من الحكم والأمثال التي كانت ضمن المأثورات العربية، والتي كانت تأخذ دلالتها في السياق والأمر الذي أكسبها مصداقيتها وقوتها الحجاجية هو أنها قد صدرت من مرسل تتفق وإياه في الصفات وهو الفيلسوف الذي لا يفتأ أن يتحدث إلا بالكلام الحكيم تقول "حنا الفاخوري"« **الحكمة في كليلة ودمنة جوهر وأما ما بقي فعرض، والأشخاص في جملتهم حكماء ينطقون بالحكمة كما يضربون أحيانا الأمثال، ويحاولون الإقناع بصحة الحكمة وضرورة الجري بموجبها والحكمة في كليلة ودمنة ليست مقصورة على ما يستخلص أيضا في كل مكان... بل هي عموما نتيجة الخبرة والعقل والتفكير**»[1] وفي معرض مراعاة "ابن المقفع" للجوانب التداولية من خلال مراعاته لمقتضى أحوال المخاطبين تحقيقا لمقولة :"لكل مقام مقال" لوحظ اطراد استعمال "ابن المقفع" في التمثيل للجمل القصيرة وهذا لا يرجع إلى المعنى إنما يرجع إلى كيفية بروزه ومعرضه؛ ففي إدراكه بالصور المشاهدة وإحالة المعاني العقلية إلى صور ماثلة أمام العينين حتى أصبحت مما يرى بالعين ويعقل بالقلب، مما يزيد نفوس المتلقين أَنسا وقَبولا فيرمي بالمعنى في القلب بواسطة طريح واضح ومختصر، فاستدعى ذلك منه استعمال ما قصُر من الجمل، إذ لو استعمل طريق عرض ما استقصى ورُصد لطال الأمر ودعا إلى الملل، وهذا ما يبين مراعاة مقتضى الحال في "كليلة ودمنة" باختلاف مقامات الكلام ليكون مطابقا لأحوال المتلقين.

ويكتفي البحث بعرض هذه الأنواع من السياقات، إذ لا يعرض لسياقيْ الفعل والقرائن، لأن المتتبّع لعرض ما سبق من أنواع السياقات يلحظ تداخلها وترابطها فلا يستغني أي واحد منها على الأنواع الأخرى ذلك أن تحليل النصوص يتطلب مقاربة متعددة الأبعاد تفرض الربط بين مختلف المستويات في السياقات المتعددة فيما يعرف بتقاطع النزعة المقالية والتعدد السياقي « **وهذا يبين مكامن الخطاب ليضطلع المتكلم بدوره التلفظي كاملا، ومن جهتها النزعة المقالية تعطي للسياقات التداولية الإطار الأمثل للإنتاج اللساني الهادف**»[2]وقد بينت

---

[1] حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المكتبة البولسية ، ط1، لبنان، 1980، ص 463.

[2] ينظر، محمد نظيف، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية إفريقيا الشرق، دط، 2010، ص 18.

دراسة سياقات كليلة ودمنة كفاية المنهج التداولي لأنه يشير إلى وجهات نظر معينة وتوجه معروف نحو المظاهر اللغوية المختلفة.

وتجدر الإشارة إلى إمكانية اعتبار طرفي التواصل المرسل والمرسل إليه من أهم عناصر السياق الشخصية إضافة إلى مكان التلفظ وزمانه وما فيه من شخوص وعناصر وما يحيط بها من عوامل حياتية اجتماعية أو سياسية أو ثقافية ما يمكن تسميته الجو الخارجي الذي يلف إنتاج خطاب "كليلة ودمنة".

## II–مبادئ وآليات الإجراء التداولي لتحليل خطاب "كليلة ودمنة"

يحاول هذا المبحث الوصول إلى إدراك ومعرفة ماهية هذا النمط من التداولية وكذا البعد الحقيقي للسياق فيه، عن طريق النظر في مجموعة من القواعد والقوانين التي تجعل المتكلم يقول ما يريد قوله دون التصريح بذلك، والمستمع يدرك ما لم يصرح به، وهذا ما اعتمده "ابن المقفع" في تعبيره عن مقاصده، فيما يعرف " بالاستراتيجية التلميحية" وهي استراتيجية غير مباشرة تحكمها مجموعة مبادئ وآليات، تساعدنا على فهمها وتأويلها، ويشمل هذا النمط من التداولية جل الدراسات التي تؤسس لقوانين الحديث ،ولعل أبرزها ما قدمه غرايس (Grice Herbert Paul) فيما يعرف بالمبدأ التعاوني (*) (cooeperative principle) في الحوار، ويشكل هذا المبدأ العمود الفقري للنشاط الكلامي، إذ إنه يمكن المتخاطبين من ضمان عدم انقطاع التواصل، لذلك فإن كل طرف من الخطاب يعترف لنفسه وللآخر بالحق في التناوب على الكلام[1] ولعل انعدام التفاهم بين المتخاطبين مرجعه غياب ذلك الاعتراف المتبادل منذ البداية، ولأن تحليل الخطاب تداوليا لا يتم إلا بمعرفة القوانين والآليات التي تؤسس له، فيمكن إجمالها في قوانينَ وآلياتٍ كما يلي:

**1– القوانين ( المبادئ)** : إن خضوع المخاطِب للمتلقي وخضوع المتلقي للمخاطِب يستند إلى قوانينَ يعرّفها دومينيك مانغينو (Dominique Mangueneau) بأنها «**القواعد التي تتغير بتغير الثقافات، والتي يفرض كل مشارك أن الآخر يحترمها عندما يلعبون لعبة التبادل اللغوي (l'échange Verval)**»[2] وتؤدّي هذه القوانين دورا هاما في فهم وتأويل الملفوظات، وتحدد نمطا معينا للكفاءة التداولية أو ما يسميه البعض الكفاءة البلاغية، إذ إن المتحاوريْن كل منهما يُبدي تعاونا ويبذل مجهودا لنجاح المحاورة وجعلها مثالية، والأمر لا يتعلق بمدى التزام المتكلميْن بقوانين الخطاب بقدر ما يتعلق بوجود عقد ضمني (contract tacite) مما يجعل من المحادثة نشاطا اجتماعيا.إن هذا العقد الضمني ليس اتفاقا صريحا، ولا هو إلزاميا كما هو الحال في قوانين اللغة إنه عبارة عن قواعد تنسيقية بين المتحاوريْن[3] وقوانين الخطاب هذه تتغير تسمياتها من باحث إلى آخرَ رغم أن عناصرها وأسسها تكاد تكون ثابتة ويمكن تحديد ثلاثة مبادئ أساسة اعتمدها "دومنيك مانغينو":

---

(*) وهو ما أسماه ديكرو Ducrot بقوانين الخطاب، وهي قوانين توجه العملية التواصلية بين الأشخاص بتحديد الأدوار التي يحتلها كل واحد من هؤلاء كما تبرز البعد التبادلي الحواري للخطاب، ينظر، عمر بلخير. تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 99.

(1) المرجع نفسه، ص 101.

(2) Dominique Mangeneau . les termes cles de l'analyse du discours ,p 54.

(3) Mangueneau, ibid, p101

**1-1- مبدأ التعاون (principe de coopération)** والقواعد المتفرعة عنه:مفاد هذا المبدأ على أطراف الحوار أن تتعاون فيما بينها لتحصيل المطلوب وتحقيق الهدف من الحوار الذي دخلا فيه وقد يكون هذا الهدف محددا قبل دخولهما الحوار في الكلام أو يحصل تحديده في أثناء هذا الكلام[1]، ولهذا تكون صيغة هذا المبدأ «**ليكن انتهاضك للتخاطب على الوجه الذي يقتضيه الغرض منه**»[2] وهذا يدعو إلى أن تكون المساهمة الحوارية، بمقدار ما يطلب في مجال يتوسل إليه بهذه المساهمة تحدوه غاية الحديث المتبادل أو اتجاهه[3] وبعد أن حدد "غرايس"(Grice) المبدأ العام ( التعاون) عمد إلى تفريعه إلى مجموعة من القواعد الحوارية.

*** قواعد التخاطب المتفرعة عن مبدأ التعاون:**

سيحاول البحث تطبيق هذه القواعد على "كليلة ودمنة" ومعرفة كيف استطاع "ابن المقفع" التعبير عن مقاصده بأكثر ما قاله من مجرد التلفظ، وكيف يتجاوز القارئ المعنى الحرفي إلى معانٍ خفية يعيننا على اكتشافها تنوع السياق في " كليلة ودمنة".

إن هذه القواعد المتفرعة عن "مبدأ التعاون" قواعد تخاطبية تساهم في تشكل وتواصل النشاط الكلامي وتتمثل في:

**1- قاعدة الكم (le maxime de quantité ) :**

في هذه القاعدة على المتحاوريْن احترام مقدار الفائدة المطلوبة وتتفرع بدورها إلى: [4]

* لتكن إفادتك للمخاطب على قدر حاجته.

* لا تجعل إفادتك تتجاوز حد المطلوب.

وهذا ما يلخصه القول المعروف "خير الكلام ما قل ودل"

وربما يتبادر للأذهان للوهلة الأولى أن بيدبا لم يحترم قاعدة الكم في تداوله الخطاب مع "دبشليم" ذلك أنه يكثر من التمثيل كلما أراد إيصال معنى من المعاني، إلا أنه وجد في ذلك طريقة لصوغ أفكاره وتوصيلها حجاجيا بأبعاد تداولية ،وذلك لما يتعلق بجوهر التمثيل الذي يعبر عنه "عبد القاهر الجرجاني" « **واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه... فأول ذلك وأظهره أنّ أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكني وأن تردها في الشيء تعلمها**

---

(1) ينظر، طه عبد الرحمن، مفهوم التخاطب بين مقتضى التبليغ ومقتضى التهذيب، مجلة كلية الآداب، بني ملال، العدد 1، 1994، ص 43،44.

(2) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،ط1، 1998، ص 237.

(3) ينظر، أزاييط بن عيسى، من تداوليات المعنى المضمر، سلسلة الندوات، 1992، ص 46.

(4) ينظر، العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص 99

**إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم»**[1] فالتمثيل وإن كان في شكله شيء من الإطناب فهو يختصر لنا المعاني التي ربما لا نتحصل على الموجز منها إلا بهذه الاستراتيجية التمثيلية ومثال الإيجاز بالتمثيل ذكره ابن المقفع أولا بقوله «**وكذلك من قرأ هذا الكتاب ولم يفهم ما فيه، ولم يعلم غرضه ظاهرا وباطنا لم ينتفع بما بدا له من خطأ ونقشه، كما لو قدم له جوز صحيح، لم ينتفع إلا أن يكسره ويستخرج ما فيه، وكان أيضا كالرجل الذي طلب علم التوضيح من كلام الناس، فأتي صديقا له من العلماء له علم الفصاحة، فأعلمه حاجته إلى علم الفصيح، فرسم له صديقه صحيفة صفراء فصيح الكلام وتصاريفه ووجوهه، فانصرف إلى منزله، فجعل يكثر قراءتها ولا يقف على معانيها ولا يهتم بتأويل ما فيها، حتى استظهرها عليها، فاعتقد أنه قد أحاط بعلم ما فيها، ثم إنه جلس ذات يوم في محفل من أهل العلم والأدب فأخذني في محاورتهم فجرت له كلمة أخطأ فيها، فقال له بعض الجماعة إنك قد أخطأت والوجه غير ما تكلمت به، فقال: كيف أخطئ وقد قرأت الصحيفة الصفراء وهي في منزلي، فكانت مقالته لهم أوجب للحجة عليه وزاده ذلك قربا من الجهل وبعدا من الأدب** »[2]

نجد "ابن المقفع" أراد أن يعبر عن معنى واحد هو عدم الانتفاع وخسارة الفائدة إلا أنه مثّل لهذا بصورتين جاءتا في قالب قصصي[3]:

الأولى: جاءت موجزة وهي تصوير هذا المعنى بالرجل الذي قدم له جوز صحيح لكنه لا يستفيد منه إلا بكسره واستخراج ما فيه، وكانت صورة في غاية القصر والاختزال تشير إلى حصول العلم دون طلب وهو المعنى الذي أشار إليه الفعل المبني للمجهول، من أن العلم قدم إليه من غير طلب أو أن تظهر حاجته له.

بينما أشارت الثانية: وهي تصوير المعنى بالرجل الذي طلب المعنى الفصيح من عامة الناس، فلما صادفه أحد علماء الفصاحة وشرح له حاجته في تعلم العلم الفصيح، فرسم له الطريق الصحيح في تعلم الفصيح في صحيفة صفراء تبين وجوه الكلام وتصاريفه، فأخذها وعاد إلى منزله، وأخذ يحفظ ما فيها دون وعي وإدراك بمعانيها وما ترمي إليه حتى حفظها عن ظهر قلب وظن أنه أحاط بعلم الفصيح حتى إذا كان يوم من الأيام اجتمع في مجلس أهل علم وأدب، فأخذ يحاورهم، فأخطأ في كلمة، ولما بين له أحد الجالسين خطأ تعجب فكان هذا وهو قد حفظ الصحيفة الصفراء الموجودة في منزله فكان هذا الكلام حجة عليه لا له، وكان إلى الجهل أقرب

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 85.

[2] ابن المقفع، كليلة ودمنة، غرض الكتاب، ص 47.

[3] نوير بنت ناصر محمد عبد الله الثبيتي، تنوع الأداء البلاغي في أدب ابن المقفع، ص 88.

ومن الأدب أبعد ،وهذه الصورة قد طالت وتعددت أحداثها أشارت إلى حصول العلم بعد الشعور بأهميته ورغبته في اقتنائه وبذل الجَهد في سبيل ذلك لكن الجَهد لم يكن على دراية وعلم بما يطلب ويحفظ.

فإذا كانت الصورتان قد اشتركتا في المعنى إلا أن الصورة الثانية لا يكفي فيها أن يحرم الانتفاع بل يتجاوز الأمر إلى أنه حرم الانتفاع مما أكد ذهنه في طلبه، وأجهد نفسه في الحصول عليه دون بصيرة فيه، ثم إنه إذا حرم الانتفاع وقع في التحرّج والفضيحة، لذلك اختلفت الصورتان الأولى: بنيت على الطي والإيجاز وهي تحقق قاعدة الكم التداولية لم تتجاوز فيها الإفادة حد المطلوب، أما الثانية بنيت على التفصيل الذي يصف المعاني الدقيقة فيها وكانت أبلغ وحملت معانٍ أكثر دقةً، أشارت لها أحداث القصة التي طالت عن القصة الأولى ( لأن المقام استدعى ذلك)، فأسهمت في إيضاح المعنى وبيانه، والمعاني التي يصل إليها القارئ بعد شيء من الجَهد والتركيب والتخييل والتصوير والاستنتاج، فيها من المتعة واللذة في الكشف والوقوف عليها ما لا يخفى.

وتستمر هذه الصور التي تعتمد على الفطانة الذهنية، فنجدها تأتي لنا في هذا الصوغ الجديد وهو صوغ الجمع التمثيلي الذي يصاغ في القالب القصصي وهو من الصوغ النادر، وهذا ما يثبت قدرة "ابن المقفع" وموهبته البيانية، التي تحرص على تقريب المعاني العقلية، فالتمثيل المتعدد خاصية بلاغية جليلة، وهي إخراج المعنى في صور متباينة في النَّظم، وجذب النفس إلى سماع تلك الصور وتتبعها يقول: ابن المقفع":« **إذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق، وآنقا للسمع، وأوسع لشعوب الكلام**»[1]

ومن أمثلة تتابع الأمثال على معنى واحد مرة أخرى في كليلة ودمنة ما قاله "ابن المقفع" « **قال إيلاذ: زعموا أن حمامتيْن ذكرا وأنثى ملآ عشّهما من الحنطة والشعير، فقال الذكر للأنثى: إنا إذا وجدنا في الصحاري ما نعيش به فلسنا نأكل مما هاهنا شيئا، فإذا جاء الشتاء، ولم يكن في الصحاري شيء رجعنا إلى ما في عشنا فأكلناه، فرضيت الأنثى بذلك وقالت له: نعما رأيت، فغاب الذكر... ولما رجع رأس الحب ناقصا فقال لها لمَ أكلته؟ فجعلت تحلف أنها ما أكلت منه شيئا...وجعل ينقرها حتى ماتت فلما جاءت الأمطار ودخل الشتاء تندى الحب وامتلأ العشب كما كان فلما رأى الذكر ذلك ندم، ثم اضطجع إلى جانب حمامته فلم يطعم طعاما ولا شرابا حتى مات إلى جانبها... فالعاقل لا يعجل في العذاب والعفوية**»[2]

---

[1] عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1988، ص 255.

[2] ابن المقفع، كليلة ودمنة، باب ايلاذ وبلاذ وايراخت، ص 205.

يقول "ابن المقفع" في ذات السياق على لسان "إيلاذ ":«**وقد سمعت أيضا أن رجلا دخل الجبل وعلى رأسه كارة [1] من العدس، فوضع الكارة على الأرض ليستريح، فنزل قرد من شجرة فأخذ ملء كفه من العدس وصعد إلى الشجرة، فسقطت من يده حبة، فنزل في طلبها فلم يجدها، وانتثر ما كان في يده من العدس أجمع، وأنت أيضا أيها الملك عندك كثير ممن تحب تدعهم وتطلب مالا تجد، فلما سمع الملك ذلك خشي أن تكون إيراخت قد هلكت فقال : إيهًا [2]إيلاذ أَمِن كلمة واحدة فعلت ما أمرتك من ساعتك وتعلقت بحرف واحد كان مني ولم تتثبت في الأمر؟**» [3]

ففي هذا النص تمثيلان قصصيان لمعنى واحد وهو أنّ على العاقل ألاّ يتعجل، ولكن كل مثل قصصي يحمل معانٍ مغايرة للمثل الآخر؛ فالمثل الأول لم ينصّ على المعنى الذي لأجله ورد المثل في بداية التمثيل وإنما فهم من سير الأحداث السابقة لهذا النص، ذلك أن إيلاذ يريد من الملك ألا يتعجل في تنفيذ قراراه الذي أصدره بشأن إيراخت فجاء بالمثل الأول وأحداثه دارت على لسان الحيوان وافتتحه بكلمة "زعموا" ليشير إلى وضعها والخيال فيها واستخلص المعنى المقصود في قوله "والعاقل لا يعجل في العذاب والعقوبة " ثم جاء بمثلٍ آخرَ البطل فيه رجل وليس حيوانا وقد افتتحه بكلمة "سمعت"، كما كان هذا المثل أوجز من الأول ولم يذكر المعنى المستخلص منه وإنما تركه للقارئ ليستخلصه وهو أن طلب القليل غير الموجود يُذهب بالكثير الموجود فلم يوالِ "ابن المقفع" الأمثال عبثا لمجرد أنه يوالي الأمثال وراء بعضها ،وإنما يحمل كل مثل معانٍ مغايرة ولكل مثل سر ومغزى في مجيئه، وتمثيل "ابن المقفع" في الصور المتعددة السابقة يتطلب من القارئ، جَهدا غير يسير في إدراك المعاني الجزئية وتركيب الصورة الكاملة للمعنى يقول "الجرجاني": «**ومعلوم أن الشيء إذا علم أنه لم ينل في أصله إلا بعد تعب، ولم يدرك إلا باحتمال النصب، كان للعمل بذلك من أمره من للدعاء إلى تعظيمه، وأخذ الناس بتفخيمه، ما يكون لمباشرة الجَهد فيه، وملاقاة الكرب دونه**»[4]

## 2– قاعدة الكيف: (le maxime de qualité )

القصد منها منع ادعاء الكذب أو إثبات الباطل، ولهذا يُطلب من المتكلم ألاّ يورد من العبارات سوى التي وقف على دليل يثبت صدقها فقد تم تفريعها إلى :[5]

---

[1] الكارة: صرة الثياب

[2] إيهًا: اسم فعل بمعنى زدني

[3] ابن المقفع، كليلة ودمنة، باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت، ص 206.

[4] الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 145.

[5] ينظر، العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص 99.

أ- لا تقل ما لم تعلم خطأه.

ب- لا تقل ما ليس لك عليه دليل.

ولقد جاءت خطابات "كليلة ودمنة" طبقا لمحتوى هذه القاعدة مدعومة بالحجة والدليل على كل ما يتلفظه "ابن المقفع"، فيما يعرف بالمحاججة وهي عرض الأدلة المحتملة، وتتطلب البدء بالأدلة القوية، وإتْبَاعها بالأدلة الضعيفة والانتهاء بالأدلة الأكثر قوة[1].

ويعتبر الحوار بين الشخصيات الموظفة في قصص "كليلة ودمنة" مما يُظهر مبدأ التعاون بجلاء وذلك لما يسأل "دبشليم" الفيلسوف "بيديا" عن أشياءَ تخص الملك ورعيته وناشئته فيجيبه الفيلسوف بسرده لقصص خرافية يلمّح فيها أكثر مما يصرح، وذلك بتوظيفه لعنصر المثل، ومثال ذلك قوله:« **زعموا أن ثعلبا جائعا مر بأجمة فيها طبل معلق في شجرة، فهبت الريح، فجعلت قضبان الشجرة تقرع ذلك الطبل فيصوّت صوتا شديدا، فسمع الثعلب فتوجه إليه حتى أناه، فلما رآه ضخما ظن أن ذلك لكَثرة شحمه ولحمه فعالجه حتى شفاه لما رآه أجوفا قال : ما أدري لعل أفشل الأشياء أعظمها جثة وأشدها صوتا** »[2]

فالملاحظ من حكاية "الثعلب والطبل" أنّ "ابن المقفع" يسرد علينا هذه الحكاية وهي لا تعني القص بقدر ما تدل على تقديم حجاجي يهيء للمحاججة حيث كان الغرض من سرد هذه الحكاية هو بيان أن ليس كل الأصوات تُهاب، وقد أثبت ذلك من خلال تخلص الثعلب من الطبل على الرغم من ضخامته وعِظَم صوته. وقد كانت الخاتمة -وهي الحجة الأقوى- بمثابة نتيجة مفادها أن أفشل الأشياء أعظمها جثة وأشدها صوتا .ويبين لنا هذا المثال سلطة "ابن المقفع" الحجاجية فهي تشكّل في حد ذاتها حجة « **فحصول الإقناع لدى المستمع لا يكون إلا بعد مطابقة القول الحجاجي لفعل صاحبه باعتباره دليلا وحجة مادية تسحب على المتكلم، وتزكّي موقفه وتؤكده**»[3] كما لا يمكن إغفال دور المتلقي في معرفة الحجاج، فهو سبب إنشائه وهذا ما يبين بشدة مبدأ التعاون والمشاركة في الخطاب التداولي كخطاب كليلة ودمنة: حيث إنّ بيدبا ومن خلال إنشائه لمختلف أنواع الأمثال والحجج يعتبر -من خلال علو مكانته- الحجة في حد ذاته لأنه يعبر عن مكارم الأخلاق ويبلغ الحكمة على أوسع نطاق ويتعامل مع "دبشليم" الملك بأساليبَ حجاجيةٍ تناسب في كل مرة مقام الحديث؛ فأحيانا يخطابه بالتمثيل على ألسنة الحيوان وأحيانا يصرح له بجوره وتعديه على حقوق الرعية.

---

[1] ينظر، رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص 70، 71.

[2] ابن المقفع، كليلة ودمنة، ص 92.

[3] عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج إفريقيا الشرق ، المغرب، دط، 2006، ص 134.

ولهذا يمكن اعتبار أنّ مستعمل الحجاج ينطلق مما يتصوره في المتلقي وردود فعله الممكنة والمحتملة،ولا يخفى على "بيدبا" إذ يسرد حججه مدى ذكاء مخاطَبه "دبشليم" في اسكتناه المعاني العميقة ما يجعل الحجة تنسج وتفصل على طول المتلقي.

**3- قاعدة العلاقة أو الملائمة (le maxime d'appropriation)**:هي بمثابة حد مقصدي الهدف منها منع المتكلم من أن ينزلق إلى مقاصدَ أخرى مخالفة لتلك التي استهدفها الخطاب،وتقول هذه القاعدة ليناسب مقالك مقامك.[1]

فالمقامات بما تمثله من أوضاع سوسيو-ثقافية هي التي تستدعي أقوالنا وتصوغ مقالاتِنا التي تصوغ هي الأخرى بدورها أقوالنا وأفعالنا ،أو لِنَقل إن المقاماتِ هي التي تفرض علينا أن نقول أقوالها فتجعلنا نتكلمها كما هي أو نقول قولها كما هو[2] حتى إنّ هناك من يعرّف التداولية على أنها دراسة لهيمنة المقام على معنى العبارة[3] وتكون مراعاة اللفظ للمقام بمعانٍ رئيسة من أهمها مراعاة حال المخاطَب واعتمادا على المعطيات السابقة للمقام يمكن تحديد شكله في كليلة ودمنة انطلاقا من حال منشئه "ابن المقفع، بيدبا" ووضعيته ودوافعه وباعتباره إطارا حدد الخطاب الإبداعي للطرح من مقدمات وقيم متراتبة حجاجا وهذا ما تمت الإشارة إليه في المبحث السابق وفي مبحث سياق المقام.

**4- قاعدة حَكم الكلام (le maxime de modalité)**

وتسمى أيضا قاعدة الجهة أو الكيفية، ومدار اختلافها عن القواعد السابقة من حيث كونُها لا ترتبط بما قيل بل بما يراد قوله والطريقة التي يجب أن يقال بها، والهدف منها تجنب الاضطراب والملل والإيجار المخل في القول. فهي ترتبط إذن بالقاعدة الأساسة التي تعبر عنها بـ "التزام الوضوح"

وتتفرع إلى: [4]

أ- لتحترز من الالتباس.

ب- لتحترز من الإجمال.

ت- لتتكلم بإيجار.

ث- لترتب كلامك.

---

[1] ينظر، طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 238.

[2] ينظر، عبد الواسع الحميري، في آفاق الكلام وتكلم النص، دار الزمان، دمشق، سوريا، ط1، 2009، ص 109.

[3] ينظر، أزوالد ديكرو، جان ماري شايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص 677.

[4] ينظر، العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص 100.

ويمكن أن تبين هذه القاعدة لحكم الكلام في "كليلة ودمنة" في عدد الأبواب والأمثال والحكايات التي أوردها "ابن المقفع" ،فكل باب يختص بخلق معين أو قيمة ما فهذا باب "الأسد والثور" وباب " الفحص عن أمر دمنة" يختصان بقيم الصداقة وكيف يفسدها المحتالون، وكل باب يختص بموضوع معين.

ويمكن القول إن نص "كليلة ودمنة" نص له صورة كلية متكونة من مجموع الحكايات، وصور فرعية متكونة من كل حكاية مفردة في الوقت نفسه، وقد تختلف هذه الحكايات الفرعية عن الحكاية الإطار من حيث النمطُ مثل الحكايات العجيبة والخرافية، ولكنها تساند الحكاية الإطار من خلال الوظيفة المتوخاة منها؛ إن كانت تعليلية أو تفسيرية وبهذا يكون التفريع الحكائي تحقّقا مصغرا لصيغة الحكاية الإطار بقدر ما يكون امتدادا لتغذيتها السردية. ولا تنحصر الحكاية الأم في إعطاء الهيكل السردي فقط، بل تلم شمل الصورة الكلية للحكي، فأبعاد الحكاية الأم لا تقلّ أهمية عن ذلك ؛فهي القسم الأول الذي لا يتم إنجازه إلا بإنجاز التفريع الحكائي للمتون المفردة ،مما يعني أن تحققها لا يتم إلا بتحقيق الحكايات المتفرعة المضمنة ولكنها هي من يعطي المتون الفرعية سياقها لتساعدها في بناء الصورة الكلية مع حق الاحتفاظ بخصوصيتها أي أنها تمنحها حق النماء والبقاء شريطة أن لا تخرج عن سياقها السردي العام.

يحاول الفيلسوف "بيدبا" أن يضرب أكبر عدد ممكن من الأمثال للملك "دبشليم" فاستعمل تقنية التضمين ليكون أكثر إقناعا وأكثر شمولية وإلماما بالمواضيع التي يعنى بها.

ولعل اللبنة الأولى التي كانت سببا في تأليف هذا الكتاب "كليلة ودمنة"، اللقاء الأول لبيديا مع بشليم «**الأمر الذي دعاني إلى الدخول على الملك وحملني على المخاطرة في كلامه والإقدام عليه نصيحة اختصصته بها من دون غيره**»[1]وهذا هو المبدأ القار الذي تنتمي إليه الوَحدات الجزئية، ولأن النصيحة إنجاز لفظي جاهز على مستوى المتن داخل النصوص الصغرى والحكاية الأم، فهي بحاجة إلى ممهدات متعددة، وقد كان تصرف "بيدبا" حكيما في استعانته بأقوال السابقين لإثباتها مثل « **ولقد كنت أسمع أن فيلسوف كتب إلى تلاميذه يقول: إن مجاورة رجال السوء والمصاحبة لهم كواكب البحر...**»[2] وقد لوحظ أن "بيدبا" كلما قال حكمة يسارع إلى توضيحها بحكاية مثل قوله « **على أن العقل قد يبلغ بحيلته ما لايبلغ بالخيل والجنود**»[3] فيوضح هذه الحكمة بحكاية القنبرة والفيل، وهذا دليل ترتيبه للحجج وتنظيمها بشكل جيد ما جعله ينجز مهمته في إقناع

---

(1) ابن المقفع، كليلة ودمنة، مقدمة الكتاب، ص 12.

(2) المصدر نفسه، ص 08.

(3) المصدر نفسه، ص 09.

"دبشليم" حيث استطاع إعادته إلى صوت العقل والحكمة والعدل، فخرج "بيدبا" من السجن منتصرا بأمر الملك:« **يا بيدبا قد استعذبت كلامك وحسن موقعه في قلبي وأنا ناظر في الذي أشرت به وعامل بما أمرت**»[1]

وقد يتساءل سائل عن الإطناب الذي احتوته خطابات "كليلة ودمنة" وبأنه مخلّ لشرط الإيجاز في قاعدة الشمولية ( حكمة الكلام) إلا هذا الإطناب بلاغي لابد منه لأجل الإحاطة بجوانب الموضوع ولأن متلقي هذه الخطابات لا بد أن يكون أنموذجا إن أراد معرفة الهدف الأسمى من تأليف الكتاب.

ومما سبق ذكره يُستنتج أن العملية التحاورية في "كليلة ودمنة" قد آتت أُكلها لأن خطاباتِها تحكمت فيها قواعد تداولية جعلتها تؤتي ثمارها في تحقيق الغرض التعليمي من الكتاب.وتجدر الإشارة إلى أن خرق أية قاعدة من قواعد الخطاب الأربعة يؤدي إلى حصول ظاهرة الاستلزام الحواري.

## 1-2- الاستلزام الحواري l'implication conversationnelle)

يفضي كل خروج عن إحدى قواعد الخطاب السابقة إلى اختلال العملية الحوارية وفي هذه الحالة، على المحاور نقل كلام مخاطبه من معناه الظاهر إلى المعنى الخفي الذي يقتضيه المقام، وهو ما يُتناول تحت مصطلح " الاستلزام الحواري" وعلى ذلك ينبغي أنه إذا انتهك المتكلم مبدأ من مبادئ الحوار أدرك المخاطَبُ اليقظُ ذلك وسعى إلى الوصول إلى هدف المتكلم من هذا الانتهاك[2] وعليه فإن الآلياتِ التأويليةَ التي يستخدمها المخاطَب لإدراك مدلول الخطاب الموجه إليه تقوم على فرضية تنبني على مقاصده، إذ دونها لن يتمكن من إعطاء تأويل ملائم لما يوجَّه إليه، وبما أن "غرايس"(**Grice**) يعتبر المقصد مركّبا فقد عمد إلى تفريعه إلى مقاصدَ متداخلة حددها في[3]:

المقصد الأول: قصد المتكلم إبلاغ المخاطَب محتوى دلاليا معينا.

المقصد الثاني: قصده أن يتعرف المخاطَب على القصد الأول.

المقصد الثالث: قصده أن يبلّغ المخاطَب أن القصد الأول يتحقق بتعّرف المخاطَب على القصد الثاني.ومن أمثلة الاستلزام الحواري في كليلة ودمنة دخول "بيدبا" على الملك "دبشليم" لينصحه « **فأذن له فدخل ووقف بين يديه وكفّر وسجد له واستوى قائما وسكت وفكّر "دبشليم" في سكوته ... ثم رفع رأسه إلى "بيدبا" وقال له: نظرت إليك يا بيدبا ساكتا...**»[4]

---

[1] المصدر السابق، ص 18.

[2] ينظر، محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، دط، 2002، ص 36.

[3] ينظر، العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص 101،102.

[4] ابن المقفع، كليلة ودمنة، مقدمة الكتاب، ص 12.

في هذا الحوار خرق أو انتهاك لمبدأ الكم لأن "بيدبا" قد دخل على "دبشليم" يريد نصحه ولكنه أطال سكوته رغم أن الملك قد أحال عليه الكلمة وطلب منه أن يُقدّم أمر وسبب حضوره إليه، فإفادة المتكلم هنا معدومة أو تساوي الصفر فهي دون المطلوب ،ويستلزم هذا خوف "بيدبا" من الملك "دبشليم" لأنه يعلم ردة فعله كيف ستكون عندما يصارحه بجبروته وظلمه لرعيته وسيتضح له بأن يقيم العدل بين رعاياه.

ولأن تدبير الخطاب لايتعلّق بالكلام فحسب، بل وبالصمت والسكوت أيضا، هذا ما يجعل الصمت مسألة بلاغية شائكة ومتعددة الأوجه، وتدبير الخطاب يقتضي أن يعرف المتكلم متى يتكلم ومتى يسكت وأن يعرف كيف يحوّل الصمت نفسه إلى خطاب، وذلك لما يؤوّل نفسه إلى كلام يقول ما لا يمكن أن يقوله اللسان لسبب من الأسباب ،ولعل "العسكري" في "الصناعتين" يشير إلى الصمت البليغ وذلك لما يفرض المقام أن لا يكون الكلام مباشرا أو صريحا وفصيحا ويعتبر الهنود الصمت بصيرا بالحجة وجماع البلاغة[1] .وهذا ما يمكن إسقاطه على صمت "بيدبا" الذي يعتبر بلاغة وحجة، والملاحَظ من هذا المثال أنّ خرق قواعد المبدأ التعاوني يحقق غاياتٍ تواصليةً بلاغيةً، بل يُحدث تأثيراتٍ ماديةً في الواقع، كلما انتهك المتكلم قاعدة من قواعد هذا المبدأ دلّ ذلك على شيء ضمني لا يُراد التصريح به لعذر أو لقهر أو غاية أكثر أهمية من مجرد التصريح.

*** شروط الاستلزام الحواري:**

إن المتكلم عند تلفظه بجملة ما قاصدا جملة أخرى يجب أن يلتزم بالشروط الآتية لتحقيق فحوى الاستلزام[2]

1- يجب ألاّ يترك مجالا للاعتقاد بأنه لم يتم احترام مبدأ التعاون.

2- يجب افتراض أن الشخص المعني بالأمر يدرك أن المعنى غير الحرفي ضروري لكي لا يقع تناقض بين المعرفي وبين ما نص عليه في الشرط الأول.

3- يظن المتكلم أن المخاطَب قادر على الاستنتاج والإدراك الحدسي للفكرة التي تتعلق بضرورة الانطلاق من الافتراض الوارد في الشرط الثاني.

لنطبق هذه البنود على مثال من "كليلة ودمنة" يقول:« **كيف تدلاّني على كنز لم تره العيون وأنتما لم تبصرا الشبكة؟ فقالا: إن القضاء إذا نزل صرف العيون عن موضع الشيء وغشّى البصر**»[3]

---

[1] ينظر، العسكري، الصناعتين، ص15.

[2] Grice, P.H, logic and conversation, in cole peter and Morgan , p 48, 50.

[3] ابن المقفع، كليلة ودمنة، باب ابن الملك وأصحابه، ص 269.

يبدو أن إجابتهما تخرج عن قاعدة الكيفية فلم يأبها بقاعدة الوضوح ،غير أنه لا يمكن بأية حال من الأحوال أن نفترض أنهما قد امتنعا عن الاستجابة لمبدأ التعاون .باستحضار الموقف التواصلي يمكن أن نعدّ عدم الوضوح مسألة ظاهرة ليس إلا.

إنهما يعلمان أن المتكلم قادر على فهم جوابهما- إذن هما يستلزمان أن القضاء قد صرف عيونهما عن الشرك. خلاصة الأمر أن السائل استطاع أن يفهم من المعنيَيْن الحرفي وغير الحرفي، افتراضا منه أن المجيبيْن في أثناء إنجازهما للمعنى الأول كانا يحترمان مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه.

*** خواص الاستلزام الحواري:**

للاستلزام الحواري عند "جرايس"(Grice) خواص تميزه عن غيره من أنواع الاستلزام الأخرى، وقد استطاع أن يضع يده على الخواص الآتية[1] ( وسيعتمد البحث على التمثيل من "كليلة ودمنة") :

1- الاستلزام ممكن إلغاؤه (defeasible): ويكون ذلك عادة بإضافة قول يسد الطريق أمام الاستلزام أو يحول دونه مثل: «**فإن أنت جعلت لي الأمان قطعت حبالك وخلّصتك من هذه الورطة ،فإن كان ذلك تخلّص كلّ واحد منّا بسبب صاحبه كالسّفينة والرّكّاب في البحر فبالسّفينة ينجون وبهم تنجو السّفينة**»[2]إنّ إضافة المتكلّم للمقطع التّمثيلي(كالسفينة والرّكّاب...)حال دون فتح المجال للتأويلات الأخرى أو بالأحرى (الاستلزام الحواري)ماجعل المعنى واضحا لأنّ التمثيل يعتبر بمثابة الشّارح المبيّن لمقصد الكلام.

2- الاستلزام الذي لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي(non-detachable)، ويقصد "جرايس" بذلك أنّ الاستلزام الحواري متصل بالمعنى الدلالي لما يُقال،لا بالصيغة اللغوية التي قيل بها؛ فلا ينقطع مع استبدال مفردات أو عبارات بأخرى ترادفها .ولعل هذه الخاصية هي التي تميز الاستلزام الحواري عن غيره من أنواع الاستدلال التداولي مثل الافتراض المسبق.وما نستطيع إدراجه كأمثلة موضّحة لهذه الخاصية يظهر من خلال حُسن تخيّر ابن المقفّع لضرب الأمثال في مقاماتها المناسبة كأن يضرب الغراب – من باب البوم والغربان-مثلا للملك عن حديث الجماعة الذين ظفروا بالناسك وأخذوا عريضه[3]،فهذا المثل لا ينفصل عن المحتوى العام لما أراد إيصاله متكلّمه لسامعه(الملك) أي أنّه لا يخرج عمّا أراد إيصاله إليه من الخطاب الأوّل ،وإنّما جاء التمثيل كمدعّم لأجل تأكيد المعنى وإيصاله إلى القلب فيحدث التأثير المنشود.

---

[1] ينظر، محمد أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 38.

[2]ابن المقفع،باب الجرذ والسنور،ص207

[3]المصدر نفسه،باب البوم والغربان،ص177.

3- الاستلزام متغير، والمقصود بالتغير أن التعبير الواحد يمكن أن يؤدي إلى استلزامات مختلفة في سياقات مختلفة.ولعلّ هذا ما يوضّحه الغرض من الكتاب فهو وإن كان على لسان الحيوان وبأسلوب مسلٍّ فهو لا يصلح لعامة الناس بل يتوجّه بالدرجة الأولى إلى الفئة الحاكمة الظالمة لرعاياها ما يجعل المعنى الواحد منه متشظٍّ على حسب اختلاف السياقات التي يُستفاد من الكتاب فيها.

4- الاستلزام يمكن تقديره calculability والمراد به أن المخاطب يقوم بخَطوات محسوبة يتجه بها خَطوة خَطوة لأجل الوصول إلى ما يستلزمه منه.وهذا ما يُظهره أسلوب التمثيل التدريجي الذي يوضّح معنى معيّن يحتاج إلى شرح تمثيلي يوضّحه تتالي الأمثال الواحد بعد الآخر. وهذا ما يتواجد بكَثرة في جلّ أبواب الكتاب تقريبا .

**1-3- قانون الصيغة :**

يشمل هذا القانون على الكيفية التي يعرض بها السارد خطابه فنجده خطابا إيحائيا، وآخر منقولا وخطابا شخصيا وغيرها.

**1-3-1 كليلة ودمنة الكتاب المترجم:** جاء خطاب كليلة ودمنة مترجما اعتمد فيه صاحبه "ابن المقفع" على الترجمة الوظيفية الفنية متجاوزا بذلك الترجمة الحرفية "literalism" " «**وتعني نقل النص الأصلي إلى اللغة المترجم إليها حرفيا مع التضحية التي تنشأ عن عدم الكفاءة -أو عن الضرورة- بجماليته وعناصره الوظيفية ولهذه الطريقة وجاهتها في النصوص القانونية والدينية والوثائق والأوراق الرسمية**»[1]ويمكن وصف ترجمة ابن المقفع بأنها ترجمة رشيقة fluency تحتفظ قدر استطاعتها بجماليات النص الأصلي وتراعي أساليب اللغة المترجم إليها وتراكيبها ولو على حساب المعنى أحيانا، ذلك أن "ابن المقفع" قد دس أفكاره في ترجمته للنص الأصلي مستعملا بذلك الاستراتيجية التلميحية وهذا ما يعرف بـ استعارة "الجميلة الخائنة" les belles infideles في الحديث عن الترجمة[2] ومفادها أن الترجمة لا بد أن تنتهك النص الأصلي لكي تكون ترجمة جميلة ،وحقيقةً فإن الاستعارة بعض الحقيقة ،لكن فيها الكثير من التجنّي على الجميلات الفضليات، وعلى الترجمات التي تجتمع فيها الأمانة العلمية مع رشاقة الأسلوب وجمال الصوغ ومن أمثلة ترجمة "ابن المقفع" الراقية رقي تفكيره قوله:« **حتى إذا كانت ليلة من الليالي سهد الملك سُهدا شديدا وطال سهده فمد إلى الفلك بصره وتفكر في تفلّك الفلك وحركات الكواكب... فذكر ذلك "بيدبا" وتفكر فيما كلمه فيه فارعوى لذلك**»[3]

---

[1] بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والتوزيع،ط1، القاهرة، 2010، ص 11.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص 12.

[3] ابن المقفع، كليلة ودمنة، مقدمة الكتاب، ص 19.

كما قد عمل "ابن المقفع" على تقنية التمثيل وهي كثيرة في ترجمته وذلك مما يحرك دواعي الاستجابة والانقياد وراء ما يقدمه هذا التمثيل من معانٍ خاصة إذا صادف نفسا ذواقة مثل قوله: « **أيها الفيلسوف الفاضل والحكيم العادل أنت المقدم فينا والفاضل علينا، وما عسى أن يكون مبلغ رأينا عند رأيك، وفهمنا عند فهمك، غير أننا نعلم أن السباحة في الماء مع التمساح تغريز، والذنب فيه لمن دخل عليه في موضعه والذي يستخرج السم من ناب الحية فيبتلعه ليجربه على نفسه، فليس للحية، ومن دخل على الأسد في غابته لم يأمن وثبته، وهذا الملك لم تفزعه النوائب ولم تؤدب التجارب، ولسنا نأمن عليك من سورته ومبادرته سوء إذا لقيته بغير ما يحب**»[1]

إن استعمال مثل هذا التصوير في ترجمة "ابن المقفع" يوحي بالفطانة الذهنية للإتيان بالمعاني ابتداءً، في صورة التمثيل، وهي ثلاث، فُهم التمثيل فيها ضمنيا، إذ لم يصرح فيها بأركان التمثيل، فقد مثل خوف التلاميذ وتحذيرهم لأستاذهم من ملاقاة الملك بصورة من يسبح مع التمساح والمثل الشهير عنه يقول: "أظلم من تمساح" لأن الطائر الذي يدخل فم التمساح المفتوح لتنقية أسنانه من بقايا اللحم فيريحه ،ولكن ربما ضمّ التمساح فاه على الطائر فيقتله ،والمعنى الجامع هنا هو إلقاء النفس في التهلكة.

والصورة الثانية صورة من يستخرج سم الحية فيبتلعه ليجربه فيفقد الأمل بالنجاة.

أما الصورة الثالثة صورة من يدخل على الأسد في غابته فهو سيمزقه، لما يُعرف عنه من السرعة والقوة التي لا تخطئ الفريسة أبدا.

وهكذا سار بنا المترجم من خلال الصور الثلاثة نحو المعنى الدقيق ومن الخفاء إلى الجلاء ومن العقل إلى الحس[2]

وقد جاء تقديم الصورة التمثيلية على المعنى لغاية في نفس المترجم توحي بالاهتمام بها والتشويق إلى ما بعدها.

ولا يخلو النص المترجم "كليلة ودمنة" من تعقيبات على النص الأصلي (commentary) فلا عيب في التعقيب إذا لم يحاسب النص الأصلي على ما لم يردفه، ولا قال به مؤلفه، فحتى عند التعقيب تبقى الأمانة ضرورية لازمة، ومن ذلك تعقيب "ابن المقفع" « **قال بلاذ: ما وقفت حين قصصت رؤياي على البراهمة فأمروني بما أمروني به، ولولا أن الله تعالى تداركني برحمته لكنت هلكت وأَهْلَكْتُ... قال إيلاذ: إن الذي قوله واحد لا يختلف هو الله الذي لا تبديل لكلماته بلا اختلاف لقوله...**»[3].

---

[1] المصدر السابق، الصفحة السابقة.

[2] ينظر، نوير بنت ناصر، تنوع الأداء البلاغي في أدب ابن المقفع، ص 96.

[3] ابن المقفع، باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت، ص 245، 249

ويظهر تعقيب "ابن المقفع" على النص الأصلي من خلال إقحامه بمجموعة من المعاني الإسلامية التي كانت مغيّبة في زمن النص الأصلي ،و تمثلت في ذكر لفظ الجلالة ووصفه بالوحدانية.

ويلاحظ مما سبق أن المدخل التداولي يعطي المترجم "ابن المقفع" الحق في التصرف في النص الأصلي بطريقة ما وحذف شيء هنا وإضافة شيء هناك دون أن يترتب على هذا الحق أية آثار سَلبية قد تؤدي إلى سقوط النص تداوليا، بل ويُحبَّذ تغيير مواضع الألفاظ والتراكيب في أثناء الترجمة، ويتم تعديل التعابير المجازية والمصطلحات لكي توافق ثقافة اللغة المترجَم إليها، وهذا يدل بشكل كبير على أن المدخل التداولي للترجمة يهتم بتحقيق المعنى التواصلي أو الحواري.

وتبقى الترجمة وسيلة تساعد القارئ على الوصول إلى نفس مستوى قارئ النص الأدبي ،كما أنها تهدف إلى إحداث التفاعل بين المؤلف والمترجم والقارئ.

### 1-3-2- كليلة ودمنة الخطاب السردي:

يعد الخطاب السردي مشروعا منظما وفق الغايات القصوى المقصود بلوغها ونجد "غريماس" (Greimas)يشير إلى وجود عمليات دلالية كامنة في المستوى العميق في النص السردي بغض النظر عن التعبير أو المظهر الخارجي الذي يتشكل فيه السرد((1).

يستهدف المؤلف أو السارد من خلال عمله السردي القارئ الافتراضي «**وهو متلقٍ ينخرط انخراطا فعالا في فعل السرد، وتفريع الحدث**»(2)،ما يجعل حضوره أكيدا في ذهن المؤلف ويرى عبد "الفتاح كليطو" أن تسلسل الأفعال السردية رهن باعتقادات الملتقى حول مجرى الأمور، فالقائم بالسرد ملزم باحترام هذه المعتقدات إلى حد أنه يمكن أن يقال إن «**القائم بالسرد الفعلي هو المتلقي**»(3).

وهذا ما هو ملحوظ في "كليلة ودمنة" حيث يتولى "دبشليم"(المتلقي) مهمة توجيه "بيدبا" (المرسِل للخطاب) إلى الحديث عن موضوع معين من خلال جملته المكررة في كل باب تقريبا "قد سمعت مثل كذا" "فاضرب لي مثلا عن كذا" ثم ما يلبث بيدبا أن ينفّذ المطلوب.

وكما تمت الإشارة في مباحث سابقة فإن البينية الهيكلية السردية لكليلة ودمنة تتشكل ضمن ما يسمى التفريع الحكائي، هذا الأخير الذي يعبر عن خطة سردية واعية تربط بين الحكاية الإطار والحكايات المضمنة

---

(1) ينظر، محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي، نظرية غريماس، الدار العربية للكتاب، تونس، 1991، ص 36

(2) علي بن تميم، السرد والظاهرة الدرامية، دراسة في التجليات الدرامية للسرد العربي القديم، دار المعارف،ط1، بيروت، 2003، ص 237.

(3) عبد الفتاح كليطو، الأدب والغرابة، دار الطليعة، دط، 1982، ص 36

وفي ما بين القصص المتوالدة من بعضها البعض دلاليا وبنيويا ووظيفيا، وهذا ما يكشف عن سر نجاح خطاب "كليلة ودمنة" كبنية سردية بلاغية في إثارة انتباه القارئ وذلك باستعمال "ابن المقفع" لتقنية التمثيل، كما أن معدن السرد متكون من الحواس ومن الميول والرغبات الطفولية من خلال استعمال التمثيل ،وذلك على ألسنة الحيوان، فالنفس بهذا متعلقة بما تعلمته تلقائيا في فترة الصبا [1] .

وتشهد البنية السردية في كليلة ودمنة تداخلا نصيا يظهر من خلال تدخل المؤلف في نصه لمحاورة الشخصية وكذلك الراوي، فللمؤلف وجود داخل-حكائي فيصبح شخصية من شخصيات الحكاية[2].

وفي كليلة ودمنة فإنّ مثل هذا الحوار هو حوار ضمني نتيجة لدوافع سياقية فمن البديهي أن يكون الفيلسوف "بيدبا" هو المؤلف الفعلي لكليلة ودمنة فهو المسير لفعل السرد، إذ يظهر في كل شخصية خبرة من شخصيات حكاياته، لذلك كثيرا ما نجده يقيم حواراتٍ، وإن كانت ضمنية من شخصياته تارة، ومع الراوي تارة أخرى، وكل ذلك خدمة للغاية الأساسة التي أُنتج الكتاب لتبليغها[3] .

وهذا ما يظهر أبعاد مكونات السرد التداولية في البحث عن التأثير والتغيير المطلوبيْن في الدراسة التداولية إذ نجد "بيدبا" وهو يكتب الكتاب يشرع من جديد في تقويم الملك وتهذيبه بعد أن صرح له بأخطائه مع رعيته.

ويمكن استخلاص نتيجة مفادها أن المثل في كليلة ودمنة يبنى على عنصرين[4].

1- الوسيلة : وهو السرد، حكاية تدور أحداثها بين أصناف مختلفة من الحيوانات.

2- الغاية : وهي الحكمة التي لولاها لما روية الحكاية، والحكمة بدورها تتطور إلى غاية.

### 1-4- قانون التفاعل:

إن اللغة فيما يرى البعض ممارسة تخاطبية تفاعلية تقوم بين ذوات متكلمة وأخرى مستمعة، محكومة بالانتماء إلى المجموعة اللغوية نفسها"[5]ويتم التبادل اللغوي بينها عن طريق عبارات هي حصيلة لعلاقات التفاعل الاجتماعي بين المتخاطبين.وما يميز خطابات كليلة ودمنة من حيث الاستعمالُ الحواري هو تقاطع وتداخل

---

[1] ينظر، عبد الفتاح كليطو، الحكاية والتأويل، دراسات في السرد العربي، ص 36،37

[2] لبوخ بوجملين، تواصل الفعالية السردية، نموذج جاب لينتفالت التلفظي ، ص 241

[3] ينظر، سارة قطاف، الخطاب السردي في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع، مقاربة تداولية، ص 93

[4] هاجر مدقن، التمثيل الحجاجي في كليلة ودمنة، مقاربة تداولية، ص 69.

[5] ميخائيل باختين، الماركسية وفلسفة اللغة، ترجمة يمنى العيد ومحمد البكري، 1986، ص 47

السياقان التداوليان التفاعلي والابستيمولوجي، وينقسم السياق التفاعلي بذلك قسميْن: سياق تفاعلي داخل-قولي وسياق تفاعلي خرج – قولي ويمكن تمييزها كما يلي:«[1]

## 1-4-1 سياق تفاعلي داخل قولي:

ويتضمن التفاعل اللساني القائم بين التعابير التي لها حَمولة دلالية تفيد في إظهار الموقفيْن التوجيهي والتعليمي "لبيدبا" أو "ابن المقفع" على حد سواء، كما أن المتكلم عليه أن يملك قدرة خطابية[*] تمكنه من إنجاز خطابه وتنظيمه تبعا لمتطلبات المقام ،وهو في كليلة ودمنة مقام نصح وتوجيه وتعليم، وفقا لما يريد تحقيقه "بيدبا" في التأثير في "دبشليم" واستمالته إلى صائبة الرأي، ومن التعابير المظهرة لموقف "بيدبا" التوجيهي والتي من شأنها أن تحقق التفاعل بينه وبين المتلقين على اختلافهم ، مايلي:

«**أيها الملك الناصح الشفيق الصادق الرفيق، إنما نبّأتك بما فيه صلاح لك ولرعيتك ودوام ملكك..**»[2]

فهذه العبارات التي تحمل الثناء للملك "دبشليم" استطاعت أن تحدث تفاعلا اجتماعيا بينه وبين الملك. بدليل أن الملك قد قبل نصيحة "بيدبا" ورأيه الذي أصبح يراه سديدا وجعله يتبوأ مجلس العدل والإنصاف « **فوضع التاج على رأسه وركب في المدينة ورجع فجلس بمجلس العدل والإنصاف يأخذ للدنيء من الشريف ويساوي بين القوي والضعيف، ورد المظالم ووضع سنن العدل**»[3]

والملاحَظ أن قد غدا الخطاب بهذا ،شكلا من التخاطب الحي، إذ آتى أُكله وذلك من خلال تداخل العناصر اللغوية المكونة له، وعلاقات المتخاطبيْن ببعضهما اللّذيْن تشاركا في الحوار وتفاعلا من خلال التعابير اللسانية القوية التي لا تخرج دلالتها عن الحكمة وسداد الرأي ،تبيّن الشعور الانفعالي "لبيديا" الذي كان لا يخرج عن التفكير بمصلحة الرعية، ما جعل "دبشليم" يُستمال لتلك التعابير، وتتغير أخلاقه ويعمّ العدلُ والإنصافُ مملكتَه.

---

[1] ينظر، محمد نظيف، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، ص 138

[*] لقد كان مفهوم القدرة حاضرا عند القدماء سموها بالطبع والبديهة والسليقة والمَلَكة ،وهم لايقفون في المقصود منها عند حدود معرفة قواعد اللغة حيث كانوا يربطون اللغة في أثناء تعريفها بالغرض من استعمالها، ينظر، عز الدين البوشيخي، قدرة المتكلم اللغوية وإشكال بناء الأنحاء، 1997، ص 16

[2] ابن المقفع، مقدمة الكتاب، ص 18.

[3] المصدر نفسه، ص 19

**1-4-2- السياق التفاعلي الخارج-قولي :**

هو سياق تفاعلي مقامي بالدرجة الأولى يُظهر مدى المشاركة التي كانت بين "بيديا" و"دبشليم" أوّلا ، ثمّ بين خطاب "ابن المقفع" كمترجم والمتلقين من جهة أخرى، وهذه المشاركة تعني تحقيق التواصل وتفعيل الكفاية الايديولوجية أو التداولية بصفة عامة، من طرف بيدبا الذي استطاع استمالة "دبشليم" وجذبه إلى خطّه التداولي وذلك من خلال جميع أشكال الاحتكاك والتواصل التي فرضتها العلاقة الاجتماعية والإنسانية "ملك- وزير".

وعلى الإجمال فإن لكل خطاب بطبيعته، علاقة بين متكلم ومستمع، أي علاقة تؤطرها محددات اجتماعية وتفاعلية، فالتعابير الخطابية مهما كانت الأوضاع المقامية التي تنجز فيها، موجهة نحو الآخر نحو مستمع معين ولو كان من حيث وجودُه الواقعي غائبا.

**1-5- مبدأ التأدب واعتبار جانب التهذيب**

يتضمن "أدب الحوار" و"الآداب والأخلاق" مبدأ يعرف بمبدأ التأدب، وربما جاز لنا ترجمته إلى اللباقة في الحديث أو "قول ما يليق"، وأول من طرح لمبدأ التأدب "روبن ليكوف"(Roben Lakoff) وهي تعتقد أن الحوار يطير بجناحين وهما الوضوح والتأدب (be clear and be polite) وهي تبين أن مبدأ التعاون الذي طوره"غرايس" قد وفّى حق الوضوح، لكنه لم يُعِرِ التأدبَ الاهتمامَ اللائق به، وهو يتكون حسبها من ثلاث قواعد[1] .

1- لا تفرض نفسك ( آراءك أو ذوقك ) أو تقحمهما على الآخرين (Do not impose) وتسمى قاعدة التعفّف.

2- اترك لغيرك حرية الاختيار (Give options) وهي قاعدة التخيير.

3- اجعل الآخرين يشعرون بالبهجة (make people feel good) وهي قاعدة التودّد.

إن هذه القواعد ليست بالدرجة نفسها في الحضور ، وإنما لكل منها مجالها السياقي «**إذ تغدو الغلبة أحيانا لقاعدة التأدب في الحوارات غير الرسمية مقابل قاعدة الوضوح، ومرد ذلك هو أولوية تقوية أواصر العلاقات الاجتماعية على تبليغ المعلومات**»[2]

ومن مظاهر إظهار التأدب والكَيَاسة في "كليلة ودمنة" ما حدث بين "بيدبا" و "دبشليم" عند أول لقاء إذ أظهر فيه "بيدبا" الفيلسوف تطبيق القواعد الثلاثة السابقة الذكر من تجنب الإلحاح على "دبشليم" واستعماله لعبارات مكنته من حفظ المسافة بينه وبين "دبشليم" مثل :« **إني أسأل الله تعالى بقاء المَلِكِ على الأبد ودوام ملكه..**

---

[1] ينظر، بهاء الدين محمد مزيه، تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، ص 58.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 100

**وقال :قد عطف علي بكرمه وإحسانه... والأمر الذي دعاني إلى الدخول على الملك وحملني على المخاطرة نصيحة اختصصته بها دون غيره...»**[1] فقد احترز "بيدبا" من عبارات الطلب المباشرة بل مهد لها بقوله :(الذي دعاني إلى الدخول وحملني ...)كما أنه أظهر وده للملك بقوله:( قد عطف علي بكرمه وإحسانه)، ولم يقتحم "بيدبا" الشؤون الخاصة للملك إلا بعد الاستئذان ،ويظهر هذا من خلال سجود "بيدبا" واستواؤه قائما وسكوته وانتظاره حتى يحيل عليه الملكُ الكلامَ.

ولا يظهر مبدأ التأدب فقط بين "بيدبا" و "دبشليم" في الكتاب بل نجده متناثرا بين ثنايا الأبواب مع كل من الأسد والثور، الحمامة والجرذ، الأسد وابن آوى، إيلاذ وبلاذ وإيراخت... وهي كلها تدعو للتحلي بالسلوك الحسن من خلال استعمال الأدوات والأساليب والصيغ التي تقوّي علاقتيْ التضامن والصداقة بين المتخاطبين فيطمئن بذلك إلى ما يبديه المتكلم في ثقة وعناية.

ويمكن القول: إنّ قواعد التأدب كلية في طبيعتها وعددها، بحيث تأخذ بها مختلف الجماعات الإنسانية،كما تأخذ بها مختلف الجماعات اللغوية داخل المجتمع الواحد، أما ما نلاحظه من الاختلاف في التأدب في ما بين هذه الجماعات فلا يتعلق إلا بترتيب هذه القواعد، فيُفضَّل بعضها على بعض ويقدّم العمل به على غيره عند هذه الجماعة أو تلك.

[1] ابن المقفع، مقدمة الكتاب، ص 13

## 2-الأدوات التداولية الإجرائية في خطاب كليلة دمنة:

### 2 -1متضمنات القول:

لا يمكن الكشف عن متضمنات القول إلا بمعرفة القواعد والقوانين التي تميّز الخطاب وتحرّكه،أي أنّ هناك قوانين تدخل في طريقة استعمال وتوظيف المعنى الضمني في الخطاب،ذلك أنّ المخاطِب لا يلجأ إلى الأقوال الصريحة للتلفظ بها بل يسعى من توجيه المخاطِب أو المستمع إلى التفكير في الشيء غير المصرَّح به.

يشير "فان دايك"(Van Dijk) إلى ذلك الإجراء التداولي الذي يتعلق برصد الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب قائلا:«**لقد لا حظنا مراتٍ عديدةً أنّ لغة التخاطب الطبيعي ليست صريحة،ذلك أنه توجد قضايا لا يقع التعبير عنها تعبيرا مباشرا،ولكن يمكن استنتاجها من قضايا أخرى قد عُبّر عنها تعبيرا سليما**»[1] فالكلام لا يصرح به دائما،لذا وجب على المتلقي إدراك مآل أقوال المتكلم دون الإفصاح بدوره. فكلامنا العادي إذًا يتكون من جانبيْن؛أحدهما تصريحي حرفي ، والآخر ضمني يستنتج منه، وهذه الإجراءات من متضمنات القول تكون من الافتراض المسبق والقول المضمر[2].

### 2 -1-1-الافتراض المسبق(Pré-supposition)

ويقصد به المعطيات والافتراضات المعترف بها، والمتفق عليها من طرف المشاركين في العملية التواصلية ،وتشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية لتحقيق نجاح عملية التواصل، وهي محتواة في القول.ويطلق عليه الاقتضاء أيضا وتعرفه"أوركيوني" (C.K .orecchioni)بأنه «**المعلومات و إن لم يفصح عنها ، فإنها وبطريقة آلية واردة ومدرجة في القول الذي يتضمنها أصلا،بغض النظر عن خصوصيته في إطار الحديث الذي يتجلى فيه**»[3]

وعن وظيفة الاقتضاءات يقول "ديكرو"(Ducrot)«**أما الاقتضاءات فإن كانت لها وظيفة فهي تمثل الشرط الأساس للتماسك القضوي للخطاب .و أنها تضمن بأن الأقوال تنتمي إلى الحوار ، و أنها تمثل نصا واحدا وليس مجموعة أحاديث مستقلة، وحتى و إن اعتبرناها حشوا فإن دورها لا يستهان به في إنجاح العملية التواصلية و في حفاظ الخطاب على تماسكه**»[4]

---

[1] قدور عمران،البعد التداولي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل،أطروحة دكتوراه،تخصص تحليل الخطاب،إ مفتاح بن عروس،الجزائر،2008ص7

[2] ينظر، مسعود صحراوي،التداولية عند العلماء العرب،ص30

[3] C.K .orecchioni.l'implicite.armand.paris.p25

[4] ducrot.dire et ne pas dire.p91

لقد انتخب "ابن المقفع" ما يسمى الاستراتيجية التلميحية في صوغ كليلة ودمنة وذلك استجابة لدواعٍ سياقية، ولابن المقفع مسوغاته التي جعلته يعدل عن استعمال الخطاب المباشر إلى خطاب التلميح لعل أهمها رغبته في التملص والهروب من مسؤولية قوله في وسط اجتماعي كانت تسوده أوضاع سياسية مزرية.

فالغاية المرجوة من أبواب الكتاب ليست استماع ما دار بين شخوص حيوانية تتحدث ،بل لأسباب بلاغية جعلته يختبيء وراء شخوص حيوانية لاتقاء شر الحكام وملوك العصر العباسي وهذا ما يجعل الخطاب يحتمل أكثر من تأويل ليدل على أن "ابن المقفع" قد وضع مسبقا في ذهنه شروطا للوصول إلى الفهم المراد لمختلف متضمنات القول التي اعتمدها في كليلة ودمنة ولهذا يكون استنتاجه مبنيا على عمليات متسلسلة ليكوّن بذلك«**قضية ضمنية بإمكاننا أن نستنبطها من القول ونستنتج محتواها الجانبي بتركيب معلومات ذوات أوضاع مختلفة(داخلية وخارجية)**»[1]

فابن المقفع بإنشائه للافتراضات المسبقة وضع شروطا لعل أهمها توفر العناصر السياقية والمرجعيتين الثقافية والسياسية المساعدتين على الوصول إلى الأغراض الحقيقية لقصص كليلة ودمنة.

ومن أشهر الافتراضات المسبقة في كليلة ودمنة عبارة (اضرب لي مثلا عن ....)إذ تفرض هذه العبارة مسبقا أن دبشليم المتكلم بها لديه صلاحية إصدار الأمر، وهذا ما تبينه العلاقة بين دبشليم الملك وبيدبا الفيلسوف وهذه الصلاحية تكون دون هيمنة أو قهر للعلاقة الطيبة التي أصبحت تجمع الاثنين.

وقوله«**فلما سمع ملك البوم مقالة الغراب قال لبعض وزرائه : ما تقول في الغراب وما ترى فيه؟**»[2] إن هذا السؤال يفترض أن المسؤولين (الوزراء)على قدر من الحكمة والفطنة يخولهم أن يعطوا رأيهم فيما أراد الملك أن يستفسر عنه ويفترض من ذلك القول أيضا أن السائل والمسؤول على علاقة تمكنهما من التحاور على مستوى معين.

وخطاب كليلة ودمنة مليء بالافتراضات المسبقة وهذا يعود إلى طبيعته الحوارية في العديد من أبوابه التي تتنوع موضوعاتها بتنوع الغاية المرجوة من سرد كل حكاية فيشتل الافتراضات المسبقة إذن التسليم بصحة مقولة أو فكرة أو تدعو القارىء إلى التسليم بها وان افتقار المحادثات على القدر الكافي من الافتراضات المسبقة يتسبب في حالات عديدة من سوء الفهم أو في فشل التخاطب ككل، وما يجعلنا نسلم بصحة نجاح التخاطب في كل أبواب الكتاب هو وجود خلفيات مشتركة من الافتراضات المسبقة وهي متينة بالقدر الذي جعلها تضمن السير

---

[1] C.k .orecchioni.l'imlicite.p24

[2] ابن المقفع ،باب البوم والغربان،ص179

الحسن للخطاب منذ بدأ بطلب دبشليم (اضرب لي مثلا)إلى غاية انتهاء بيدبا بعد سرده لمجموعة من الحكايات و الأمثال بقوله(فهذا مثل أخوان الصفاء....)او (فهذا مثل أهل العداوة...)وهذا دليل نجاح العملية التبليغية .

## 2 -1-2-الأقوال المضمرة(Les sous-entendus)

هو النمط الثاني من متضمنات القول ويطلق عليه البعض مصطلح "المفهوم" وهو مرتبط بوضعية الخطاب ومقامه على عكس الاقتضاء الذي يحدد على أساس معطيات لغوية أي أنه يستنتج من المعنى الجانبي ومن السياق وهو يستعين بقانونيْ الإخبار والشمولية[1]

ويعد "غرايس" أول من كوّن مفهوما حول ظاهرة الأقوال المضمرة ،وفكرته مبنية على أساس أنّ الفعل الخطابي يفترض تعاونا من قبل المشاركين والتبادل الخطابي، فضلا عن كونه يخضع لقواعدَ وقوانين خاصة بالخطاب فإن المتحدث فيه يلتمس من المستمع معرفة المبادىء الأساسة للمحادثة وانطلاقا من هذه الفرضية يجعله يستنتج أقوالا مضمرة[2]

وكليلة ودمنة غزير بمختلف أنواع الافتراضات المسبقة ذلك أن منشىء الخطاب بيدبا يتسم بالحكمة وأحكام العقل خاصة ما تعلّق منها بإسداء النصيحة للملك، فدعوته إلى ذلك لا تكون إلا بشيء من التلميح يُظهر اللين والابتعاد عن التجريح في مثل قوله«**للملوك سكرة كسكرة الشراب فالملوك لا تفيق من السكرة إلا بمواعظ العلماء**»[3] وكان قوله يضمر دعوة صريحة لوجوب فطن الملك والاهتداء إلى صائبة الطريق.

وتعتبر جل القصص التي يرويها بيدبا لدبشليم والتي تحمل معانٍ خفيةً متضمناتِ أقوال ،ففي باب الحمامة مثلا ضمنه معانٍ اجتماعية تمثلت في الصداقة والأخوة و قد جعل بذلك الحيواناتِ المذكورة في هذا الباب عبارة عن رموز تعبر بحق عما يريد إيصاله إلى المتلقي ،ولا يمكن للقارىء أن يكتشف خبايا ومضامين الأقوال الواردة في هذه القصة أو في ما توالى من حكايات الكتاب إلا إذا يتمتع بملكة تداولية وآليات منطقية لأنّ القول المضمر لا يتحدد إلا من مجموع الاستنتاجات التي يصل إليها المتلقي «**انطلاقا من المَلَكَات: البلاغية والتداولية والموسوعية والمنطقية**»[4] ولكن قد يخطىء المخاطَب في كثير من الأحيان في إدراكه لنية المتكلم في تصريحة بشيء معين أو استفهامه عنه[5] وهذا ما يوضحه الحوار الذي جرى بين الحمامة المطوقة والجرذ «**ابدأ بقطع عقد**

---

(1) ينظر ،جان سيرفوني،الملفوظية،ص03

(2) Mangueneau.analyser les textes de communication.p90

(3) ابن المقفع ، مقدمة الكتاب،ص10

(4) C.k .orecchioni.l'implicite.p40

(5) ابن المقفع،باب الحمامة المطوقة،ص151

**سائر الحمام وبعد ذلك أقبل على عقدي.....فقال لها: لقد كررت القول عليّ كأنك ليس لكِ في نفسك حاجة ولا لك عليها شفقة ولا ترعين لها حقا»**[1]

لقد كانت الحمامة تضمر في قولها معنى لم يتوصل الجرذ إلى فهمه بل أساء تأويله لما أَبَت الحمامة المطوقة التصريح به ،وهذا ما يؤكد قول "أوركيوني" في أن الوصول إلى المعنى المضمر وراء كل قول يعمد فيه التلميح،لابد أن يستند إلى بعض العمليات الذهنية كالاستنتاج والتأويل لأجل الوصول إلى المعنى الصحيح فتتحقق الفائدة البلاغية من تلك الأقوال وتنجح العملية التواصلية .

وفي مثال آخر نستحضر قول "بيدبا" لما ضرب مثل السمكات الثلاث«**الرجال ثلاثة حازم وأحزم منه وعاجز فالحازم من إذا نزل به الأمر لم يدهش له ولم يذهب قلبه شعاعا ولم تعيَ به حيلته ومكيدته التي يرجو بها المخرج منه ، وأحزم من هذا المقدام ذو العدة الذي يعرف الابتلاء قبل وقوعه فيعظمه إعظاما ويحتال له حيلة حتى كأنه قد لزمه ،فيحسم البلاء قبل أن يبتلى به ويدفع الأمر قبل وقوعه وأما العاجز فهو في تردد وتمنٍ وتوانٍ حتى يهلك**»[2]

فقد ذكر مثل السمكات للوصول إلى المعنى المضمر المتمثل في :أي من هؤلاء يمكن تصنيف "دبشليم" ،هذا ما سيجيب عنه هذا الأخير إن تمكن من فهم المعنى المقصود خاصة وأن قول بيدبا مدعوم بالحجة التمثيلية.

## III –الوظائف التداولية :

إن موضوع هذا المبحث هو دراسة خصائص المكونات المسندة إليها الوظائف التداولية بنوعيْها داخلية(محور،بؤرة) وخارجية (مبتدأ ذيل ومنادى)وقد اهتم اللغويون العرب نحاةً وبلاغيين–كما هو معلوم–بدراسة هذه البنيات في إطار التفاعل بين بنية"المقال" ومقتضيات"المقام" فاقترحوا أوصافا لظواهر"التخصيص،"العناية" "التوكيد" و"الحصر"[3] وسيبين هذا المبحث كيف أنّ جل النظريات الثاوية خلف الوظائف النحوية والبلاغية هي نظريات تداولية.

### III –1الوظيفتان الداخليتان:

- **البؤرة (Focus)**تستند الوظيفة البؤرة إلى العنصر من الجملة الدال على المعلومة التي يفرض المتكلم أنّها المعلومة غير المشتركة ،وهنا يميز "أحمد المتوكل" بين نوعين منها "بؤرة الجديد"و "بؤرة المقابلة"، وذلك

---

(1) المصدر السابق،باب الحمامة المطوقة،ص151

(2) المصدر نفسه ،باب الأسد والثور،ص65

(3) ينظر،أحمد المتوكل،الوظائف التداولية في اللغة العربية،دار الثقافة، الدار البيضاء،المغرب،ط1985،1،ص07

من حيث طبيعةُ وظيفة البؤرة كما يميّز بين "بؤرة المكوّن" و"بؤرة الجملة" من حيث مجالُ هذه الوظيفة وسيتم تعريفها كالتالي:[1]

***بؤرة الجديد:**هي التي تستند إلى المكون (حمل أو عنصر حمل)الحامل للمعلومة التي تقع خارج القسم الإخباري المشترك لطرفي الخطاب أي تستند إلى العنصر الحامل لمعلومة يجهلها المتكلم (في حالة الاستخبار) أو المخاطَب (في حالة الإخبار).

***بؤرة مقابلة:** هي الوظيفة المستندة إلى المكون (حمل أو عنصر حمل)الحامل للمعلومة التي يتردد طرفا الخطاب في ورودها.

وسيحاول هذا المبحث رصد هذه الوظيفة بنوعيْها في حوارات كليلة ودمنة.

بينت الدراسة أن طغت وظيفة بؤرة الجديد على وظيفة المقابلة في كليلة ودمنة وكانت غلبة الطابع الاستفهامي في الحوارات في مثل قول ابن المقفع[2]:

1-قال دمنة:وكيف كان ذلك؟

-قال كليلة:زعموا أن قردا رأى نجارا.....(مثل القرد والنجار)

فبؤرة الجديد في هاذين المثالين تتعلق بالمكونين (كيف و مثل القرد والنجار ككل)

2-ماذا صنعت وماذا رأيت؟

-قال رأيت ثورا.

3-قال فما قوته؟

-قال :لا شوكة له وقد دنوت منه.

بؤرة الجديدة في المثاليْن السابقيْن(ماذا وثورا)،(ما،لا شوكة له) وتبقى حدة الأسلوب الاستفهامي في تزايد، ومعها بؤرة الجديد على أساس أن المعلومات المتبادلة هي ما يعطي التخاطب حيويته واستمراره لبناء البنيات الحملية للخطاب.

أما بالنسبة لبؤرة المقابلة فنذكر ما جاء منها في قول ابن المقفع:[3]

-قال دمنة:ألا تعجب يا أخي من عجز رأيي؟

---

[1] ينظر ،المصدر نفسه،ص28،29

[2] ابن المقفع،باب الأسد والثور،ص89

[3] المصدر نفسه،ص90

-قال كليلة:قد أصابك ما أصاب الناسك

الملاحظ في الجملة المسندة إليها بؤرة المقابلة عن الجمل الحاملة لبؤرة الجديد بأنها تصدر بأدوات مؤكدة كما في المثال السابق(قد)حيث جاءت بؤرة المقابلة في هذه الجملة مسندة إلى الجملة برمتها وهذا ما قصده النحاة القدماء حين قالوا: إنّ الهمزة تستعمل لطلب التصور كما تستعمل لطلب التصديق[1] وقد وردت بؤرة المقابلة هنا بؤرة جملة تمثلت في (تعجب يا أخي ،أصابك ما أصاب) وما يعزز اشتمال هذا المثل على وظيفة بؤرة المقابلة كون المتكلم (دمنة)يعتقد قيمة معينة للعنصر المستفهم عنه.

### 3-1-2المحور:(Topic)

تستند الوظيفة المحور إلى المكون الدال على الذات التي تشكل محط الحديث ،واعتمادا على هذا المفهوم يحاول توضيح هذه الوظيفة في أمثلة من التراكيب الحملية في كليلة ودمنة في قول ابن المقفع:[2]

-حدثني إن رأيت عن أخوان الصفاء كيف يبتدىء تواصلهم ويستمع بعضهم إلى بعض

-إن العاقل لا يعدل بالأخوان شيئا فالأخوان هم الأعوان على الخير.

تستند وظيفة المحور في المثاليْن السابقيْن على التوالي إلى:(أخوان الصفاء،ضمير الهاء في (تواصلهم وبعضهم و الأخوان)، وما يلاحظ على هذه المحاور أن الحد (أخوان)يبدو أكثر موسومية في استقطابه هذه الوظيفة لأنه اسم دال على ذات ، ويأخذ هذا المكون وظيفة المحور بمقتضى الوضع التخايري القائم بين بيدبا ودبشليم في طبقة مقامية تتمثل في طلب الملك من الفيلسوف أن يضرب له مثلا عن أخوان الصفاء،فلفظة (أخوان)في الجملتين تدل على المتحدث عنه مع الفرق الآتي:

-أخوان في الجملة الأولى تدل على الشخص الذي يشكل محور الاستخبار.

-ويدل في الجملة الثانية على الشخص الذي يشكل محور الإخبار.

## III -2 الوظائف الخارجية:

- **المبتدأ(thème)**

يعرف المبتدأ على أساس أنه المكون الذي يدل على «**مجال الخطاب الذي يعد الحمل الموالي واردا بالنسبة إليه**»[3]

---

[1] ينظر أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية،ص33

[2] ابن المقفع،كليلة ودمنة،باب الحمامة المطوقة،ص149

[3] أحمد المتوكل ،الوظائف التداولية في اللغة العربية،ص115

وهذا ما يبعد فرضية أن يلي المبتدأ أيّ حمل، بل لا بد من وجود علاقة بين المبتدأ والحمل الذي يليه وهذه الوظيفة عُدّت من الوظائف الخارجية.

وسنحاول إحصاء هذه الوظيفة في خطابات كليلة ودمنة على الرغم من ندرتها، ومن أمثلة قول ابن المقفع:«**أيها الطاغي المغتر بقوته المحتقر لأمري كيف رأيت عظم حيلتي ...أيها الفيلسوف الفاضل و الحكيم العادل أنت المقدم فينا...هذا الملك لم تفزعه النوائب...بالباب رجل من البراهمة يقال له بيدبا...إن الملوك لها سكرة**»[1]

وقد يلتبس أمر المبتدأ و المحور فيشتركان في أنّ كليْهما "متحدَّث عنه"إلا أنه بالرغم من هذا التشابه يظل المبتدأ و المحور مكونيْن متمايزيْن ذوي خصائص تداولية وتركيبية مختلفة ،ويكمن الفرق الأساس بينهما في أن المحور المتحدَّث عنه داخل الحمل في حين أن المبتدأ متحدَّث عنه خارجي بالنسبة للحمل.

### 3-2-3الوظيفة الذيل(Tail)

يعرف الذيل بأنه المكون الذي يوضح أو يعدل أو يصحح معلومة واردة في الحمل[2] وهذا ما جعله يقسم ثلاثة أقسام :ذيل توضيح، ذيل تصحيح وذيل تعديل ومن أمثلة ذلك في "كليلة ودمنة"قول ابن المقفع[3]:

-فلامهم أبوهم ووعظهم على سوء فعلهم(ذيل توضيح)

-وأما الأربعة التي يحتاج إليها في درك هذه الحياة فاكتساب المال من أحسن وجه يكون(ذيل توضيح)

-صار بمنزلة الفقير الذي لا مال له(ذيل توضيح)

-إن رجلا سلك مفازة فيها خوف من السباع (ذيل توضيح)

وما يلاحَظ على ذيل التوضيح أنه يعطي المتكلم المعلومة ثم يلاحظ أنها ليست واضحة الوضوح الكافي فيضيف المعلومات(التي تحتها سطر)لإزالة الإبهام وهذا ما يجعل ارتباطه بالحمل،في سائر البنيات المذيّلة ارتباطا تداوليا.

### 3-2-4المنادى(Vocative)

يضاف إلى الوظيفتين الخارجيتين السابقتين وظيفة"المنادى"«**تستند وظيفة"المنادى"إلى العنصر الذي يشكل محط النداء في الجملة**»[4]

---

[1] ابن المقفع،مقدمة الكتاب، ص10،11،12

[2] أحمد المتوكل،الوظائف التداولية،ص116

[3] ابن المقفع،باب الأسد و الثور،ص77،78

[4] أحمد المتوكل،الوظائف التداولية،ص117

ولكن يجب التمييز بين النداء كفعل لغوي (Speech act) شأنه شأن الأفعال اللغوية الأخرى كالإخبار والاستفهام... والمنادى كوظيفة أي علاقة(Relation) تستند إلى إحدى مكونات الجملة وهي في ذلك مرتبطة بالمقام .

ومن أمثلة وظيفة المنادى في "كليلة ودمنة" وهي كثيرة نذكر منها:[1]

-نظرت إليك يا بيدبا ساكتا

-أيّها الناصح الشفيق الصادق

-يا بيدبا إنّي قد استعذبت كلامك.

-أيّها الحكيم.

هذه بعض الأمثلة تُظهر الوظيفة "المنادى"، وما يُلاحظ عليها أنّها مستندة إلى العاقل، وهذا ما اشترطه "المتوكل" كما تجدر الإشارة في آخر هذا المبحث، إلى أنّ الوظائف الخارجية(منادى مبتدأ وذيل) مكوّنات اختيارية إذ يمكن أن يرد الحمل دون إحداها أو دونها جميعا.

[1] ابن المقفع،مقدمة الكتاب،ص14،15،16

## IV-آليات الحجاج البلاغية في كتاب كليلة ودمنة:

سنحاول في هذا الفصل بيان كيف تمنح التقنيات البلاغية الخطاب بعدا تأثيريا ،يساهم إلى حد كبير في عملية إقناع الملتقي وذلك من خلال بعض النماذج من الكتاب.

### IV-1- المقام:

يبدو من ظاهر الكتاب أنّ المقام، مقام للخواص والعوام، وذلك أن الكتاب يتضمن حكايات تدور على ألسنة الحيوانات، يحكيها الفيلسوف"بيدبا"للملك"دبشليم" لكن إذا تأمل القارئ هذه الحكايات جيدا وسبر أغوارها وتفكر فيها وجد أن الحيوان فيما له و ما ينطلق به حكمة وأدب، فيتحول المقام بذلك إلى مقام نصح وإرشاد يهدف إليه مترجم الكتاب "ابن المقفع" ،كما تؤكد أبحاث كثيرة، ويقصد من خلال ذلك تنبيه الإنسان إلى ما يحتاجه من سياسة نفسه وأهله وخاصته وجميع ما يحتاج إليه من أمور دينه ودنياه وآخرته وأولاه.. وحسن طاعة الملك ... ومن النماذج التي يتجلى فيها ذلك "قصة القرد مع النجار".

- قال "ابن المقفع" على لسان "كليلة" وهو حيوان ابن أوى: «**زعموا أن قردا رأى نجارا يشق خشبة بين وتدين، وهو راكب عليها، فأعجبه ذلك ثم إن النجار ذهب لبعض شأنه، فقام القرد وتكلف ما ليس من شغله، فركب الخشبة .. فتدلى ذنبه في الشق ونزع الوتد فلزم الشق عليه فخرّ مغشيا عليه، فكان ما لقي من النجار من الضرب أشد مما أصابه من الخشبة** »[1].

من خلال هذا النص نستخلص أن المقام في هذه القصة هو مقام نصح كما تكلف من التحول والفعل ما ليس من شأنه والذي تكون نهايته الهلاك.

### 4-2- التشبيه والاستعارة:

لقد عدل الكاتب في كثير من المواضع من كتابه هذا على المعنى الحقيقي الحرفي للكلام واستعمل الألفاظ استعمالا مجازيا فكانت عبارته المنتقاة أبلغ من الحقيقة فأضافت على النصوص طابعا حجاجيا، من خلال جعل ذهن الملتقي يتجول في خياله بحثا عن المعنى المقصود، وإذا ما تحصّل على المراد تمكّن في نفسه واستقر في ذهنه لما يتركه من أثر قوي، ومن أمثلة التشبيهات التي وردت في كتاب كليلة ودمنة، قول الكاتب «**اجعلوا الأموال جنة البلاد**»[2] فاستعمل تشبها بليغا ذكر فيه ركنيْ التشبيه وحذف وجه الشبه وهي المتعة والراحة .... وحذف الأداة (وهو تشبيه بليغ) ليكون التجسيد أكثر بلاغة وإقناعا للمتلقي.

---

[1] المصدر السابق،باب الأسد والثور،ص75

[2] المصدر نفسه، باب البوم والغربان، ص174

– وإذا كان التشبيه تشكل من ركنين أساسيين فإن الاستعارة هي تشبيه حذف أحد ركنيه ومن أمثلة ذلك في كتاب كليلة ودمنة: " فالمرء ترفعه مروءته من المنزلة الوضيعة إلى المنزلة الرفيعة" (باب الأسد والثور وهو الكتاب، الفقرة 3) فذكر المشبه (المروءة) وحذف المشبه به يقدر (بالإنسان) وعوضه بقرينة لفظية وهي (ترفع)، فلجأ الكاتب إلى هذا الاستعمال مصورا المعاني في شكل محسوسات حتى يقرب الصورة أكثر إلى للمتلقي ويقنعه بفكرة ما تفعل المروءة لصاحبها فهي تتحكم في منزلته، فإذا حافظ عليها تكون نتيجة ذلك المحافظة على منزلته.

– ويستعمل الكاتب الآلية نفسها حين يقول ( فإذا كان الملك محصنا للأسرار) (باب البوم والغربان فقرة 03 )، حيث ذكر المشبه (الأسرار) وحذف المشبه به يقدر بشيء مجسد ويعوضه بقرينة لفظية وهي التي منعت من إيراد المعنى الحقيقي (محصنا) فكان الكلام أكثر بلاغة وتأثيرا في المتلقي.

هذا ما يجعل جمالية وفنية التّشبيه والاستعارة المستعملان في الكتاب تظهر بجلاء من خلال أنّها جاءت مفعمة بالحركة والإيحاء،لما نقلت مشاهد حية كأنّ السامع يراها بأمّ عينيه ماثلة أمامه.

**4–3– الكناية:**

وهي اللفظ المستعمل فيها وضع له في اصطلاح التخاطب للدلالة به على معنى آخر لازم[1] وهي أسلوب ذكره من أساليب التجسيد عن المراد بطريقة غير مباشرة[2] ، ولذلك كانت الكناية من أحسن الطرائق التي لجأ إليها الكاتب لأنه يريد التصريح بمقاصده مباشرة وإلا أدى ذلك إلى هلاكه ،وذلك ما حصل بالفعل ،ويتجلى من خلال نهايته الأليمة.

– ومن نماذج ذلك: "اشتدت شوكة عدوهم" أي قويت فهذا الاستعمال كناية عن تضاعف قوة العدد (باب البوم والغربان. فقرة 2).

– "الرجل الجديد لا يعجزه الحمل الثقيل" كناية عن هموم الدنيا فإنها إذا اشتدت على الرجل الشديد لا يعجزه الحمل الثقيل" إذا اشتدت على الرجل الشديد فسيقام بقوة ولا يهزم أمامه (ا باب الأسد والثور وأول الكتاب، فقرة4).

**4–4– التمثيل:** «**وهو التمثيل المركب الذي يكون وجه الشبه فيه منتزعا من متعدد**»[3]. ومن أمثلة ذلك قوله على لسان دمنة (ابن آوى).

---

(1) عبد الرحمن حسن حبنك الميداني: البلاغة العربية (أساسها وعلومها، وفنونها). جزء 2. الدار الشامية، ط1، بيروت، 1996 م، ص 135.

(2) المرجع نفسه. عبد الرحمن حسن حبنك الميداني،ص136

(3) عبد الرحمان الميداني،البلاغة العربية،ص101

"وأما أهل الفضل والمروءة فلا يقنعهم القليل ولا يرضون به، دون أن تسمو بهم نفوسهم إلى ما هو أهل له، وهو أيضا لهم أمل، كالأسد الذي يفترس الأرنب، فإذا رأى البعير تركها وطلب البعير". (باب الأسد والثور. فقرة4).

فصور لنا الكاتب بهذا التمثيل حال أهل المروءة الذين لا يقنعهم القليل، بل يسعون دائما إلى الأفضل وهم في ذلك مثل الأسد الذي وجد أمامه أرنبا أراد أن ينقض عليه ولما وجد ما هو أفضل وأكبر من البعيد ترك الأرنب وذهب لحصول على البعير.

وحتى يدعم حجته ساق التشبيه التمثيلي الآتي:

«**إن الارتفاع إلى المنزلة الشريفة شديد، والانحطاط منه مهين، كالحجر الثقيل، رفعه من الأرض إلى العالي عسير، ووضعه إلى الأرض هين**» (نفس الفقرة) وهي صورة حية تقنع العقل وتؤثر في القلب تأثيرا شديدا، فالكاتب يشغل معلوماتنا التي نستقيها من إدراكاتنا الحسية ليصل إلى هدفه وهو إقناعنا بوجهة نظره وهو عدم القناعة بالعيش المهين والذل والسعي نحو العيش الكريم. رغم صعوبته لكن بإمكاننا الوصول إليه.

لقد ركّز"ابن المقفع" على التمثيل لأجل أن يجعل المتلقي يتخيّل المشهد في نفسه كأنّه حاضره، وذلك حتّى يكون أكثر إدراكا له وانفعالا بمعناه، ما جعل الغاية التداولية تتحقق في حلّة بلاغية.

### 4-5- الإيجاز:

"ابن مقفع" وهو كاتب حكيم ومفكر ذو عقل جيد وثقافة وعلم واسعيْن، ويبدو ذلك من خلال العبارات التي تبدو في كتابه بين الفينة الأخرى، وهي عبارات شديدة الإنجاز ولكنها تختصرٍ كثيرة ومواعظَ كبيرة منها:

«**من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب**» (باب الأسد والثور. فقرة4) وهو بذلك فتح المجال للمتلقي كي يتخيل مختلف الأهوال التي تواجهه في حياته. للحصول على رغبته مهما كان نوعها فالحصول عليها لا يكون إلا بالتحدي ومواجهة هذه الأهوال.

وهو بذلك اللفظ الموجز فتح المجال للمتلقين كي يتساءلوا عن مورد ذلك المثل إضافة إلى أنّ ذلك الإيجاز يُحقّق- تداوليا- حكمتي الكم والكيف اللّتان تعتبران من الحكم التي ينبني عليها مبدأ "التعاون"لـ"غرايس هربار بول" (Grice Herbert Paul) والتي تقتضي المشاركة في الحديث بالقدر الذي يقتضيه الهدف وهذا ما يعرف بحكمة الكم(Le maxime de quantité )هذا ما حقّقته عبارات "ابن المقفع" الموجزة المدعومة بالحجّة والدليل على القول،وبهذه الأخيرة تحقّقت حكمة الكيف(Le maxime de qualité)التي تنصّ على أنّ المتكلم لا يقول ماليس متأكّدا منه..

### 4-6- الطباق:

استعمل الكاتب الطباق بكثرة لأنه يبين واقعين واقع يعيشه: وهو واقع مهين، وضع سياسي غير جيد وبين الواقع الذي يسعى إلى تحقيقه ويأمل أن يعيشه في يوم من الأيام، ومن أمثلة ذلك (فقرة4 الأسد والثور) الصديق≠العدو (يسر≠يكبت) (المنزلة الوضيعة≠ المنزلة الرفيعة) وهو ما يندرج ضمن طباق الإيجاب، أما طباق السلب فنجد (مروءة≠ لا مروءة) (يرضون≠لا يرضون) وهي كلمة تعكس الصراع الذي يعيشه الكاتب بين واقعه وما يسعى إليه من واقع مثالي.

وتظهر جمالية التضاد في أسلوب "ابن المقفع" في استعماله له بما يناسب موضوعاته دون أن يشعر القارىء فيها بالتكلّف ،ولم يكن الطباق لمجرّد الزينة بل لحاجة المعاني إليه ليُسهم في تأكيدها وتقريرها بصورة أقوى وأمكن في النفوس وذلك من خلال تتابع متوازيات التعبير(المتضادّات)في خطابات الكتاب ،وظهر ذلك بأنسب الطرائق التعبيرية لآدائها ،فأعطى كلامه حيوية وخفّف من جفاف الفكر، وكلّ هذا جعل الفعل التّداولي محقّقا من خلال أنّ الخطاب استوفى الحكمة الثالثة من مبدأ التعاون-الآنف الذّكر-وهي حكمة العلاقة أو المناسبة (Le maxime d'appropriation) التي تعني أنّ المشاركة دالة ومناسبة أي مطابقة وملائمة لسياق الخطاب.

### 4-7- جناس:

المحسنات البديعية هي ما يزيد الكلام رونقا وحسنا وجمالا ويستعملها الكاتب لجذب انتباه المتلقي وإقناعه بالأفكار، والمقاصد التي يرمي إليها ومن أقوى المحسنات "الجناس"، ولم يلجأ إليه الكاتب كثيرا لأن همه كان منصبا حول كيفية نقل الرسائل إلى المجتمع والساسة، بطريقة لا يكشفها من هو موجه إليه الكلام فكان الأسلوب الذي استعمله الكاتب لنقل أفكاره عن طريق القصص والحكايات أسلوبا جميلا يجذب المتلقي دون الحاجة إلى أي محسنات، ولا يمنع من وجود بعض النماذج منها:

- (وضيعة رفيعة) فقرة 4 الأسد والثور.
- الشين والزاي آخر الفقرة 4 الأسد والثور.

### 4-8- الشاهد والمثل:

وحتى يقنع الكاتب متلقيه بصحة الأفكار التي يدعو إليها وبيان مدى سلامتها، استعمل بكثرة أقوال العلماء منها:

- قولها في الرجل الرشيد: «**إن لا يرى إلا في مكانين، ولا يلاقي بها غيرهما، إما مع الملك مكرما، وإما الشاك متعبدا**». الفقرة 4 الأسد والثور .

- «**من المحتال يموت قبل أجله**» ( الأسد والثور الفقرة الأخيرة).

- « **من كتب حجة ميت أخطأ حجته يوم القيامة**».

**4-9- المثل**:أمّا المثل فيكثر في كتاب "ابن المقفع"، فلا يكاد يذكر قصة إلا وسرد داخلها قصة مشابهة لوضع معين في تلك القصة، ويذكر الكاتب النتيجة التي تؤول إليها القصة الثانية ويحذر من الوقوع فيها نتيجة وجود الأسباب نفسها التي تؤدي إليها ومنها: لما كان الأسد يخاف صوت الثور ولا يعرف مصدره وصرح لدمنة بذلك، فقال له دمنة بأنّ العلماء قالت: إنه ليس من كل الأصوات تجب الهيبة، قال الأسد: وما مثل ذلك؟ فذكره له دمنة قصة الثعلب الذي كان يهاب صوت طبل معلق على الشجرة كلما هبت الريح على قضبان تلك الشجرة ولما تأكد من مصدر الصوت انتهى إلى أن « **أفشل الأشياء أجهرها صوتا وأعظمها جثة**» فاتعض الأسد من هذا المثل الذي سرده عليه "دمنة" وأقنعه به للتأكد من مصدر الصوت، فلما ذهب بالفعل وجداه صوت الثور.

***آليات الحجاج اللغوية في كليلة ودمنة:**

**1- الروابط الحجاجية :**

كتاب كليلة ودمنة يحتوي على أنواع مختلفة من الروابط الحجاجية، يمكن تقسيمها على النمط التالي:

**1-1- الروابط المدرجة للحجج:**

**1-1-1. الرابط الحجاجي لأن:**

يعتبر الرابط الحجاجي (لأنّ) من أهم روابط التعليل والتي تربط بين السبب والنتيجة، ومن مواضع استعمالها قوله متحدثا عن الأسد وواصفا حالته عندما سمع خوار الثور وتخوف منه:«**فلما سمع خوار الثور، ولم يكن رأى ثورا من قط ولا سمع خواره، لأنه كان مكانه لا يبرح ولا ينشط**»[1].

استعمل الكاتب هذا الرابط (لأن) لغرض تعليل حالة خوف الأسد ،للمتلقي، خاصة وأن المتلقي لم يعهد كذا وضعا من قبل، فراح يبين له عدم معرفته للثور وهو مكوثه في مكان واحد دون نشاط ولا حركة، فساهمت (لأن) إلى حد كبير في تأكيد ظلم الأسد وكِبره وتواكله على غيره وحجة ذلك استغرابه من صوت الثور.

[1] ابن المقفع،باب الأسد والثور،ص89

ونجد هذا الرابط في موضع آخر: «**ولكن رأيت أن أقضي ما لك من حق قبلنا: لأنك أخونا وما عندنا من النصح مبذول لك.**»[1].

فرُبط بالنتيجة وهي قضاء ما للغراب من حق بالنسب وهو رابط الأخوة بين السلحفاة وبينه وذلك ليؤكد النتيجة.

### 1-1-2. الرابط الحجاجي "لام التعليل":

وهي أيضا من الروابط الحجاجية التي تستعمل للتعليل ومن بين الاستعمالات التي تضمن هذا الرابط «**لولا أن بصر به قوم من أهل القرية، فتواقعوا لإخراجه فأخرجوه**»[2] ،فالحجة: هي إخراج الرجل من الماء والرابط الحجاجي هو اللام، والنتيجة هي أنهم تواقعوا عليه، فقد جاءت الحجة لدعم السبب بفضل رابط (اللام).

وقوله في موضع آخر:« **فأسند ظهره إلى حائط من حيطانها ليستريح مما حل به من الهول والإعياء**»[3] فالهول والإعياء حجة يدل على سبب إسناد ظهره للحائط، فالرابط الحجاجي هنا جاء ليعلل سبب لجوء الرجل إلى الحائط واستناده عليه.

### 1-2- روابط التعارض الحجاجي:

ومن أهم روابط التعارض:

**1. الرابط الحجاجي "لكن"**: ومن أمثلة ما ورد في الكتاب: قال "دمنة":«**فقد سمعت ما ذكرت، ولكن أعلم أن كل من يدنو من الملوك ليس يدنو منهم لبطنه**»[4]

ومعنى لكن في جميع مواضيعها الاستدراك[5] ، وهي تداوليا تربط بين حجتين لكن تكون الحجة الأولى أقوى من الحجة الثانية حيث نجد الحجة الأولى التي قدمها "كليلة" وهي ما ذكره عن قصة (القرد والنجار وعاقبة القرد نتيجة تدخله فيما لا يعنيه) هي حجة أقوى من الحجة التي استدركها "دمنة" وهي عدم رغبته الدنو من الملوك من أجل بطنه ،وإنما يدنو منهم لغايات أسمى، وقال في موضع آخر: «**إن السلطان لا يتوخى بكرامته فضلا من بحضرته ولكن يؤثر الأدنى ومن قرب منه**»[6].

---

[1] المصدر السابق،ص99

[2] ابن المقفع،ص70

[3] المصدر نفسه، باب السائح والصائغ،ص260

[4] المصدر نفسه،باب الأسد والثور،ص85

[5] ينظر،الحسن قاسم الجن، الداني في حروف المعاني،تح،فخر الدين قباوة وغيره،دار الكتب العلمية،ط1،بيروت،1992،591

[6] ابن المقفع، باب الأسد والثور،ص86

فأفادت "لكن" هنا الربط بين حجتين متعارضتين، فإذا كانت الجملة الأولى تنفي تقريب الملك الفضلاء إليه فإن الثانية تُثبت تقريب الأدنى والأقرب.

### 1-3- روابط التساوق الحجاجي:

وقد توفر الخطاب على عدد كثير منها، كما جاء في قوله: «**وليس أحد يصغر أمره إلا وقد يكون عنده بعض الغناء والمنافع على قدره، حتى العود الملقى في الأرض ربما نفع، فيأخذه الرجل فيكون عدته عند الحاجة**»[1].فتوافرت العبارة على حجتين متساوقتين أي أنهما تخدمان نتيجة واحدة وهي عدم احتقار صغار الأمور لأنها تكون نافعة أحيانا. ونجد أيضا من بين الاستعمالات التي توافرت على "حتى" كرابط حجاجي قوله: «**إن العنقاء هي سيدتنا وملكتنا فاذهب بنا إليها حتى نصيح بها**»[2] .فأفادت هنا "حتى" الربط بين حجتين متساوقتين، أي كل واحدة منها تسوق الأخرى للحصول في الأخير على نتيجة واحدة ،وهي ملاقاة العنقاء في الصياح بها، وهي أفادت هنا التعليل فتكون بذلك الحجة الثانية (التي تليها) أقوى من التي تسبقها أي (الحجة الأولى).

**الروابط الحجاجية: "الواو والفاء وإما":**

تكثر في هذا الكتاب روابط الاتساق التي تساهم في تركيب الحجج وأهمها: الرابط الحجاجي "الواو" ومن الاستعمالات التي تكرر فيها:

قوله:«**إن مصاحبة السلطان خَطِرَة وإن صوحب بالسلامة والثقة والمودة وحسن الصحبة ..... وهو الذي يحمل الرجل الضعيف على ظهر الفيل الهائج، وهو الذي يسلط على الحية ذات الحمة من ينزع حمتها ويلعب بها، وهو الذي يجعل العاجز حازما ويثبط الشهم، ويوسع المنفتر، ويجبن الشجاع عندما تعتريه المقادير العلل التي وضعت عليه الأقدار**»[3]. الواو أسهمت بشكل فعال في اتساق الحجج أفقيا لخدمة نتيجة واحدة وهي خطورة مصاحبة السلطان.

ومن الروابط التي تكررت كثيرا في كتاب "كليلة ودمنة" وساهمت في ترتيب الحجج وتنظيمها لتحقيق الاتساق بين الحجج، الرابط الحجاجي الفاء «**زعموا أن شجرة كان في أصلها حجر منور ... وكان قريب منه حجر مرن ... فنزل ذات يوم صياد فنصب حباله قريبا من موضع رومي فلم يلبث أن وقع فيها، فخرج الجرذ يدب،**

---

[1] المصدر السابق،باب الفحص عن أمر دمنة،ص130

[2] ابن المقفع،باب البوم والغربان،ص176

[3] المصدر نفسه،باب الأسد والثور،ص91

**ويطلب ما يأكل، وهو حذر من رومي، فبينما هو يسعى إذ بصربه في الشرك، فسُرّ واستبشر، ثم التف فرأى خلفه ابن عرس»**[1] .

أسهم الرابط "الفاء" هنا في ترتيب الحجج ترتيبا منطقيا، يجعل القارئ يعيش مع الأحداث وكأنها حقيقة، ويتبع الحجة تلو الأخر ليصل إلى النتيجة النهائية، فيتقبلها بكل سهولة.

وساهم كذلك الرابط الحجاجي "أما" بشكل كبير في ترتيب الحجج وتنظيمها ،ومن أمثلة ما ورد في الكتاب قوله على لسان "دمنة": «**إنما يؤتى السلطان ويفسد أمره من قبل ستة أشياء: الحرمان والفتنة والهوى والفظاظة والزمان والخرق**»[2] .

فأما الحرمان فأن يحرم صالح الأعوان والنصحاء والساسة من أهل الرأي والنجدة والأمانة، وترك التفقد لمن هو كذلك، وأما الفتنة فهي تحارب الناس. ووقوع الحرب بينهم، وأما الهوى فالغرام بالحدث واللهو والشراب والصيد . فذكر الكاتب مفسدات السلطان بشكل عام ثم طفق يفصّل فيها بشكل منظم مرتبا المفسدات الواحدة تلو الأخرى حتى انتهى منها كلها ،ولذلك أثر كبير في إقناع المتلقي وجعله يتابع الحجة تلو الأخرى فيتقبل عقله هذا الحجج واحدة واحدة حتى يقتنع بها كلها.

### 3- السلم الحجاجي:

ومن أمثلة الأقوال المزودة بعلاقة ترتيبية قائمة بين الحجج مايلي:

ما قاله الأسد مبرئا نفسه من أذية الثور:

قال الأسد:« **وكيف لم يرعبني سوءا قط؟ ولم أدع خيرا إلا وفعلته معه؟ ولا أمنية وإلا بلغته إياها؟**»[3].

وإذا طبقنا على هذه الأقوال آلية السلم الحجاجي وجدنا أن كل قول يلزم عنه ما يقع تحته، فعدم مساس الثور بسوء قط يلزم عنه فعل كل خير معه ثم لزم عن كل ذلك تبليغ كل أمنية إياه.

- كل قول عمل حجة ما فإن ما يعلوه مرتبة يحمل حجة أقوى منه على الشكل التالي:

- ولا أمنية إلا بلغته إياها
- لم أدع خيرا إلا فعلته معه
- لم يرمني سوءا قط

---

[1] المصدر السابق، باب الجرذ والسنور،ص206

[2] ابن المقفع،باب الأسد والثور،ص94

[3] المصدر نفسه،باب الأسد والثور،ص102

فعدم رؤية الأسد هي حجة للثور على مدى إخلاص الأسد، وعدم ترك خير قط، وإلا فعله معه، هي حجة أقوى من التي قبلها .وتبلغ الحجة ذورتها في أعلى السلم عندما لا يترك أمنية له وإلا وبلّغه إياها، ونحن نعلم أن الأمنيات هي أصعب الأشياء تحقيقا إلا بعد جَهد كبير.

وقد استعمل "دمنة" نفس الآلية لإقناع الثور بأن الأسد ينوي غدرا، فقال له بأنه سمع من خير صدوق قول الأسد: «**أعجبني سمن الثور، وليس لي إلى حياته حاجة، فأنا آكله ومطعم به أصحابي**»[1] فكان "دمنة" شديد الذكاء في إقناع الثور بعدم إخلاص الأسد وتبليغ حجته له على أحسن طريقة حجاجية تقنعه ولا تجعله يشك أبدا في كذب "دمنة". فبدأ بحجة قوية مطابقة للواقع أن يتفق عليها كل من المتكلم والمخاطَب، ثم انطلق إلى الحجة الأقوى بعدما مهد لها بحجة أضعف، وكانت تلك الحجة هي أن الأسد ليس له حاجة في حياة الثور فهي لا تنفعه ولا تضره، مما بدأ يثير شكوك الثور بأنه ميت لا محالة، ثم أكّد له "دمنة" شكوكه عندما ذكر الحجة الأخيرة والأقوى وهي أقوى الحجج، واتخذ في ذلك السلم التالي:

- أنا آكله ومطعم أصحابي
- ليس لي إلى حياته حاجة
- أعجبني سمن الثور

[1] ابن المقفع،باب الأسد والثور،ص104

# الخاتمة

تعدّ خطابات كليلة ودمنة ذات الطابعين السياسي من جهة التوجيهي التعليمي من جهة أخرى، من أصلح الخطابات لرصد ملامح التوظيف النموذجي لبلاغة الخطاب ،وقد تناولت هذه الدراسة بلاغة الخطاب في كليلة ودمنة من مختلف مستوياته البنائية،تناولا تداوليا،وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج:

**نتائج مهجية**؛تتعلق بالمنهج التداولي في دراسة الخطاب.

**نتائج نظرية** ؛تتعلق بالجانب النظري الموسوم بفي اللسانيات التداولية وبلاغة الخطاب.

**نتائج تطبيقية**؛تخص الجانب التطبيقي من الدراسة والذي طبّقت فيه مبادىء وآليات التداوليات الثلاث على كليلة ودمنة.

## أوّلا:في المنهج

**–**لقد خلّص المنهج التداولي الخطاب النثري خاصة والأدبي عامة من قيود اللسانيات العامة التي تنظر إليه كنظام يدرس في إطار جمله بعيدا عن ظروفه الخارجية التي ولد فيها،في مقابل التداولية التي تدرس كل أنواع الخطاب في ظروف إنتاجها وكيفية استعمال عناصرها اللغوية حتى تصير تبليغية وتواصلية .

-إنّ غزارة مواد المنهج التداولي جعلت أية دراسة تستعمله تؤتي أكلها وتصل إلى نتائج عملية تساعد على الوصول بالمخاطَبين إلى الإقناع فيحث التأثير ومن ثمّ التغيير.

-كان لجهود العلماء الدور الأكبر في إنتاج بلاغة كفيلة بكسب الآخر،مراعية الحال والمقام،وبالتالي فالبلاغة سعت إلى تكريس نظرية تواصلية تحاورية.

-التداولية تقترب من البلاغة في العديد من النقاط المشتركة لعلّ أهمّها اهتمامهما بالعوامل النفسية والاجتماعية التي تساهم بقدر وفير في إحداث تأثير في أفعال اللغة.

## ثانيا:في المفاهيم النظرية التداولية والإرهاصات المعرفية

- رغم ابتعاد "سوسير" عن الحقل الفلسفي والديني في دراسة اللغة القديمة بحثا عن العلمية، تعود الفلسفة في منتصف القرن العشرين، لتستند على الدرس الفلسفي الحديث ومقولاته، الذي يعتبر أحد المصادر المهمة لتطور اللسانيات الحديثة.
- رغم أن التداولية تقع في مفترق الطرق بين حقول معرفية عدة، كاللسانيات التحليلية، علم النفس المعرفي، علوم الاتصال واللسانيات، إلا أنها استطاعت أن تتخذ لنفسها طريقا بوصفها تخصصا لسانيا له موضوع خاص مستقل يدرس كيف يجب استخدام الناس للغة في صلب خطاباتهم بنجاح، وبيان الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا بالاستعمال.
- بين البحث كيف أن العمل الذي أنجزه الفيلسوف" أوستين" يعد عملا فلسفيا ذا فائدة لسانية هامة حيث إنه نجح في بلورة فكرة أن وظيفة اللغة هي التأثير في العالم وصناعته، وليست مجرد أداة للتفكير أو لوصف الأنشطة الإنسانية، وهذا هو أبسط معنى لما سماه الفعل الكلامي لتكون جهود " أوستين"

نقطة إقلاع لتأسيس نظرية أفعال كلام ، حيث أكمل الباحث" سيرل" مساعي وأفكار "أوستين" حينما عدل وطور نظرية أستاذه لما حدد مفهوم الفعل الإنجازي الذي غدا مفهوما محوريا بعد ذلك.

- إن التصور الجديد للغة قد غير النظرة تجاه التواصل البشري، فأعيد النظر على التخاطب، إذ لم يعد الكلام وسيلة ولكن أصبح غاية، ويشكل أساس تحليل الخطاب فيما يعرف بالملفوظية.
- لقد أوضح النظر إلى اللغة من ناحية الاستعمال ميزات جوهرية، جعلتها مرتبطة بعناصر تعد أساسة في العملية التواصلية، إذ أعيد الاعتبار للمتكلم حال الخطاب الذي أصبح يخضع لمجموعة معايير وقيم اجتماعية وأخلاقية وثقافية، هي ما أبعده المنهج البنيوي، واستعانت به التداولية التحاورية فيما قدمناه من مقاربات لتحليل الخطاب التواصلي نظرا للعلاقة الوطيدة التي تربط تلك العلوم بالإنسان في ذاته في علاقته بالمجتمع، خاصة وأن المتكلم أصبح بفعل الميزة التفاعلية فاعلا، بحيث يحتل مكانة مركزية بالنسبة لإنية الخطاب، إلى جانب المتلقي الذي لا يقل أهمية على دور مخاطَبه فيما يعرف بالتعاونية إذ دون متلقي لا وجود للمخاطب.
- إن إنجاز أي فعل كلامي لا بد أن يتم في ظروف اجتماعية ومادية معينة، لذا فإن فهم هذا الفعل على حقيقته لن يتسنى ما لم نأخذ بعين الاعتبار السياق الذي أنجز فيه.
- تظهر معالجة الدراسات اللسانية التداولية للحجاج كظاهرة لسانية تستدعي التأثير والإقناع في عملية التخاطب، من خلال ضبط اللغة لترابط الأقوال الحجاجي بصفة علاقات توجه القول وجهة دون أخرى وتعرض ربطه بقول دون آخر، لبيان ما يتضمنه القول من قوى حجاجية تمثل مكونا أساسيا لا يفصل عن معناه.
- تجدر الإشارة إلى أن الدراسات العربية تضمنت أبعادا تداولية في مختلف الاختصاصات؛ ففي البلاغة اهتم الجرجاني والرضي الاستراباذي بطرفي الخطاب فيما يعرف بغرض وقصد المتكلم من الكلام والفائدة، التي يجسدها السامع من الخطاب، كذلك البحث النحوي لا يخلو من الاهتمام بظاهرة الأفعال الكلامية من خلال تطبيق معاني الخبر والإنشاء على بعض الظواهر النحوي لا يخلو من الاهتمام بظاهرة الأفعال الكلامية من خلال التطبيق معاني الخبر الإنشاء على بعض الظواهر النحوية كفعل التأكيد وفعل النداء...

## 2-النتائج التطبيقية

لقد أظهرت الدارسات التطبيقية أنّ مثل هذه الأنواع الخطابية ذات الطابع السياسي التوجيهي من أكثر الأنواع تماشيا مع المنهج التداولي في إحداث التبليغ و ذلك بالاستناد إلى البلاغة التي غرضها الإقناع.

لقد توخي النص الذي بين أيدينا أكثر الأساليب فعالية من أجل ضبط بؤرة الانتباه والإبقاء على الاهتمام والتأثير، ويظهر من خلال:

- استغلال مختلف التقنيات التي انبثقت من وسائل التشكيل الصوتي والمعجمي والخطابي، كاستراتجيات فعالة لأجل تقوية قوة المنطوق الإنجازية.
- لقد كانت الاستعانة بالأساليب البلاغية والبيانية كالتشبيه والاستعارة والكناية وذلك لوقعها الفعال في العقل والقلب لما تحمله من معاني ضمنية وتشير إلى معان نفسية لدى "ابن المقفع" تُظهر مدى اهتمام هذا الأخير بمهمة إصلاح شؤون أمّته، وفي هذا استدراج للمتلقّين بالنظر بالدلالة.

- اعتمد "ابن المقفع "وجوها حجاجية عدة في خطاباته، ولعل أكثر ما أثار الانتباه هو الأساليب المختلفة في توظيفه الألفاظ، وبما يضفي عليها من الدلالات، قد تم توظيفها من أجل تدعيم البعد الحجاجي لنصوصه، كالتكرار واستعمال أدوات الربط، وتوظيف بعض الصور البيانية، وهذا ما يجعل التفاعل مستمرا بين طرفي الخطاب، مع كل الحجج التي يقدمها "ابن المقفع" سواء أكانت عقلية أم عاطفية.
- إن ما تضمنه التلفظ من آليات (ضمائر، زمان، مكان وأحكام)، سمح لابن المقفع من تحقيق ملفوظية ناجحة ولاسيما ما تعلق بالاستراتجيات التخاطبية له، بتوظيفه الافتراضات المسبقة والأقوال المضمرة.
- لقد جاءت أفعال الكلام في كليلة ودمنة متنوعة في استخدامات "ابن المقفع" لها بين إيقاعية وطلبية وإخبارية والتزامية وتعبيرية، وهذا ما جعلها تنشئ أفعالا تأثيرية، إذ عُدّ هذا الكتاب ولا يزال من أهمّ ما كتب لغايات إرشادية تعليمية يستفيد منها العامة والخاصة على السّواء وذلك للاستراتيجيات التلميحية التي أحسن استعمالها "ابن المقفع"

وفي الأخير ينبغي القول إن مثل هذه الخطابات تحمل مواقف وتعدل سلوكات وتدعو إلى أوامر وتنهى عن أخرى، لذا ينبغي أن يعود لها تأثير على المتلقين.

و أسأل الله مزيدا من علمه وفضله،و أن يتقبل عملي هذا فهو ،وسبحان الله والحمد لله ربّ العالمين.

# الملحق:

- عن الكتاب ومؤلِّفه
  - مؤلّف الكتاب
  - أصل الكتاب وسبب تسميته
  - عن قصص الكتاب

## ❖ عن الكتاب ومؤلفه :

➢ **مؤلّف الكتاب:** كثيرون هم الذين تناولوا [*] عبد الله بن المقفع بوصفه شخصية جدلية ،أدبية وتاريخية ،وتركوا أثارا تستوعب الكثير من البحوث والدراسات المستفيضة ،ويمكن استخلاص أمور مهمة من كتاباتهم تضيء جوانبَ من حياته.

أما نشأته فقد ولد عبد الله بن المقفع في قرية جور الفارسية (واسمه بالفارسية روزبه بن داذويهِ) سنة 106هجرية (724م) من أبوين فارسيين ،وكان أبوه "دا ذويهِ"قد تولى خراج فارس للحجاج بن يوسف الثقفي أيام إمارته على العراق فمدّ يده إلى أموال السلطان فضربه الحجاج بن يوسف ضربا موجعا فتفقعت يداه[1] أي تشنجت ويبست فسمي بـ"المقفع"، وقد عني "دا ذويهِ" بتأديب ابنه "روزبه" وتعليمه منذ كان في بلاد فارس فنشأ وترعرع – في البداية– على دين والده الذي كان مجوسيا ،وتثقف بالثقافة الفارسية كما عرف الكثير عن آداب الهند واليونان ثم انتقل مع أبيه إلى البصرةَ حيث تشرّب الثقافة العربية [2] لما خالط الأعراب [3] والرواة فأخذ عنهم مبادىء اللغة كما أنه قرأ العربية في ولاء "آل الأهتم" ،وبهذا أتيح "لابن المقفع" أن يستفيد من ذلك في تقوية لغته العربية ودراسة آدابها والتعمق في إدراك أسرارها ،فقد قال عنه "طه حسين":**«فهو زعيم كتّاب الفرس والعرب»**[4]

ومن الأحوال السياسية والاجتماعية و العقلية التي رافقت حياة "ابن المقفع" أنه عاش في زمن الدولتين الأُموية والعباسية ،فقد شهد سقوط الأولى وقيام الثانية إذ **«تميز العصر الذي نشأ فيه "عبد الله بن المقفع" بثلاثة أشياءَ، أولها الصراع بين الأُمويين والعباسيين وقد انتهى بقيام الدولة العباسية، وثانيها اتساع رقعة الدولة الإسلامية وامتدادها مابين الأندلس غربا وحدود الصين شرقا ،وثالثها النشاط الأدبي و العلمـــي في مختلف مجالات الحيـــاة »** [5] ولقد عمل "ابن المقفع " في ديوان الكتابة حيث كان كاتبا للأمراء قبيل العصر العباسي ،فكتب –أول ما كتب– في العهد الأُموي لـ"عمر بن هبيرة"[6] ثم لابنيه "يزيد" و"داوود" وكان

---

[*] من أهم الذين تناولوا ابن المقفع ومؤلفاته :الأستاذ خليل مردم،الأب لويس شيخو ،أحمد أمين ،محمد غيمي هلال وغيرهم كثير.

[1] ينظر، ابن خلكان،وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان ،تح،إحسان عباس ،دار الثقافة ،بيروت،1972 ص132.

[2] ابن النديم ،الفرسهت،تح،رضا تجدد،ص132.

[3] حيث دفع دفعا إلى أبي الجاموس ثور بن يزيد الذي كان من أوثق الأعراب الذين وفدوا على البصرةَ للتعليم فتمكن من العربية أيما تمكن،ينظر المصدر نفسه ،ص132.

[4] طه حسين، من حديث الشعر والنثر ،مطبعة الصاوي ،القاهرة ،1936،ص40

[5] ابن المقفع،مقدمة كليلة ودمنة لابن المقفع،تقديم،مرزاق بقطاش،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،1999،ص5

[6] ينظر،الجهشـياري،الوزراء و الكتـاب ،تح،مصـطفى السـقا و إبـراهيم الأبيـاري و عبـد الحفـيظ شـلبي،مطبعة الصـاوي البـابي الحلـبي وأولاده،القاهرة،1938،ص105

"ابن المقفع" آنذاك في العشرين من عمره أو يزيد واستمر في الكتابة لـ"داوود" حتى أخذ أيام حكمه،حيث قتل وقت إعلان قيام الدولة العباسية في الثالث عشر من ربيع الأول عام 132هـ فرأى "ابن المقفع" أنه لا بدّ أن يبادر بالاتصال ببعض رجال الدولة الجديدة فكتب لـ"عيسى بن العباس" الذي أسلم على يده [1]ولأول خلفاء الدولة العباسية "عبد الله أبي العباس" ثم "المنصور" (ثاني الخلفاء) ثم كتب بعده لـ"سليمان بن علي" أيام ولايته على البصرة [2]وقبيل نهاية حياة"ابن المقفع" كان سوء الحظ حليفا له فالمنصور قد غضب عليه حين قرأ الأمان[*] وسأل عن كتابه فقيل "ابن المقفع" ،فقال أما أحد يكفينه؟،ثم كتب إلى "سفيان بن معاوية" ،وكان والي البصرة آنذاك وصادف أن "سفيان "كان يحمل على "ابن المقفع"لاستخفافه به وسخريته الدائمة منه فقتله، ويرى بعض الدارسين وعلى رأسهم "طه حسين" [3] أن كتاب الأمان لم يكن سببا في قتله ،وإنما آراء "ابن المقفع" وانتقاداته لسير الحكم في البلاد ،وجعلها في رسالة موجهة للمنصور ،هي التي زادت من حقد المنصور عليه وضيقه به . ومن سوء حظه أيضا ما أشاعه الحاقدون والحاسدون من الزنادقة والاستخفاف بالدين ،كل هذه الأسباب مجتمعة أدت إلى مقتل "ابن المقفع "،ولكن وإن اختلف الباحثون في سبب مقتله إلا أنهم اتفقوا على أن القاتل كان "سفيان بن معاوية". ورغم صغر سن "ابن المقفع" (توفي في سن السادسة والثلاثين) إلا أنه قد كان من أعظم رجال الفكر الإنساني وكان صاحب المدرسة الرائدة في النثر، وعمّر أدبه طويلا وما يزال يعمّر .وقد عرف بأخلاقه الحسنة حتى قبل إسلامه ولا شك في ذلك فإنّ من يكتب في التهذيب والأخلاق خليق بأن يكون خلوقا إذ قال في" الأدب الكبير"**«ابذل لصديقك دمك ومالك »** [4] وهي مقولة تعكسها تماما أخلاقه فقد عرف بالجود والكرم حتى قال عنه الجاحظ **«كان جوادا فارسا جميلا»**[5] ومن أقصى غايات الجود عنده أنه جاد بنفسه وفاءً لصديقه "عبد الحميد الكاتب" الذي كان فارا عنده من الشرطة العباسية ،التي علمت بمكان وجوده فلما داهمتهم

---

[1] فتسمى بـ"عبد الله"و تكنى بأبي محمد ،و يروى أنه حين أراد أن يعلن إسلامه جاء إلى عيسى و قال له قد دخل الإسلام قلبي و أريد أن أسلم على يدك فقال له عيسى: ليكن ذلك بمحضر من القواد ووجوه الناس،فإذا كان الغد أحضر ثم جيء بطعام عيسى فجلس ابن المقفع يأكل و يزمزم على عادة المجوس فقال له عيسى:أتزمزم وأنت على عزم الإسلام؟ فقال أكره أن أبيت على غير دين فلما أصبح أسلم على يده.

[2] ينظر،ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج2،ص15

[*]وقد جاء فيه :ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله بن علي فنساؤه طوالق ودوابه حبس ،وعبيده أحرار ،والمسلمون في حل من بيعته ،الجهشياري الوزراء الكتاب ،ص109.

[3] ينظر،طه حسين ،من حديث الشعر والنثر ،ص42

[4] بة الحياة ابن المقفع،الدب الكبير، دار مكتبة الحياة ،بيروت ،ص77.

[5] الجاحظ ،البيان والتبيين ،ص76

فجأة وهما في البيت قالوا: أيكما عبد الحميد فأجاب "ابن المقفع" :أنا، خوفا على صديقه ولكن "عبد الحميد" أبى أن يقتل صاحبه ،فأبان عن حقيقة شخصه ،فاعتقل ثم قتل[6]

أما عن ثقافة "ابن المقفع"،فلم يكن إتقانه للغات مجرد قراءة و معرفة بل تعداه إلى الترجمة ،فهو أديب مترجم لغوي فيلسوف عالم بأسرار اللغات التي يتقنها ،فقد ترجم العديد من كتب "أرسطو" في المنطق والجدل والقياس والمقولات،ويمكن أن نسوق تأييدا لمكانته العلمية ما روي عنه:**«اجتمع الخليل بن أحمد الفراهيدي ذات يوم وعبد الله بن المقفع يتحدثان إلى الغداة ،فلما تفرقا قيل للخليل :كيف رأيت ابن المقفع؟، فقال:رأيت رجلا علمه أكثر من عقله،وقيل لابن المقفع :كيف رأيت الخليل ؟،قال : رأيت رجلا عقله أكثر من علمه»**[1]

ومهما يكن فقد قامت حول حياة "ابن المقفع" آراء متناقضة كثيرة بين الدارسين والباحثين ،فمنهم من جعله زنديقا ملحدا ومتعصبا لفارسيته ،لأنه ما أراد من هذه التراجم إلا التفاخر بفارسيته ومذهبه المانوي ،وأن إسلامه لم يكن إلا نفاقا للوصول إلى السلطان لبث آرائه. ومنهم من رأى فيه الرجل المحب للإصلاحيْن الاجتماعي والسياسي ،ولهذا ترجم هذه الآثار لتكون مادة للعبرة والموعظة بين يدي الحكام وهو الذي اتصف بأخلاق كريمة قربته من درجة المصلحين ،فقد تمسك بالفضيلة ونَاشدها ،ومن ثم سما بخلقه ونفسه درجاتٍ نحو الكمال حين أسلم.

ولقد خلف "ابن المقفع" آثارا فكرية عظيمة الفائدة مثّلت عصارة فكره وثمرة أدبه ،ترجم [*]بعضها من لغاتها الأصلية ،وأبدع بعضها بقلمه ،ويمكن إجمال مؤلفاته في ثلاثة أقسام[2]:

**القسم الأول**:في الأدب ويشمل الأدب الصغير والأدب الكبير ،والأدب الوجيز ،وكتاب الأدب والأدب الجامع وكلها كتب منسوبة إليه.

---

[6] ينظر، الجهشياري ،الوزراء والكتاب ،ص79.

[1] ابن خلكان ،وفيات الأعيان ،ص151

[*+] ورغم غلبة ماترجم على ما ألف إلا أن مؤلفاته جاءت جامعة مانعة في مجالها وربما زاد في الترجمة من ذات نفسه ما يضفي عليها قيمة وتألقا ،مثال ذلك ما راج عند بعض الباحثين عن كتاب كليلة ودمنة من أنه هو مؤلفه ومبدعه أو على الأقل استفاد الفكرة ونسج على منوالها مستخدما قصص الحيوان رمزا لعرض أفكاره السياسية وأرائه الإصلاحية.

[2] ينظر ،محمد الخرساني ،إضاءات على رائد الكتابة العربية "ابن المقفع" ،وينظر عبد الرحمان بدوي ،التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية.

**القسم الثاني** :في المنطق ،وقد نسبت إليه ترجمة "أرسطو طاليس " المنطقية الثلاثة، وهي الجوهر ،العرض وكتاب باري أرميناس (العبارة)، أنا لوطيقا (تحليل القياس)، كما نسبت إليه ترجمة كتاب "أيساغوجي" (المدخل) (الكليات الخمس) .

أما القسم الثالث فهو في التاريخ و الاجتماع ،ككتاب كليلة ودمنة ،رسالة الصحابة ،التاج في سيرة "أنوشروان" اليتيمة ، "آيين نامه" هذا الأخير الذي امّحى ولم يبق له أثر إلا بعض المقتطفات التي يوردها المؤرخون القدامى وكتاب "مزدك " ،كتاب نامه تنسر" .

و يمكن أن نخلص مما تقدم إلى أنّ من أهم العوامل المؤثرة في شخصية ابن المقفع وأدبه ما يلي:

1-النشأة في بلاد فارس وفي أسرة من أشراف تلك البلاد.

2-الانتقال من جور إلى البصرة حيث العلم والعلماء ،وولاءه لآل الأهتم.

3-مجالسته للعلماء والأدباء وارتياد مجالسهم.

4-إتقانه للغتين الفارسية والعربية -وثقافته بها ومعرفة أسرارها-إلى جانب الهندية واليونانية .

5-اتصاله بالأمراء والكتابة لهم سواء في الدولة الأُموية أو العباسية .

6-ترجمته للعديد من الكتب ،وتأليف الكثير من الكتب والرسائل التي تدور في الصداقة ،والحكم والسياسة والفلسفة والمنطق والأخلاق والسير.

ويعد كتاب كليلة ودمنة —موضوع دراستنا- من أهم الكتب التي تناولها "ابن المقفع" بالترجمة والذي أضاف فيه نوعا جديدا من التمثيل يندر وجوده في الأدب وهو التمثيل بالقصص الخيالي الذي يمثل جانب تربويا مهما في التوجيه ليجعله بذلك رياضة لعقول الخواص حملهم على طاعة أولي الأمر .

## كتاب كليلة ودمنة :

يعد كتاب كليلة ودمنة ، الذي ترجمه "ابن المقفع" في النصف الأول من القرن الثاني الهجري ،من أوائل ما نقل إلى **العربية** في تاريخ الحضارة الإسلامية ،ومنذ ذلك الوقت احتل مكانة كبرى لدى المسلمين استمرت إلى يومنا هذا، إذ توالت طبعات الكتاب الشعبية ،وأصبح مادة للقراءة في المدارس ،ومؤخرا تحول إلى مادة تلفزيونية تغري الصغار والكبار؛ وذلك لأن مترجمه كساه بطابع ديني واضح جدا في لغته العربية التي تشيع فيها ألفاظ الرضا بالمقدور ،وأحوال الدين والدنيا وهذا ما جعل الكتاب يدخل بسرعة في بناء الثقافة الإسلامية ويصبح على الرغم من أصله الأجنبي ،معْلَما بارزا من معالمها.

### ➢ أصل الكتاب وسبب تأليفه :

الكتاب ذو أصول هندية [*]كتب باللغة السنسكريتية القديمة ، وانتقل إلى بلاد فارسَ حوالي سنة (570م)،حيث سعى إليه "كسرى أنو شروان" بعدما علم بوجوده في خزائن ملك الهند فبعث أحد أطبائه وهو "برزويه" إلى الهند لاستنساخ نسخة منه وترجمتها إلى **الفهلوية** وأضاف إليه حكاياتٍ هنديةً أخرى ، وفي سنة 750م ترجمه "ابن المقفع" من **البهلوية إلى العربية** مع زيادات لاشك أنها من أصل عربي[1] وقد قال عنه الدكتور "طه حسين" ‹‹**في هذا الكتاب حكمة الهند وجهد الفرس ولغة العرب**››[2] ولهذا نجد أن القصص الواردة في "كليلة ودمنة" تندرج ضمن ثلاثة أصول هي :

**الأصل الهندي** الذي يعود إلى كتاب "بنج تنترا" أي الدروس الخمسة الذي ألفه "البرهمي " "وشنوشرما" وإن كانت بعض قصصه وجدت في كتب بوذية أخرى مثل "إسواهي" و"كرماجتكا" وإلى كتاب "المها بهاراتا" الهندي، **وأصل فارسي** هو قصص ضمنها النقلة الفرس إلى الحكايات الهندية حيث ترجموها من السنسكريتية إلى الفارسية القديمة [3]وهناك قصص أخرى في الكتاب مشكوك في نسبها إلى الأصول الهندية أو الأصول

---

[*] مؤرخو الأدب يقولون إنه هندي الأصل ،لكنهم لم يعثروا على أدلة كافية تثبت ذالك غير ما ذكر فيه من أسماء هندية وعادات بوذية أخلاق وأساليب كلامية هندية ،وكل المعلومات في هذا الشأن تشير إلى أن ابن المقفع ترجم الكتاب من اللغة الفهلوية (الفارسية القديمة)، ومع ذالك فإن الأصل الفهلوي نفسه مفقود .ينظر ابن المقفع ،مقدمة كليلة ودمنة،تقديم مرزاق بقطاش،ص5.

[1] ينظر،رمضان عزيز نجاد ،كليلة ودمنة وأنوار السهيلي ،دراسة مقارنة ،بيروت ،1967،ص43.

[2] طه حسن ،من حديث الشعر والنثر ،ص 45

[3] ينظر،حنا الفاخوري ،تاريخ الأدب العربي ،المكتبة البوليسية ،لبنلن ،ط10،1980،ص447.

الفارسية ،قيل إنّ "ابن المقفع" وضعها أو عدّل في ترجمتها ،فبدت مخالفة لأصلها،مثل "باب برزويه الطبيب " و" باب الفحص عن أمر دمنة" بما فيهما من روح إسلامية و"باب الناسك والضيف" ومثل "الفيل والقنبرة" [1] ومهما قيل عن أصل القصص الهندية –في أغلبها–وترجمتها الفارسية فإن طابع الثقافة العربية ظاهر فيها بل إن الأصل الهندي قد ضاع وظلت الترجمة العربية هي المعوّل عليها في هذا الأثر النفيس.

كما وقد تُرجم كتاب "كليلة ودمنة" في العصر الحديث إلى العديد من اللغات،كالإسبانية والألمانية والفرنسية والانجليزية،كما وأنّه قد تُرجم –ولأوّل مرة في الجزائر–إلى الأمازيغية ؛ترجمه الشاعر بوعلام مسّوسي والصّادر عن المحافظة السامية للأمازيغية[*].

**سبب تأليف الكتاب:**

أما عن سبب تأليف "كليلة ودمنة " فقد تعدّدت الروايات ومنها ما يروي كما جاء في المقدمة[2]الموجودة في بعض النسخ العربية باسم "علي بن محمد الشاه" الفارسي أنه حكم بلاد الهند بعد فتح الإسكندر المقدوني ملك يدعى "دبشليم" ،فلما تولى الحكم بغى على العباد وعبث بالرعية ،فرأى رجل حكيم من البراهمة يقال له "بيدبا" أن يصرفه عن الظلم والاستبداد ،فجمع تلاميذه وقال لهم: **«اعلموا أنه من الواجب أن نرد الملك إلى فعل الخير»**[3] واستقر الرأي أن يذهب "بيدبا" بنفسه إلى الملك، فوعظه ونهاه عن البغي والظلم فغضب الملك وأمر بسجنه، فبقي عدة أيام في السجن ثم ندم الملك وأمر بإطلاق سراحه واعتذر له وأحسن إليه وجعله وزيرا له ليدبر أمور البلاد والعباد ،واقترح الملك على حكيمه أن يؤلف له خلاصة الحكمة بأسلوب مسلّ ، وليخلد به ذكر الملك على مر الأيام فجعل ذلك على ألسنة الحيوانات.

وبعد أن مضت على الكتاب ثمانية قرون ، حدث أن سمع به كسرى" أنوا شروان" فبعث بـ "برزويه" –رأس أطباء فارس– إلى بلاد الهند لإحضار هذا الكتاب ،وقد واجه صعوباتٍ جمةً في سبيل ذلك فبقي هناك سنتين وبمساعدة أمين خزائن الملك حصل على عدة كتب نفيسة أخرى، إضافة إلى كليلة ودمنة فأعجب به كسرى أيما إعجاب ورجا "برزويه" الملك أن تكون مكافأته أن يكتب الوزير الفيلسوف "بزر جمهر" ترجمة لحياته ويجعلها بابا من أبواب الكتاب لتخلد ذكراه على مرّ الأيام ،فقبل كسرى وأمره بالقيام بذلك ومن الروايات الأخرى[4] في سبب وضع الكتاب أن "برزويهٍ" جاء إلى "أنو شروان" وقال: أيها الملك إني قرأت في كتاب هندي أن عشّا في جبال الهند إذا

---

[1] ينظر ،عبد الله بن المقفع ،تح، محمد أمين فرشوخ ،دار الفكر العربي ،بيروت ،ط1 ،1990 ،ص 17.

[*] ينظر،موقع المحافظة السامية للأمازيغيةwww.hca.com

[2] ينظر ، مرزاق بقطاش ،كليلة ودمنة لابن المقفع ،ص3–8.

[3] المرجع نفسه ،ص8 .

[4] ينظر ،رمضان عزيز نجاد،كليلة ودمنة وأنوار السهيلي ،دراسة مقارنة ،ص5.

ركّب منه دواء فنثر على ميت ارتدّ حيا فجهزه "أنو شروان" وحمّله الهدايا إلى ملك الهند ،وفتش سنة في جبال الهند مع نفر من العلماء وجمع كثيرا من الأعشاب فجربها فلم يحصل على النتيجة المطلوبة ،ثم ذهب إلى أكبر علماء الهند فقص عليه سبب مجيئه إلى الهند فقال الحكيم :أما الجبال فهي العلوم وأما الموتى فهم الجهّال وأما العشب فهو كتاب في خزائن ملك الهند يسمى"كليلة ودمنة" يحيي موتى الجهل ،فطلب "برزويه" الكتاب من ملك الهند فأعطاه أياه .

أما مبرر "ابن المقفع" من ترجمة الكتاب وإخراجه في حلة عربية مميزة ،فيكمن في معاناة أبناء عصره من ناحية وما شهده من صعاليك زمانه وملوكه من ناحية أخرى،كما قصد من تأليفه هدفا إصلاحيا في الاجتماع، وتأديب النفس وتهذيب الأخلاق ،حيث يتبنى "ابن المقفع" استراتيجية الفيلسوف" بيدبا" دون أن يعلن صراحة عن مقاصده،وقد وجدنا ما يدعم قولنا هذا عند "عبد الهادي بن ظافر الشهري" حين يقول: ‹‹...**وفريق آخر يرى أن العبرة هي بالقصد الظاهر من صيغة العقد ،أي ما يتلفظ به المرسل حتى لو لم يتفق مع قصده الباطن ،لأنه يصعب التأكد من المقاصد عند مخالفتها لمقتضى الألفاظ** ››[1]

## تسمية الكتاب :

"كليلة ودمنة" اسمان عَلَمَان من أبطال القصة في باب "الأسد والثور" من الكتاب يقول "ابن المقفع":

‹‹**وكان فيمن مع الأسد من السباع ابنا آوى يقال لأحدهما كليلة وللآخر دمنة ، وكانا من ذوي الدهاء في العلم والأدب** ››[2] أما أصل الكلمتين ففي اللغة السنسكريتية "كرتكا"و"دمنكا" وعندما نقلتا إلى البهلوية حوّرتا إلى "كليكا و دمنك " وبعد النقل للعربية أبدل حرف الكاف إلى هاء وصارت "كليله ودمنه"[3]وقد افترض بعض الباحثين أن اللفظتين عربيتان اختارهما "ابن المقفع"لدلالتهما على شخصيتي البطلين المذكورين [4]

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري ،استراتيجيات الخطاب ،ص186.

[2] ابن المقفع،كليلة و دمنة،تقديم،مرزاق بقطاش،ص80

[3] ينظر،رمضان عزيز نجاد،كليلة ودمنة و أنوار السهيلي،ص7

[4] ينظر،عبد الله بن المقفع،كليلة ودمنة،تح،محمد أمين فرشوخ،دار الفكر العربي،بيروت،ط1، 1999، ص17

## ➢ عن قصص الكتاب

يحتوي كتاب كليلة ودمنة على أربعِ مقدمات،تليها أربعَ عشرةَ حكاية رئيسة موزعة على خمسةَعشرَ بابا،موضوعاتها كالتالي[1]:

أما المقدّمات الأربع فجاءت لتبيّن أهميته ومدى قيمته العالمية،إذ تكون **الأولى** لـ"علي بن الشاه الفارسي"،وهي تحكي لنا ما خلّفتها فتوح "الإسكندر المقدوني" في الشرق ،وقد جاء فيها سبب تأليف الفيلسوف الهندي "بيدبا"هذا الكتاب لدبشليم ملك الهند ،و**المقدمة الثانية** تسرد علينا رحلة الحكيم الفارسي "برزويه" إلى بلاد الهند الذي بعثه كسرى مللك الفرس ليحضر له الكتاب ونقله إلى اللغة الفارسية.

**والمقدمة الثالثة** كانت من تأليف "ابن المقفع"- معرّب هذا الكتاب- وفيها يعرّف بالكتاب ونسبه إلى واضعيه الأوائل، وعن غاية تأليفه يقول:«**وينبغي للناظر في هذا الكتاب أن يعلم أنّه ينقسم إلى أربعة أغراض أحدهما ما قصد فيه إلى وضعه على ألسنة البهائم غير الناطقة،من مسارعة أهل الهزل من الشبان إلى قراءاته،فتستمال به قلوبهم،لأن هذا هو الغرض بالنوادر من حيل الحيوانات و الثاني إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الإصباغ و الألوان ليكون أنسا لقلوب الملوك،و يكون حرصهم عليه أشد للنزهة في تلك الصور،و الثالث أن يكون على هذه الصفة فيتخذه الملوك و السوقة، فيكثر بذلك انتساخه ولا يبطل فيخلق على مرور الأيام، و لينتفع بذلك المصور و الناسخ أبدا،و الغرض الرابع وهو الأقصى مخصوص بالفيلسوف خاصة.** »[2]

فحسب ابن المقفع ، هذا الكتاب قد جمع الحكمة والتسلية،وذلك على ألسنة البهائم،ليكثر قرّاءه فهو بجذب الخاصة والجمهور،ويجب على قارئه أن يديم النظر فيه من غير ضجر ويلتمس معانيه فلا يأخذ بظاهره دون الأخذ بباطنه،ولا يظن أنه قد وضع لمجرد الإخبار عن حيلة بهيمة،فهو يتوجه بالخصوص إلى الفيلسوف.

**والمقدمة الرابعة** تحكي قصة حياة برزويه رأس أطباء فارس والذي ترجم الكتاب من الهندية إلى الفارسية وقد ترجم هذه المقدمة"بزرجمهر بن البختكان" وزير كسرى تخليدا لاسم"برزويه".

أما عن الأبواب الخمس عشر ،ففي كل منها أمر يريد الملك معرفته وقد جاء كل باب مدعما بالعديد من الأمثال وبالنسبة لموضوعات الأبواب فكانت كالتالي:

---

[1] ينظر،حامد طاهر،المضمون الأخلاقي في كليلة ودمنة،دراسة تحليلية،المكتبة الأكاديمية،القاهرة،2005،ص3

[2] عبد الله بن المقفع،كليلة ودمنة،تقديم،مرزاق بقطاش،ص56-57

**الباب الأول:الأسد والثور**، وموضوعه:القطيعة بين المتحابيْن(الأسد و الثور)وما ساد بينهما من عداوة وبغضاء بسبب الكذوب المحتال"دمنة".

**الباب الثاني:الفحص عن أمر دمنة**،هذا الباب تكملة لما سبقه وموضوعه:عاقبة كيد "دمنة".

**الباب الثالث:الحمامة المطوقة**،وموضوعه:استمرار أواصر المحبة بين الأصدقاء.

**الباب الرابع:باب البوم والغربان**،وموضوعه:الحذر من العدو مهما أظهر من تضرع وملق.

**الباب الخامس:القرد والغيلم**،وموضوعه:غباوة من يطلب الحاجة فإذا ظفر بها أضاعها.

**الباب السادس:الناسك وابن عرس**،وموضوعه:ندم المتسرع من غير روية ولا نظر في العواقب.

**الباب السابع:الجرذ و السنور**،وموضوعه:اللجوء إلى موالاة بعض الأعداء عند كثرتهم التماسا للنجاة.

**الباب الثامن:الملك والطائر فنزة**:وموضوعه:اتقاء أصحاب الثأر بعضهم البعض.

**الباب التاسع:الأسد وابن آوى**:وموضوعه:مراجعة الملك من أصابته جفوة عن ذنب وخاصة إذا كان ذلك الشخص ممن يستعان به ويوثق برأيه.

**الباب العاشر:اللّبؤة و الأسد والشغبر**:وموضوعه:المقولة المشهورة كما تدين تدان،وتقول أخرى:ما لا ترضاه لنفسك لا ترضاه لغيرك.

**الباب الحادي عشر:إيلاذ و بلاذ وإيراخت**:وموضوعه:ما يثبت الملك به ملكه:أ هو الحلم أم المروءة أم الشجاعة أم الجود؟

**الباب الثاني عشر:الناسك والضيف**:وموضوعه:من يترك ما في يده ليطلب غيره،فلا يدرك لا هذا ولا ذاك فيبقى حيران.

**الباب الثالث عشر:السائح والصائغ**:و موضوعه:وضع المعروف في غير موضعه و يرجو الشكر عليه.

**الباب الرابع عشر:ابن الملك و أصحابه**:و موضوعه:رفعة الجاهل في الدنيا و ابتلاء العاقل الحكيم.

**الباب الخامس عشر: الحمامة والثعلب ومالك الحزين وهو آخر الكتاب**،وموضوعه:الشخص الذي يرى المشورة لغيره ولا يراها لنفسه.

كان هذا عرضا مبسطا لأبواب الكتاب وموضوعاتها الرئيسة التي تشكل فيها النصيحة –النص الإطار– لحكايات كليلة ودمنة،فهي تغذيها دلاليا مروية على لسان الحيوان،ويسديها بيدبا الفيلسوف–ملتمسا– لدبشليم الملك قصد تسخيره بمجموعة من القيم الأخلاقية تعتبر خلاصة مركزة لآراء الفلاسفة و تجارب الشعوب القديمة.

**الملخّص:**

يتناول هذا الفضاء البحثي الموسوم بـ:"**بلاغة الخطاب في كليلة ودمنة لابن المقفّع–مقاربة تداولية–**" الكشف عن البعد التّداولي في التنوّعات البلاغية لخطابات هذا الكتاب؛ صوغا ،تعبيرا وأداءً ،لما يتميّز به من عناصر صالحة لأن تُطبّق آليات المنهج التداولي عليها؛كأسلوب الحوار الذي يُظهر اللغة بمستوييْها التفاعلي والتواصلي ، من خلال ما يدور بين "دبشليم "الملك و "بيدبا" الفيلسوف.

الدراسة اقتصرت على مقدمة ومستوييْن نظري وتطبيقي؛تمّ التعرّض في الأوّل لبعض المفاهيم المتعلّقة ببلاغة الخطاب وكذا أبعاد التداولية في الدرس البلاغي العربي القديم ؛فتمّت الإشارة إلى المقولات البلاغية من وجهة نظر مقامية تداولية و الإشارة الدّقيقة إلى علوم البلاغة الثلاثة وعلاقتها بالمقام وتقيّدها به كسبب كافٍ لإنشاء نظرية مقامية تكشف أنّ اللغة لم تعد مجرّد أداة توصيل بل صارت أداة تأثير، إضافة إلى الأجهزة المصطلحاتية والمفاهيمية والنّشأوية للتداولية والتّمييز بين تداوليات ثلاثة،تبعا لتقسيم "كاترين كاربرت أورشيوني":تداولية تخاطبية،تداولية تلفظية وتداولية تحاورية،وعلى منهجها حُلّلت أبواب كليلة ودمنة(في المستوى التطبيقي)،حيث تمّ في النّوع الأوّل استنباط الأفعال الكلامية وتبيين أنواعها وأغراضها البلاغية المختلفة بالاعتماد على تقسيم "جون سيرل" وهي الإخباريات،التوجيهيات،التعبيريات،الوعديات والإيقاعيات.

أمّا في النوع الثاني فقد تمّ اكتشاف مدى ملائمة العملية التلفظية لغرض الكتاب وملاحظة تجلياتها في الخطابات المعالجة من خلال العناصر التي تدخل في معنى الملفوظ (إضافة إلى السياق) من ترابط نصي وانسجام. إضافة إلى الضمائر، الزمان والمكان والأحكام، والإحالة إلى عنصر الفعالية من خلال البنية التخاطبية حتى تبَيَّن أن المخاطِب هو المسؤول الأول على نجاح العملية التخاطبية وتتأكد مساهمته حين يتحكم في لغته محاولا توضيح أفكاره،هذا كلّه دون إغفال الخصائص البلاغية الفنية لملفوظات خطابات الكتاب.

أمّا النوع الأخير فقد تمّ فيه تحديد أهم ما ساهم في تحقيق الهدف التبليغي التواصلي لكليلة ودمنة –تداوليا– وحسب النظرية التحاورية ،من خلال جملة من العناصر أسهمت في نجاح العملية التواصلية لعل أهمها: **المرسِل** ووسائله اللغوية التي استخدمها استخداما ملائما أدّى من خلالها إلى إنجاح التبليغ، **المرسَل إليه** وما له من دور كبير في إنتاج الخطاب لأن المرسِل يضعه في الحسبان في أثناء تأليفه للخطابات إن لم نقل يأخذ الاهتمام الأوفر في العملية الإنتاجية وهذا ما يحقق الحركية التواصلية التي لا يمكن أن تتم إلا بوجود " **قدرة تواصلية**" بين الطرفين تُمكِّن من معرفة قواعد الاستعمال بينهما وتطبيقها تبعا لمتطلبات **السياق** وللمرامي التي يريد بلوغها المرسِل.

كما ولم تُهمل الدراسة مجموعة المبادىء والآليات التي ساعدت على فهم وتأويل مقاصد ابن المقفّع فيما يُعرف بالاستراتيجية التلميحية،وقد شمل هذا النمط من التداولية جل الدراسات التي أسّست لقوانين الحديث فيما يُعرف بـ:المبدأ التعاوني في الحوار لغرايس .

إضافة إلى أنّه تمّ الوقوف على البعد الحجاجي للأفعال الكلامية لخطابات ابن المقفّع كآليات وتقنيات بلاغية ذات أبعاد تأثيرية أسهمت إلى حد كبير في إقناع المتلقين–على اختلاف مستوياتهم–من خلال ما المساهمة في تقوية إنجازية الأفعال الكلامية.

وبهذا كلّه أثبتت الدراسة في الأخير أنّ هذا الكتاب كان ولا يزال من أهمّ ما كُتب لغايات إرشادية تعليمية يستفيد منها العامة والخاصة على السّواء؛ وذلك للاستراتيجيات التلميحية التي أحسن استعمالها "ابنُ المقفع" والتي تحمل مواقفَ وتعدّل سلوكاتٍ وتدعو إلى أوامرَ وتنهى عن أخرى، لذا ينبغي أن يعود لها تأثير على المتلقين.


**Résumé.**

En cet espace d'étude analytique, il a été objet d'étude le thème « le discours éloquent dans kalila wa dimna – approche délibérative- » de Ibn Mokaffa. Dans cet ouvrage, on explore la dimension délibérative et sa rhétorique discursive dans son contexte textuel et expressif.

En plus d'une introduction, L'étude appréhende deux niveaux de recherche, l'un est théorique, l'autre est pratique. Dans le premier, il a été abordé les notions et concepts relatifs au discours rhétoriques, ainsi que les dimensions de la méthode délibérative dans les anciens textes rhétoriques arabes. Comme il a été mis en lumière les différentes citations y afférentes.

Ensuite, il a été mis en exergue, l'approche analytique et méthodologique de **Catherine Carberte Orecchioni**, avec lequel nous avons tenté d'analyser les parties du livre. En se focalisant sur les trois catégories qu'elle a évoquées ; discursive, énonciative et interactive verbale. Dans la première catégorie il a été question de déduire les actes verbaux et leurs genres, ainsi que leurs objectifs rhétoriques selon la classification de **John Searle.** Dans la deuxième catégorie il a été mis en exergue combien est propice l'acte énonciatif

dans le livre. Quant au dernier, l'étude a tenté de cerner l'objectif de la communication interactive, en développant les éléments principaux, tel que l'émetteur, le récepteur, la capacité communicative et ses applications sur le contenu.

En outre l'étude n'a pas omis de mettre en relief les principes et outils nécessaires à la compréhension et à l'interprétation des intentions de **Ibn Moqfaa,** ce qu'on appel la stratégie d'allusion, qui a contribuer amplement à instituer les principes modernes du dialogue et les pratiques langagières.

# الفهارس

I-فهرس المصادر والمراجع

II-فهرس الأعلام

III- فهرس أهم المصطلحات الواردة في البحث

IV-فهرس الموضوعات(المحتويات)

# I-فهرس المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم** بالخط المغربي الجزائري و برواية ورش عن نافع،إصدار وَزارة الشؤون الدينية والأوقاف،طباعة المؤسسة الوطنية للاتّصال والنشر والإشهار،الجزائر،1423هـ/2002

- **المصادر**


1. الأنصاري( ابن هشام)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح، عبد اللطيف محمد الخطيب، ج3 ط1، السلسلة التراثية 21، الكويت.
2. أحمد بن فارس(أبو الحسن)، الصّاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها،تح،أحمد حسن بسج،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1، 1997.
3. الباقلاني(القاضي أبو بكر بن محمد)، إعجاز القرآن، تح، السيد أحمد صقر، دط، 1963، القاهرة.
4. الثهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، وضع حواشيه أحمد حسن ثبج، منشورات دار الكتب العلمية، ط1،بيروت، لبنان، 1991.
5. الجاحظ (أبوعثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين ،ت،عبد السلام هارون، مكتبةالخانجي،مصر،1960
6. الجرجاني (عبد القاهر) ،أسرار البلاغة ،تحقيق هـ.ريتر،اسطنبول ،وزارة المعارف ،ط2 ،1954.
7. ،دلائل الإعجاز في علم المعاني ،شرح وتعليق عبد المنعم خفاجي ،حققه وضبطه وعلق عليه محمد رضوان مهنا ،مكتبة الإيمان ،القاهرة،المنصورة،(د.ط).
8. ابن الجرزي، النشر في القراءات العشر، عبد السلام هارون، مكتبةالخانجي،مصر.
9. ابن الجرزي،النشر في القراءات العشر،تح،علي حسن البواب، مكتبة المعارف،ط1،الرياض.
10. ابن جني (أبو الفتح عثمان): الخصائص ، تح على النجار، دار الكتب، مصر 1952، ج2.
11. : المصنّف،تح، إبراهيم مصطفى،ط1، 1954.
12. الجهشياري،الوزراء و الكتاب ،تح،مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري و عبد الحفيظ شلبي،مطبعة الصاوي البابي الحلبي وأولاده،القاهرة،1938
13. الخفاجي(ابن سنان) ،. سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، ط1،بيروت، لبنان، 1982.
14. ابن خلكان،وفيات الأعيان وأبناء أيتام الزمان ،تح،إحسان عباس ،دار الثقافة ،بيروت،1972
15. ابن رشيق القيرواني(أبو علي الحسن)،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،تح،تع،محمد محي الدين عبد الحميد،دار الجيل،ط5، 1981.
16. الرضى (الاستراباذي) شرح الشافية، تح محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف وغيرهما، ط2، بيروت1975

17. الرماني(أبو الحسن علي بن عيسى)، النكت في إعجاز القرآن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، دار المعارف، القاهرة.
18. الزركشي(بدر الدين محمد)، البرهان في علوم القرآن،تح،محمد أبو الفضل إبراهيم،دار الجيل،بيروت،لبنان،1988 ج2.
19. الزمخشري(أبو القاسم محمود)، الكشاف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د/ت ، بيروت.
20. السجلماسي(أبو محمد القاسم)،المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع،تقديم وتحقيق علّال الغازي،مطبعة المعارف الجديدة،الرباط،1980.
21. السكاكي (أبو يعقوب يوسف)، مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت، 2000.
22. سيبويه (عمرو بن عثمان بن قنبر)، الكتاب ،تعليق إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999.
23. ،الكتاب، تح، عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت،ط1.
24. السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها،شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلّق حواشيه:محمد جاد المولى بك،محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي،المكتبة العصرية صيدا بيروت،لبنان، 1987.
25. ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب،(د.ط) ، الجزائر، 1984
26. العسكري (أبو هلال الحسن )، الصناعتين؛الكتابة والشعر،تحقيق،علي محمد البجاوي،ومحمد أبي الفضل إبراهيم،منشورات المكتبة العصرية،صيدا،بيروت،1986.
27. الغزالي(أبو حامد)، المستصفى من علم الأصول، تحقيق محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، 1997.
28. الفيروزابادي(أبو طاهر مجيد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، دار الفكر، ط1، بيروت 2003
29. القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تعليق محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، 1999.
30. الماوردي، أدب الدنيا والدين،تع،محمد كريم راجح،دار اقرأ،ط4،بيروت،1985.
31. المتوكل(أحمد):آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1993
32. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط.

33. اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، منشورات عكاظ، ، الرباط ،1989.
34. الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، ط1 ، الدار البيضاء،1985.
35. الوظيفية بين الكلية والنمطية، دار الأمان، الرباط، 2003
36. المرادي (الحسن قاسم )، الجني الداني في حروف المعاني، ق خ. فخر قباوة وغيره، الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1992.
37. مسند الإمام أحمد بن حنبل،مؤسّسة قرطبة،القاهرة،ج3.
38. معجم اللغة العربية(المعجم الوسيط)، دار الدعوة ، ط2، اسطنبول، 1989.
39. ابن المقفّع(عبد الله)،كليلة و دمنة للفيلسوف الهندي بيدبا، تع، إبراهيم شمس الدين، الأعلمي، ط1 ،بيروت ، 2002.
40. ،كليلة ودمنة، ت ح، محمد أمين فرشوخ، دار الفكر العربي، ط1،بيروت، 1990.
41. ابن منظور(جمال الدين محمد)، لسان العرب، ت، عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 2005.
42. ابن النديم (أبو فرج محمد بن إسحاق)،الفرسهت،تح،رضا تجدد
43. ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح، جني محمد شريف مكتبة السياب، مصر، دط، دت.

- **المراجع:**

**الكتب العربية**

44 .آيت أوشان(علي): السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة،دار الثقافة للنشر،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،2000
45. :اللسانيات والبيداغوجيا الأسس المعرفية والديداكتيكية، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط2، الدار البيضاء، 2006.
46 .إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية،مكتبة نهضة مصر.
47أبو خرمة(عمر محمد)، نحو النص ، نقد النظرية وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2004
48.أدراوي (العياشي)الاستلزام الحواري في التداول اللساني،منشورات دار الأمان،ط1، 2011
49أرمينكو (فرانسواز) ، المقاربة التداولية، ت سعيد علوش، مركز الانماء القومي، الرباط، 1986.
50أزابيط بن عيسى،من تداوليات المعنى المضمر،سلسلة الندوات،1992.

51باختين (ميخائيل) ، الماركسية وفلسفة اللغة، ترجمة يمنى العيد ومحمد البكري، 1986
52بلخير(عمر)، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التّداولية،منشورات الاختلاف، ط1،الجزائر 2003.
53 ،معالم لدراسة تداولية وحجاجية للخطاب الصحفي الجزائر
54بلانشيه(فيليب)، التداولية من أوستين إلى غوفمان،ت، صابر الحباشة، دار الحوار،ط1، 2007.
55.البوشيخي (عز الدين )، قدرة المتكلم اللغوية وإشكال بناء الأنحاء،دار الفكر،بيروت، 1997
56بوقرة(نعمان) الخطاب الأدبي ورهانات التأرويل،قراءات نصية تداولية حجاجية،عالم الكتب الحديثة،الأردن،ط1 ،2012.
57 ، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة،منشورات باجي مختار،عنابة، 2006.
58بيرو(جون)،اللسانيات، ت، الحواس مسعودي ومفتاح بن عروس، دار الآفاق، الأبيار الجزائر
59.تمام(حسّان)،اللغة العربية معناها ومبناها،الدار البيضاء،المغرب،ط1، 1994.
60بن تميم(علي)، السرد والظاهرة الدرامية، دراسة في التجليات الدرامية للسرد العربي القديم، دار المعارف،ط1، بيروت، 2003.
61 تيزيفيتان (تودوروف)، باختين، المبدأ الحواري، فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دار الفارس، ط2 ، عمان، الأردن ، 1996
62جوتلف (برجشتراسر) ، التطور النحوي للغة العربية، تر: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي بالرياض، 1982
63. حامد خليل، المنطق البراغماتي عند بيرس مؤسس الحركة البراغماتية، دار الينابيع، مصر، 1996
64حامد طاهر،المضمون الأخلاقي في كليلة ودمنة،دراسة تحليلية،المكتبة الأكاديمية،القاهرة،2005
65. الحباشة(صابر)، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، ط1، دمشق، 2008
66حجاب (محمد نبيه) ، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، دراسة تحليلية نقدية لتطور ،ط2، 1406.
67حسين جمعة،جمالية الخبر و الإنشاء(دراسة بلاغية جمالية نقدية)،منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2005
68حمو الحاج(ذهبية)، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، دار الأمل، الجزائر.
58 . الحميري(عبد الواسع)في آفاق الكلام وتكلم النص،دار الزمان،دمشق،سوريا،ط1، 2009
59خالفي (حسين )، البلاغة وتحليل الخطاب، دار الفارابي، ط1،بيروت، 2011

60. خطابي (محمد )، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت، 2006

61الداغر (مجدي )، الصحافة العربية وقضايا الأقليات والجاليات الإسلامية العربية، مدخل في تحليل الخطاب الإعلامي العربي، المكتبة المصرية، ط1، المنصورة، 2009

62دلاش( الجيلالي )،مدخل إلى اللسانيات التداولية،ت،محمد يحياتن،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر.

63. دبة(الطيب)، مبادئ اللسانيات البنيوية دراسة تحليلية ابستيمولوجية، دار القصبة، الجزائر،2001

66. ديكرو( أوزوالد) ، جان ماري سشفايفر (القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان) ترى منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، ط2، المغرب، 2007.

67. دومينيك (مانغونو)، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترى محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2008.

68. ديبوجراند (روبرت)، النص والخطاب والإجراء، تر، تمام حسان، عالم الكتب،ط1، القاهرة، 1998

69. دايك (فان) ، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات،ت، سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط1 القاهرة،2001.

70. روبول (آن) و موشلار(جاك)، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل ، ت، سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت، 1998. .

71 ، القاموس الموسوعي للتداولية ، ترى مجموعة من الأساتذة والباحثين ، بإشراف عز الدين المجدوب، دار سيناترا، تونس، 1994.

72رمضان (عبد التواب)، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخفاجي، ط1، القاهرة،1982.

73 ، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخفاجي، ط1،القاهرة 1986

74رمضان (عزيز نجاد) ،كليلة ودمنة وأنوار السهيلي ،دراسة مقارنة ،بيروت ،1967

75زتيسيسلاف (واورزنياك)، ت، سعيد حسن بحيري، مدخل إلى عالم النص مشكلات بناء النص، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،ط1 ، القاهرة، 2003.

76الزناد ( الأزهر) ، دروس في البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة ، المركز الثقافي العربي، ط1،الدار البيضاء،1992

77سيرفوني (جان) ، الملفوظية، ت، قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998.

78 سوسير (فرديناند دي) ، محاضرات في الألسنية العامة، ت، يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986

79 ، دروس في الألسنية العامة، ت، صالح القرمادي، الدار العربية للكتاب، تونس،1985

80شكوكاني (أحمد اسماعيل) ، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت، 2005

81الشكعة (مصطفى) ، مناهج التأليف عند العلماء العرب، قسم الأدب دار العلم للملايين ، ط1،بيروت، 2008

82 الشهري( عبد الهادي بن ظافر )، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1 بيروت، 2004

83 صحراوي( مسعود) ، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي،دار الطليعة، ط1، بيروت، 2005.

84الصرّاف (علي محمود حجّي) ، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، ط1، الكويت، 2010

85 صمود (حماد) ، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، دار الفكر،بيروت،2008.

86طه (حسين)، من حديث الشعر والنثر ،مطبعة الصاوي ،القاهرة ،1936.

87طالب الإبراهيمي( خولة ) ، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة ط2، الجزائر ، 2006.

88طه عبد الرحمان،اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،ط1، 1998

89الطلبة (محمد سالم ولد محمد الأمين)، مفهوم الحجاج عند بيرلمان تطوره في البلاغة المعاصرة، عالم الفكر، ط2، الكويت،2000.

90الطلبة (محمد سالم محمد الأمين )، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2008.

91العلوي (يحي بن حمزة بن علي بن ابراهيم)، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تد، عبد الحميد هنداوي المكتبة العصرية، ط1،بيروت، 2002.

92 عكاشة (محمود) ، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، دار الكتب، ط1 ، القاهرة، 2013.

93 علوي (حافظ إسماعيلي) ، التداوليات، علم إستعمال اللغة ، عالم الكتب الحديث، ط1،الأردن ، 2011.

. 94العجيمي (محمد الناصر) ، في الخطاب السردي، نظرية غريماس، الدار العربية للكتاب، تونس، 1991

95العجمي (محمد ناصر) ، الخطاب الوصفي في الأدب العربي القديم، الشعر الجاهلي أنموذجا، مركز النشر الجامعي، ط1 ، تونس

96عشير(عبد السلام)،عندما نتواصل نغيّر،مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج،إفريقيا الشرق،المغرب،د.ط،المغرب، 2006.

97عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة، مطابع الدار العربية، ط1، بيروت، 2010.

98 (عرفة) عبد العزيز عبد المعطى ، من بلاغة النظم العربي، دراسة تحليلية لمسائل المعاني، عالم الكتب، ط2،بيروت، 1984.

99العبد (محمد) ، النص والخطاب والاتصال،الأكاديمية الحديثة للكتاب،ط1،القاهرة، 2005.

100العُمري (محمّد) ، البلاغة الجديدة بين التّخييل والتّداول، دار إفريقيا الشرق، الدّار البيضاء، المغرب،د.ط، 2012.

101غنيمي (هلال)، الادب المقارن، دار العودة، ط3،بيروت ، 1983.

102الفاخوري (حنا) ،تاريخ الأدب العربي ،المكتبة البوليسية ،لبنلن ،ط،1980.

103الفراهي(عبد الحميد)إمعان في أقاسم القرآن،دار القلم،دمشق،ط1، 1994

104الفيل (توفيق) ، بلاغة التراكيب، دراسة في علم المعاني، مكتبة الآداب القاهرة، 1991

105قطامش( عبد المجيد )،الأمثال العربية،دراسة تاريخية تحليلية،دار الفكر ، ط1،دمشق، 1988.

106القطان (مناع) ، مباحث في علوم الحديث، مؤسسة الرسالة، ط19، 1986

107الكاصد(سلمان)عالم النص،دار الكندي،الأردن،2003.

108كليطو(عبد الفتاح) ، الأدب والغرابة، دار الطليعة، دط، 1998

109لحميداني( حميد )، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، بيروت.

110المخبوت (شكري )، نظرية الحجاج في اللغة، منشورات كلية الآداب، جامعة منوبة..

111الميداني (عبدالرحمن حسن حنبكة) ،البلاغة العربيةأسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها، الدار الشامية، ط1،بيروت، 1996..

112المسدي( عبد السلام )،قاموس اللسانيات،الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا.

113 (المهيري) عبد القادر ، اللسانيات الوظيفية ضمن أهم المدارس اللسانية، المعهد القومي لعلوم التربية، ط 2، تونس،1990.

114محمد عبد الله جبر ، الضمائر في اللغة العربية، دار المعارف، مصر.

115محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون،الشركة المصرية للنشر، ط1، 1994.

116محمد لخضر حسين، من بلاغة القرآن، تح، علي الرضا التونسي، 1971.

117محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، بيروت،2004

118 مشبال (محمد) ، البلاغة والأصول، دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي، نموذج ابن جني، إفريقيا الشرق، 2007.

119مفتاح (محمد) ، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، ط3، الدار البيضاء، المغرب، 1992.

120المراغي (أحمد) ، علوم البلاغة والبيان والمعاني والبديع، د.ط، دار القلم، لبنان.

121مطلوب( أحمد) وكامل الحسن البصير،البلاغة والتّطبيق،وزارة التّعليم العالي و البحث العلمي، ط2،العراق، 1999.

122مقبول (إدريس )، الأسس الابستيمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، ط1، عمان، 2006.

123بومزبر (الطاهر) ، التواصل اللساني والشعرية، منشورات الاختلاف، ط1، 2007.

124المودن (حسن) ، بلاغة الخطاب الإقناعي، نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، دار كنوز المعرفة العلمية، عمان ، ط1، الأردن، 2013.

125 محمود فهمي (زيدان)، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية،بيروت

126ميشال زكرياء، التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية(الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط 2، بيروت، 1986.

127ميشال زكرياء، بحوث ألسنية عربية، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ، ط1، بيروت،1992.

128مزيد(بهاء الدين محمد) ، تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والتوزيع،ط1، القاهرة، 2010

129نحلة (محمود أحمد) ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية ، مصر، 2002.

130 ، الاتجاه التداولي في البحث اللغوي دار الوفاء، 2003.

131 ، علم اللغة النظامي مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي، دار المعرفة الجامعية، 2009.

132 نظيف (محمد) ، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية إفريقيا الشرق، دط، 2010.

133نجاد( رمضان عزيز )، كليلة ودمنة وأنوار السهيلي، دراسة مقارنة، بيروت ، 1967.

134 يقطين (سعيد )، السّرد العربي مفاهيم وتجليّات، رؤية للنّشر والتوزيع ، ط1، القاهرة، 2001.

135

## الرسائل والأطروحات الجامعية

1. آمنة جاهمي، آليات الانسجام النصي في خطب مختارة من مستدرك نهج البلاغة للهادي كاشف الغطاء، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات والتراث، إشراف، محمد كراكبي، جامعة باجي مختار، عنابة، 2012/2001.
2. أم الخير سلفاوي، البعد التداولي في البلاغة العربية من خلال مفتاح العلوم للسكاكي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف أحمد بلخضر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب واللغات، 2009.
3. إدريس سرحان، طرق التضمين الدلالي والتداولي في اللغة العربية وآليات الاستدلال، رسالة دكتوراه مخطوطة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ظهر المهراز فاس، المغرب، 2000/1999.
4. مسعود بودوخة، مقومات النظرية الجمالية في البلاغة العربية، مع دراسة تطبيقية في تفسير الكشاف للزمخشري، أطروحة معدة لنيل دكتوراه العلوم في الآداب، تقيمية الأدب العربي القديم، إشراف ، حسن كاتب، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009.
5. ثقبايث حامدة، قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف ذهبية حمو الحاج، قسم اللغة العربية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو،2012.
6. خليفة بوجادي ، خصائص التركيب اللغوي في " بوابات النور"–دراسة في الوظيفة التداولية–أطروحة دكتوراه، مخطوطة، جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، قسنطينة،2005-2006.
7. سعيد بولنوار، التداولية منهج لساني واستراتيجية لتحليل الخطاب، رسالة ماجستير، مخطوطة جامعة الجزائر،2006.
8. عبد العزيز بن عيش، التواصل بين القصد والاستقصاء، مقاربة تداولية لفاعليتي التدليل والتأويل، أطروحة دكتوراه مخطوطة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ظهر المهراز فاس، المغرب، 2004/2003.
9. قدور عمران،البعد التداولي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل،أطروحة دكتوراه،تخصص تحليل الخطاب،إ مفتاح بن عروس،الجزائر،2008

10. محمد الأمين ولد سيد أحمد، تحليل الخطاب السياسي دراسة إثنوغرافية-اتصالية في الخطاب السياسي الموريتاني، مذكرة ماجستير، مخطوطة، جامعة الدول العربية، القاهرة، نوفمبر،1998.
11. نوير بنت ناصر محمد عبد الله الثبيتي،تنوع الأداء البلاغي في أدب ابن المقفع ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم البلاغة و النقد ،إشراف محمود صيام 2002جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية.

**الدوريات والمقالات**

1. بيان شاكر جمعة ومهند شبيب، قراءة في نظرية النظم، بحث مقدم من التدريس في كلية التربية بجامعة الأنبار، قسم اللغة العربية، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، المجلد الأول، العدد الأول، أذار، 2009.
2. تمام حسّان، المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة، مجلة فصول، م7، ع3-4، إبريل-سبتمبر،1987.
3. حبيب اعراب،الحجاج والاستدلال الحجاجي(عناصر استقصاء نظري)، عالم الفكر، مجلد دورية محكمة، الكويت 2001.
4. خالد لفتة وناصر شاكر الأسدي. فاعلية العلامات في كليلة ودمنة (دراسة سيمائية) مجلة دراسات البصرة ،السنة السابعة العدد2012،13.
5. فاتن حسن ناجي، مفهوم التهكم في نصوص محمد الماغوط المسرحية، مجلة مركز باب، المجلد 4، العدد1
6. قويدر شنان، التداولية في الفكر الأنجلوسكسوني، المنشأ الفلسفي والمآل اللساني، مجلة اللغة والآداب، (ملتقى علم النص)، العدد 17،17 /01، 2006، جامعة الجزائر.
7. مجلة البحوث الإسلامية، بحث في الوعد وحكم الإلزام بالوفاء به ديانة وقضاءا، العدد 36، إصدار من ربيع الاول إلى جمادة الثانية 1413 هـ، جزء 36.
8. محمد أحمد مسعود، كتابات معاصرة، مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية، المجلد5، العدد 20، كانون الأول 1993، كانون الثاني 1994.
9. محمد سويرتي، اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي (مقال)،مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،مج28، ع3يناير/مارس2000.
10. محمد شومان، إشكاليات تحليل الخطاب في الدراسات الإعلامية العربية، الدراسات المصرية نموذجا (بحث منفرد)، المجلة العلمية لكلية الآداب، جامعة ألمانيا.
11. مقبول إدريس، البعد التداولي عند سيبويه، مجلة عالم الفكر، العدد1، سبتمبر،2004.
12. نجم الأحمد، مقال كلية الحقوق، قسم القانون العام، مجلة الجامعة، دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 29، العدد 03، 2013.

13. هاجر مدقن، المثل في كتاب "كليلة ودمنة" بين الإخبارية والتوصيلية، تقريب تداولي، مقال مجلة الأثر، العدد الخاص، أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب، الجزائر.
14. يحي بعيطيش، النحو العربي بين التعصير والتيسير، (مقال)، أعمال ندوة تسيير النحو، تنظيم المجلس الأعلى للغة العربية، المكتبة الوطنية، الحامة، الجزائر، 2001.
15. يوسف أحمد إسماعيل، التفريع الحكائي وأنماط التخييل في كليلة ودمنة ، مجلة معابر، دمشق

**مواقع الالكترونية:**

1. موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية.
2. Almaany.comمعجم المعاني الإلكتروني
3. محمد محمد يونس علي، التداولية بين النشأة والتطور، منتديات تخاطب Takatob.com.
4. Pagesperso-orange.fr
5. Hca.com

## الكتب الأجنبية

1. Adam G.M, lingiustique textuelle, typologie (s) et séquentialité in Apprendre, Enseignera produire des textes écrits, colloque international, Université de namur, Belgique, 1986, p126.
2. Alain lempreur 1991, L'argumentasion collectif, Michel M ayer , Université liber de B ruxelles centre européen pour L'étude de L'argumentation, Edition margada.
3. Anne, u,bersfeld, lire le théatre, éme édition, Edition, editions sociales, Paris, P 205 .
4. Austin(J). Quand dire c'est faire, Traduction et commonetaire par Gille Lane. Édition du Seuil, 1970.
5. Beneveniste, Problème de linginstique générale, Tome 2,Gallimard.
6. Charaudeau (Patrick )/ Manigueneau (Dominique), Dctionnaire d'analyse du discours, Paris, Edition de Seuil , 2002.
7. C.K Orechioni, Les interactions verbales, P 68.
8. Erving Goffman, La mise en scène de la vie quotidienne, la présentation de soi , Paris, Les éditions de Minuit.
9. Jacque Moeschler et Anne Refoul Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, paris, Editions du seuil, 1994.
10. Jhon Dubois, Dictionnaire de linguistique, Larousse, paris 1973.

11. G.Leech, Principales of pragntics, Longman New York ,1983.
12. Hallidayand. R. Hasan, Cohesion in English, Longman, London.
13. Maingueneau, Approche de l'énonciation en linguistique francaise, Hauchette,Paris, 1981.
14. Mammberg.B.Phonetics,Neueyorl, 1963.
15. Moeshler (Jaques), Auchlin(Antoine), introduction à linguistique com-temporaine, Paris, Armand colin, 2000.
16. Mounin(George) et autres ,Dictionnaire de linguistique, Presse Universitaire de France, Paris 1984.
17. Oswald Ducrot : Dire et ne dire, Paris, Herman,1972
18. Adam G.M, lingiustique textuelle, typologie (s) et séquentialité in Apprendre, Enseignera produire des textes écrits, colloque international, Université de namur, Belgique
19. Dominique Mangeneau . les termes cles de l'analyse du discours
20. Grice, P.H, logic and conversation, in cole peter and Morgan.

## II–فهرس الأعلام

**الألف:**

- آل الأهتم:207
- آن روبول"(A.Reboul):132
- إبراهيم أنيس:144
– أحمد المتوكّل:37،188،
-إدريس مقبول:7
- إدموند هرسل(Edmand Hurssel):18
-إدوارد سابير"(Eduard Sapir):13
- أرسطو طاليس(Arestote.T):17،209.
- الإسكندر المقدوني:214.
-أوبر سفيلد"(U.Bersfeld ):132،
-أنو شروان:212،213.
-أوركيوني كاترين كاربرت (C.K.orecchioni):16،20،25، 31،30،35،126،،185،133
- أوستين جون (Austin. Jhon):16،17،،23،،20، 19،21
- - ايزنبرج" (Isenberg):24

**الباء:**

- الباقلاني(القاضي أبو بكر):146
-برتراند راسل (Bertrand Russel):18
-برزويه:214، 212
- برلمان (Perlman): 8
-بريت (parret):160
-بزر جمهر بن البختكان:127،214.
-بلوم فيلد (Bloomfeild ):13
-بنفنست (Benveniste): 24، 25،27، 129، 130
-بيدبا:47،48، 49، 160،161، 162، 180،184

**التاء:**

- تشارلز موريس(C.Mouris):15،17

-تشومسكي (chomesky):13،17

- تودوروف(Tisivitan.todorov):127

-تيتيكاه( Tyteca) :8

**الجيم:**

- الجاحظ:8،156،208

-جان سيرفوني (Jean Cervoni):25،125

-جاكبسون :(Jakobson Romon)، 28:

-جاك دريدا:43

-جاك موشلر"(J.Moeshler):30،31،132،

- الجرجاني(عبد القاهر):11،115،114، 149،147، 150،168، 171،

- ابن جني(أبو الفتح عثمان):67،116، 141، 146

جورج مونان"(George Mounin):27،

- جون.ج.غمبرز:30،29،

-جون دوبوا" (Jhon Dubois):159

**الحاء:**

-الحجاج بن يوسف:207.

-حنا الفاخوري:165.

**الخاء:**

- الخفاجي(ابن سنان):145

**الدال:**

- دبشليم:47،157، 184،183،180

- دومينيك مانغينو(Dominique Mangueneau): 33،،130،،138، 167، 128

- دي بوجراند ( De Bogrand): 159

-ديترو(Dutrot):24،

-دي سوسير(De Saussure): ،24،13

- ديكرو أوزوالد (Ducrot.Oswald):185،23

**الراء:**

- الرضي (الاستراباذي):143،

-رقية حسن:108.

-رمضان عبد التواب:143.

-روبن ليكوف (Roben Lakoff):183.

-رودولف كارناب:18

- روزبه بن داذويه(عبد الله ابن المقفع):207

-رولي (Roulet):30

- ريكاناتي:(François Recanati) :24،

**الزاي:**

-الزمخشري(أبو القاسم محمود) :118،57

**السين:**

-ساكس(Saxe) :29

- سبيربر (Sperber):30،31

-السجلماسي(أبو محمد القاسم):117.

- السكاكي(أبو يعقوب يوسف):9،111،10،

-سقراط:17

-سليمان بن علي:208

-سويرتي :(Sweerty):7،

- سيبويهِ():150،144،67

-سيرل (Searl):19،17، 22، 23، 36،47،

- السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن):141

**الشين:**

"

-شارلز موريس (Charles Mouris):15،17

- شارل ساندريس بيرس( S.pierce):17

- شغلوف"(Cheglov):29

**الطاء:**

-طه حسين:207،208

**العين:**

-عبد الله أبو العباس:208.

-عبد الحميد الكاتب:208.

-عبد الرحمن الداخل:

-عبد المجيد قطامش:

-عبد الهادي بن ظافر الشهري:31،139،

- العسكري (أبو هلال): 7،158،

-علي بن محمد الشاه:212

- عمر بن هبيرة:207

- عيسى بن العباس: 208

**الغين:**

- غرايس (Grice Herbert Paul) :17،28،34، 75،167، 175،168، 177، 187، 195.

- الغزالي(أبوحامد):9، 10

-غوتلوب فريجه (Gottlob Frege):17

- غوفمان (Goffman) :28،

**الفاء:**

- فان دايك (Van Dijk ):33،185،

فرانس بواس (Franz Boas):13

-فنجنشتين (Wittgenstein):،18،19

- فندرليش (Wunderlich):16

**القاف:**

- القزويني(جلال الدين أبو عبد الله محمد الخطيب):11

**اللام:**

-لابوف (Labov):30

- ليتش" (Leich): 8،

**الكاف:**

كارل بوهلر(Culer Buhler):18

**–** كسرى أنو شروان:201،

**الميم:**

-مالمبرج"(Malmberg):144.

-محمد العبد:31،140

- محمّد العُمري: 69

-معاوية بن أبي سفيانَ:8،208.

-ابن المقفّع(عبد الله):7،45، 46،52، 207،208،209،210،211.

- المنصور(أبو جعفر):208،

**الهاء:**

-هاريس (Harris):13،29،

- هاليداي (Halliday):108

-هايمز (Hymes):28،33

**الواو:**

-وشنوشرما:211.

-ابن وهب: 197

- ويلسون(Wilson):31،30

## III–فهرس أهمّ المصطلحات الواردة في البحث:

**الألف:**


-الابستيمولوجية:6،

- إثنوغرافيا التواصل28، 29،

-إثنوميتودولوجيا المحادثات اليومية،29

-الإحالة:108، 109، 110، 111، 112

-الإخلاص والحماس:31، 153

-الإدغام:144،145

-الاستعارة:39، 193.

-الاستلزام الحواري:175،176،177،178.

-الاستفهام الحقيقي:61

-الاستفهام المجازي:62، 63، 64،65،66

-الافتراض المسبق:،185،186،18735

- الأفعال الكلامية:6

-الأفعال الإنجازية:21

-الأفعال الإخبارية:22

-أفعال أدائية:20

-أفعال الكلام:21

-أفعال القرارات:21

-أفعال التعهد:21

-أفعال السلوك:21

-أفعال الإيضاح:22

-الإخباريات:22

-الإفصاحيات:23

الأفعال المباشرة:23

-الأفعال غير المباشرة:23

-أفعال الوصف:48،49،50،51،52،53.

-أفعال التأكيد:46،47،48،

-الإقناع:155،105،106،135،136

الأقوال المضمرة :36، 187،188.

- الأمر:53،54،55،56،57،58
-الانسجام:25،120،121،122،123،124،125.
ألعاب اللغة:19،
- الإيجاز:195

**الباء**

البلاغة :9،10،11،12،13،7،8
البراغماتية:15
-البنية:13
-البنية السطحية: 13،
-البنية العميقة:13،
البنيوية الأوروبية:13،
-البنيوية الأمريكية:13
-البنيوية:13
-بؤرة المكوّن:37
-بؤرة الجملة:37
-بؤرة المقابلة:37،190
-بؤرة الجديد:37، 189

**التاء**

التداولية التخاطبية: 16،20،
التداولية التلفظية:16،24
التداولية التحاورية: 27،16،138،139،140،165،166،167
-تحليل الخطاب27
-التركيب:15،
-التعبيريات:23،88،89،90،91،92،93،94،95،96،97،98،99،100
-التصريحيات:23،100،101،102،103.
-الترابط النصي:25،108،109،100،111،112،113،114،115
-التشكيل الصوتي:، 140، 142،141، 143، 144.
-التشكيل النحوي:148،149،150،151،152.
-التفاعل:35،181،182،183.
-التشكيل المعجمي :31

التصرّف المؤسساتي:20
-التوجيهيات النفسية:75،74،73، 76،
-التفاعل:35
-التوليدية التحويلية:13.
-التكرار:117، 118، 119،
-التشبيه: ،193
-التمثيل:196،194،39
-التعارض الحجاجي :198،
-التساوق الحجاجي :199

**الجيم**

-الجناس:196

**الحاء**

-الحجاج:38، 39، 40، 193، 197، 198، 199، 200، 201
-الحذف:114، 115، 116، 142،117، 143
-حسن التأليف:145، 147،146،
-حكمة الكم :34، 173، 174،195،168
-حكمة الكيف:34،174،،172،171،195
-حكمة العلاقة والمناسبة:174،34،196،173،

**الخاء**

-الخبر:48،45
-خبر ابتدائي:46،
-خبر طلبي:46، 47، 48،
-خبر إنكاري47، 48،
-الخطاب:27، 28، 139،31،
-الخطاب التواصلي :27،155، 160،

**الدال**

-الدلالة:15

**الذال**

الذرائعية:15

**الراء**

-الرسالة:8

-الرؤية المصاحبة:127.

-الرؤية من الخلف:129.

-الروابط المدرجة للحجج:198، 199، 200، 201.

**الزاي**

-الزمان:25، 26، 130،131، 132،133،134

**السين**

-السياق :33،159،

-السياق الاجتماعي:160، 161،

-السياق النفسي:162

-السياق المقامي:163، 164

-السياق التفاعلي داخل قولي 182

- السياق التفاعلي الخارج-قولي:183

-السرد:48،180،181

السارد الأصلي:126، 127

-السارد الفرعي الغيري/الذاتي:126،127، 128.

السياقية:15

السامع :7

-السلم الحجاجي:39، 40.200، 201.

**الشين**

-الشفرة:8

**الصاد:**

-الصدق/الكذب:،19،98

**الضاد**

-الضمائر:25،126،127،128،129.

**الطاء**

-الطلب:،53، 54،58، 59،61،63، 66،

-الطلبيات:53،

-الطباق:196.

**الظاء**

-الظاهراتية اللغوية:18

**العين**

-علم المعاني:8

-علم البيان:9

-علم البديع:10

-علاقة الإجمال /التفصيل: ،122،121،125120

علاقة السبب/النتيجة:122، 123.125

-علاقة الشرط/الجواب:123،124.125

**الفاء:**

-الفعل: 20،

-الفعل الكلامي:30،20

-الفلسفة اللغوية:18.

-الفلسفة التحليلية:18.

-فلسفة اللغة العادية:18.

-فعل القول: 23،،20

-فعل متضمن في القول:20

-الفعل الناتج عن القول:20

-فعل الإسناد: ، 23

-فعل الإنشاء:، 23

-فعل التأثير:، 23

**القاف:**

-القدرة التواصلية:32،

-قوانين الخطاب:، 167، 170،169،168، 171، 172، 173، 174.34،35

-قانون الصيغة:34،

-القوّة الإنجازية:36.

-القوة الحجاجية:39.

القارىء الواقعي :126، 127، 128

-القارىء الافتراضي:127،128،126
-القناة:8

**الكاف**

-الكفاءة اللغوية:154
-الكفاءة التداولية:156،155
الكفاءة البلاغية:154،155
-الكلام:13
-الكناية:194

**اللام:**

-اللسان:24،13
-اللسانيات التداولية:15،
-اللسانيات الاجتماعية:14،13
-اللسانيات النفسية:،1413
-اللسانيات الوظيفية:14،
-اللغة/الكلام:،13،24

**الميم:**

مبدأ التعاون:34،
- مبدأ التأدب واعتبار جانب التهذيب:183، 184
-معنى الملفوظات:25،
- المقولات البلاغية:8
-الملفوظ:25
-الملفوظية:108،25،
-المقام:11،10،9،8،7، 12، 33، 193.
-المكان:،26،134،133،130
-مكوّن بلاغي:70
-مكوّن انفعالي أو تأثيري :70
-المبهمات التزامنية:26
-المبهمات الزمانية:25
-المبهمات المكانية:26
-المبهمات البعدية:26

-المبهمات الحيادية:26
-المقاربة التبليغية:28
-مقاربة تحليل المحادثة:28
-المقاربة السوسيو لغوية:30
-المقاربة التباينية:30
-المقاربة التفاعلية:30
-المرسل:32،31،147،146،145،144،143،142،141،140،139،155،
-المرسل إليه:32،156، 157، 158، 189.
-المحادثة:28،
-المعرفة المشتركة:158،159
-المثل:194،197،197،196
-المرجعية الداخلية:109،
-المرجعية الخارجية:109، 110،
-المعرفة:153،152.
المتكلم :،،104، 105، 107،7
المقامية: 8، 9 ،
- مقتضى الحال:8، 9، 10، 11،
-معنى المعنى:10
-المتلقي:9 ،10
-متضمنات القول:35،185.

**النون**

-النفعية:15.
-نظرية مقامية:11
نظريات لسانية شكلية صورية:13
-نظريات لسانية وظيفية:13
-نظرية النظم:148، 149، 150، 151، 152.
-النهي الحقيقي:58،
-النهي المجازي:59، 60،
-النداء الحقيقي: ،68،66،67
-النداء المجازي:69، 70، 71، 72، 73

-نقطة القوة التخاطبية: 130

**الواو**

-الوصف:48،49، 50،51 ، 52، 53.
-الوضعانية المنطقية:18.
-الوعديات:23،80، 81،82، 83، 84، ،،85،87،86
-الوظيفة الجمالية:53.
الوظيفة التوضيحية:53
-الوظيفة التواصلية:53
-الوظائف التداولية:37،188.
-الوظائف التداولية الداخلية:37،189،188
-الوظائف التداولية الخارجية:، 190، 191،37
-الوظيفية:14.
الوظيفة المحور:37،190،
-الوظيفة البؤرة:37، 189
-الوظيفة المبتدأ:،190 37
-الوظيفة الذيل:، 191،37
-الوظيفة المنادى:37،191.
-الوصل:113،114،
-وسائل التأثير:7،

**IV–فهرس الموضوعات:**

**مقدّمة**..... . **أ–د**

**–الفصل النظري:في بلاغة الخطاب واللسانيات التداولية**.....40-7

**I –في بلاغة الخطاب**..... 12-7

**1**–تعريف البلاغة وعلاقتها بالتداولية.....7

**2**- بلاغة الخطاب :(المقولات البلاغية من وجهة نظر مقامية تداولية).....8

**3**–علوم البلاغة.....9

**II–في اللسانيات التداولية**..... ....40-13

**1–**نظريات لسانية شكلية صورية.....13**....**.

**2**–نظريات لسانية وظيفية.....14**.....**

**1–حول مفهوم وموضوع التداولية**..... **15 ...**

**1–**1تعريف التداولية وإشكالية المصطلح التداولي.....**15...**

أ–لغة.....**15**

ب–إشكالية المصطلح..... ..... **15 ...**

ج–المفهوم الاصطلاحي للتداولية..... ..... **15 ...**

**1–**2موضوع اللسانيات التداولية..... ..... 16

**2–نشأة التداولية**..... ..... **17 ...**

**2–1إرهاصات التداولية(الأسس الفلسفية للتداولية)**.....**17 .....**

**أ–عند شارل ساندريس بيرس(S.pierce)**..... **17 .....**

**ب– عند تشارلز موريس(C.Mouris)**..... 17

ج- **كارل بوهلر**.....**18 .....**

**د–الفلسفة اللغوية**.....**18 .....**

**د–1 الفلسفة التحليلية عند فريجه(Frege)**.....**18**

**د–2 فلسفة اللغة العادية عند فنجنشتين**.....**19**

**2–1مرحلة الاكتمال والنضج**.....**19**

أ- عند" أوستين.....19
ب- عند" سيرل.....19
3--أقسام التداولية حسب أورشيوني.....20
3-1التداولية التخاطبية ( نظرية أفعال الكلام).....20
أ-مع "أوستين".....20
1--ماهية الفعل الكلامي.....20
2-أقسام الفعل الإنجازي.....21
ب- مع " سيرل".....22
ب-1الأفعال المباشرة.....23
ب-2 الأفعال عير المباشرة.....23
ج-نظرية الأفعال اللغوية بعد" أوستين" و" سيرل".....23
ج-1 " أوزوالد ديكرو".....23
ج-2 " ديترو" و"ريكاناتي.....24
ج-3 " ايزنبرج" .....24
3-2التداولية التلفظية.....24
أ-تعريف التلفظ (L'énonciation) و الملفوظية(Énoncé).....25
ب-معنى الملفوظات(Le sens des énoncés).....25
ج- الضمائر.....25
د- الزمان(Le temps).....25
ه- مكان الحديث (Le lieu).....26
و-الأحكام: (Les modalités).....26
3-3التداولية التحاورية(التحليل التداولي للخطاب التواصلي).....27
أ-التحليل التداولي للخطاب.....27
1- تعريف الخطاب.....27
2- أنواع الخطاب.....27
3- تعريف تحليل الخطاب.....27

**4- مقاربات تحليل الخطاب التواصلي.....28**

**4-1 المقاربة التبليغية: (الوظيفة التواصلية للغة).....28**

**4-2 مقاربة تحليل المحادثة.....28**

**4-3 إثنوغرافيا التواصل.....28**

**4-4 إثنوميثودولوجياالمحادثات اليومية.....29**

**4-5 المقاربة السوسيولغوية.....30**

**4-6 المقاربة التباينية.....30**

**4-7 المقاربة التفاعلية بفرنسا وسويسرا.....30**

**ب-أبرز عناصر الخطاب التواصلي.....31**

**ب-1المرسل.....31**

**ب-2المرسل إليه.....32**

**ب-3السياق (le Contexte).....33**

**5--مبادئ وآليات الإجراء التداولي للخطاب عند " مانغينو".....33**

**أ-القوانين(المبادئ)..... 34**

**ب-الأدوات الإجرائية.....35**

**ج-الوظائف التداولية.....36**

**د-الحجاج.....38**

**-الفصل التطبيقي:تحليل أبواب كليلة ودمنة حسب التداوليات الثلاثة**

**الفصل الأوّل:تحليل أبواب كليلة ودمنة حسب النظرية التخاطبية (نظرية الأفعال الكلامية) 43-106**

-الإيحاءات الدّلالية لعناوين القصص.....43

-الأفعال الكلامية في كليلة ودمنة.....4-106

1-الأفعال الإخبارية(التقريريات الإثباتية).....45

أ-أفعال التأكيد.....46

ب-أفعال الوصف.....48

**2-الأفعال الطلبية(التوجيهيات).....53**

**أ-التوجيهيات الطلبية.....53**

➢ طلب الأداء والترك.....53
1-الأمر.....53
أ-أساليب حقيقية.....54
ب-أساليب مجازية.....56
2-النهي.....58
أ-المعاني الحقيقية .....58
ب-المعاني المجازية.....59
➢ طلب الفهم.....61
1-الاستفهام.....61
• الاستفهام الحقيقي.....61
ب-الاستفهام المجازي.....62
➢ طلب الإقبال.....66
• النداء.....66
أ-النداء الحقيقي.....66
ب-النداء المجازي.....69
**ب-التوجيهات النفسية.....73**
توجيهات نفسية تحد وتعجيز.....73
توجيهات نفسية تحكم.....74
توجيهات نفسية : شكوى، تظلم.....76
**3-الأفعال الالتزامية (الالتزاميات).....80**
3-1- أفعال الوعد والتعهد.....80
3-2 أفعال القسم.....83
3-3 أفعـال الاهتمام.....85
3-4 أفعال التصميم.....87
**4-الأفعال التعبيرية (التعبيريات).....88**
4-1- التعبيريات الاجتماعية.....88

4-2- التعبيريات النفسية.....93
**5- الإيقاعيات ( الإعلانيات).....100**
5-1 ما يرتبط بالأحكام والقرارات.....101
5-2ما يرتبط بأفعال التصرف.....102
الرسم الشجري للأفعال الكلامية في كليلة ودمنة.....106
**الفصل الثاني:تحليل أبواب كليلة ودمنة حسب النظرية التلفظية.....108**
1- **معنى الملفوظات**.....108
**1-1الترابط النصي** .....108
1- المرجعية.....108
أ-1 إحالة باعتبار المشار إليه.....108
أ-2 إحالة باعتبار المشير.....110
2-الوصل .....113
أ- الوصل الإضافي.....113
ب- الوصل العكسي.....113
ج- الوصل السببي.....114
3-الحذف.....114
3-1 حذف المبتدأ.....115
3-2 حذف المفعول به.....115
3-3 حذف الفعل.....116
4-التكرار.....117
**1-2الانسجام**.....120
1-علاقة الإجمال/التفصيل.....120
2-علاقة السبب/النتيجة.....122
3-علاقة الشرط بالجواب.....123
**2-مرجعيات الملفوظات**..... 125

1-ضمائر الشخص.....126
2-الزمان والمكان.....130
-مخطّط العملية التلفظية.....135

**الفصل الثالث :تحليل أبواب كليلة ودمنة حسب نظرية التداولية التحاورية**

**I-أبرز عناصر الخطاب التواصلي التحاوري في كليلة ودمنة.....139**
1-1- المرسل.....139
- الوسائل اللغوية للمرسل.....140
1 - وسائل التشكيل الصوتي.....140
أ- حسن التأليف.....141
أ-1-الميل إلى التخلص من توالي الأمثال.....141
✓ المخالفة بالحذف بين أمثال الصوامت المتماثلة.....142
✓ المخالفة بالزيادة بين الأصوات المتماثلة.....143
أ-2-الإدغام.....144
ب- فصاحة اللفظ وحسن التأليف.....145
أ-2- خصائص التشكيل النحوي ( الوسائل التركيبية).....148
* نظرية النظم.....148
✓ التقديم والتأخيـــــر.....149
- الوسائل غير اللغوية للمرسِل (ضروريات الحديث الأربعة للمرسل).....152
1- المعرفة.....152
2- الإخلاص و الحماس.....153
3- الممارسة.....154
1-2-المرسل إليه.....156
1-3 سياق الخطاب.....159
1-3-1السياقان الاجتماعي والتاريخي.....160
1-3-2 السياق النفسي.....162
1-3-3 السياق المقامي.....163

**II مبادئ وآليات الإجراء التداولي لتحليل خطاب "كليلة ودمنة".....167**

**1- القوانين ( المبادئ).....167**

1-1- مبدأ التعاون.....168

1-2- الاستلزام الحواري.....175

*شروط الاستلزام الحواري.....176

*خواص الاستلزام الحواري..... 177

1-3- قانون الصيغة.....178

1-3-1 كليلة ودمنة الكتاب المترجم.....178

1-3-2- كليلة ودمنة الخطاب السردي.....180

1-4- قانون التفاعل.....181

1-4-1 سياق تفاعلي داخل قولي.....182

1-4-2- السياق التفاعلي الخارج-قولي.....183

1-5- مبدأ التأدب واعتبار جانب التهذيب.....183

**2-الأدوات التداولية الإجرائية في خطاب كليلة دمنة.....185**

2 -1متضمنات القول.....185

2-1-1-الافتراض المسبق.....185

2 -1-2-الأقوال المضمرة.....187

II -3الوظائف التداولية.....188

3-II -1-3الوظيفتان الداخليتان.....188

-1-1البؤرة (Focus).....189

بؤرة الجديد.....189

بؤرة مقابلة.....189

3-1-2المحور:(Topic)..... 190

3-2 الوظائف الخارجية.....190

3-2-1 المبتدأ(thème)..... 190

-3الوظيفة الذيل(Tail).....191

**3**-2-4المنادى(Vocative).....191

**IV-آليات الحجاج البلاغية في كتاب كليلة ودمنة**.....193

4-1- المقام.....193

4-2- التشبيه والاستعارة.....194

4-3- الكناية.....195

4-4- التمثيل..... 194

4-5- الإيجاز.....195

4-6- الطباق.....196

4-7- جناس.....196

4-8- الشاهد والمثل.....196

4-9- المثل.....197

***آليات الحجاج اللغوية في كليلة ودمنة**

1- الروابط الحجاجية.....197

1-1الروابط المدرجة للحجج.....197

1-1-1. الرابط الحجاجي لأن.....197

1-1-2. الرابط الحجاجي "لام التعليل"..... 198.

1-2- روابط التعارض الحجاجي.....198

1-2-1الرابط الحجاجي "لكن".....198

1-3- روابط التساوق الحجاجي.....199

الروابط الحجاجية: "الواو والفاء وإما.....199

2- السلم الحجاجي.....200

**الخاتمة**.....203

**الملحق**.....207

**ملخّص البحث باللغة الأجنبية**.....216

**الفهارس**

**I-فهرس المصادر والمراجع**..... **220**

II–فهرس الأعلام.....232
III–فهرس أهم المصطلحات الواردة في البحث.....237
IV–فهرس الموضوعات.....253–245